

قَاطِفُ السَّيْرِ

من سينا إلى
كامب ديفيد

١٩٦٧ - ١٩٧٩



١٩٨٨/١٩٨٧

عَاطِفُ السَّيِّدِ

من سيئات إلى
كامب ديفيد

١٩٦٧ - ١٩٧٩

١٩٨٨/١٩٨٧

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

سيظل الصراع العربي الاسرائيلي لفترة طويلة قادمة محور الاهتمام الرئيسي في العالم العربي ، وستظل اسرائيل احد العوامل الاساسية في التفاعلات الحادثة في النظام الاقليمي العربي لارتباطها الوثيق بالولايات المتحدة الأمريكية . ذلك الارتباط الذي ينهض على مجموعة من الدعامات أهمها الاعتبارات الاستراتيجية ، التي تتمثل في تشابه كل من المصالح الأمريكية والاسرائيلية في الشرق الأوسط ، بالإضافة الى نجاح اسرائيل الفائق في اقتناع الولايات المتحدة بوجود وحدة في المصالح المشتركة . وتحت هذه الدعوى يمارس اسرائيل سياستها التوسعية العدوانية ضد المسلم العربي .

ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب ، الذي يتناول فترة زمنية تمتد الى اثنتي عشرة سنة فيما بين عامي ١٩٦٧ ، ١٩٧٩ ، مكملًا بذلك كتاب « القرارات الحكيمة والاسرار الخفية في الصراع العربي الاسرائيلي » الذي يعالج الفترة من عام ١٩٤٥ الى عام ١٩٦٧ .

وغنى عن القول ان التغيرات العربية قد أخفقت تماما في التخطيط الاستراتيجي السياسي والعسكري وادارة الصراع مع اسرائيل في الفترة من عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٦٧ .

ونمثل الهزيمة القاسية في يونيو ١٩٦٧ ذروة الاخفاق العربي ، ومرد ذلك الى التخلف الحضري والأمراض السياسية والاجتماعية المزمنة التي استشرت في الجسد العربي .

وانتشرت بذور الهزيمة المرة في كل شبر من الارض العربية ، غير ان مصر بدأت تستوعب درس النكسة ، واخذت تخطط لجولة قادمة مع

- ٤١ -

إسرائيل على أساس علمي ، وهي في نفس الوقت لم تخضع لإرادة العدو في فرض الهدوء على جبهة القتال . فشنت حرب استنزاف ضارية ، إلا أنها لم تحسن ضبط الإيقاع على سلم تصعيد الحرب .

ثم استنفدت تلك الحرب أغراضها ، وكان لابد من جولة حاسمة مع العدو ، فكانت حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، التي تعتبر أول تحول كيني حقيقي في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي . فقد شهد العرب بأنفسهم قيمة التضامن والتعاون والتنسيق فيما بينهم . وقد جنوا ثمارها وانعكست عليهم آثارها في شتى المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية .

وقد برز — بوجه خاص — دور المملكة العربية السعودية بقيادة الراحل العظيم الملك فيصل بن عبد العزيز في دعم دولتي المواجهة — مصر وسوريا — ، كما أسهمت أسهاما فعالا في توثيق عرى التضامن العربي ، ووضعت ثروتها النفطية في خدمة القضية العربية .

بيد أن هذا التضامن لم يستمر طويلا فقد سعى أنور السادات ، في أعقاب اتفاقية فصل القوات الأولى على الجبهة المصرية ، إلى الدول النفطية وبخاصة المملكة العربية السعودية لرفع الحظر عن النفط — استرضاء للولايات المتحدة الأمريكية — دون أن يحقق قرار الحظر أهدافه ، غير أن الملك فيصل لم يوافق إلا بعد تحقيق فصل للقوات على الجبهة السورية .

ثم أحدثت اتفاقية فض الاشتباك الثانية مع إسرائيل في سبتمبر سنة ١٩٧٥ شرخا في صرح التضامن ، الذي تحول إلى صدع هائل بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية . لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي تجتمع فيها كلمة العرب ويلتئم شملهم في التاريخ المعاصر ، ولكن أنور السادات لم يغتنم الفرصة ، ومن ثم فقد أخفق في استثمار أهم نتائج حرب أكتوبر .

وفي ظل التفكك العربي وعزل مصر وانشغال العراق بالحرب مع إيران وتركيز سوريا معظم طاقاتها في لبنان ، فقد أخذت إسرائيل تحول

وتجول في المنطقة العربية ، وهى في عربتها تثخن الجراح في الجسد العربى الواهن .

فقد ضمت القدس الشرقية والجولان ، ودمرت المفاعل النووى العراقى ، وغزت لبنان ، ودمرت مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في تونس ، ولم تجرؤ دولة عربية واحدة على التصدى لمغامراتها بعد ان سرت في القيادات العربية سموم الذل والهوان .

يشتمل الكتاب على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة .

يتناول الفصل الأول « نتائج واثار حرب يونيو ١٩٦٧ » .

وترجع أهمية هذا الفصل الى انه بسط النتائج السياسية والاقتصادية والعسكرية والاستراتيجية لحرب يونيو ١٩٦٧ ، ثم الآثار السياسية على المستوى العالمى والعربى والمحلى وانعكاساتها على المجتمع العربى . كما عرّض لآثار الحرب على الاقتصاد المصرى ، الذى يمر منذ حرب يونيو ١٩٦٧ بفترة انكماش وبلاء في النمو . ثم انتقل الى التركيز على العلاقات العربية بعد حرب يونيو وانحسار الزعامة المصرية ، وموقف الاتحاد السوفييتى من العرب ، ثم موقف الدول العربية من قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ .

ويتضمن الفصل الثانى « تطور الأوضاع السياسية والعسكرية » سياسة مصر الخارجية بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، حيث فقدت مصر التوازن الذى طالما احتفظت به بين القوتين العظميين . فهى من ناحية انجذبت انجذابا شديدا الى الاتحاد السوفييتى ، بينما تناهت تنافرا شديدا مع الولايات المتحدة الأمريكية من الناحية الأخرى . ثم يبين اسباب اهتزاز العلاقات بين مصر والاتحاد السوفييتى ابتداء من مايو سنة ١٩٧١ ، ويفصل الموقف الأمريكى المنحاز الى اسرائيل . كما انه يولى اهتماما بنظرة السياسة الخارجية المصرية من بداية عهد السادات الى حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، ويتناول بالشرح تطور الأوضاع العسكرية وحرب الاستنزاف واثارها .

ويشمل الفصل الثالث « حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ » ، صنع قرار

شبه لنا: حب

الحرب ، والاعداد السياسي والعسكري لتنفيذه ، مثلولا خطط الحرب بالدراسة والتحليل ، وحجم القوات المتصارعة ، وسير العمليات الحربية وما اكتنفها من نجاح واخلق ، كذلك ما تمخضت عنه الحرب من نتائج وانار في شتى المجالات .

اما الفصل الرابع « محاولات الحل » فتناول اتفاقيات فك الاشتباك على الجبهتين المصرية والسورية والموقف العربى فى أعقابها . ثم يبرز مبادرة السادات بزيارة القدس ، مبينا اسباب الرحلة من وجهة النظر المصرية والتصور الاسرائيلى لها واسبابه . ويهتم كذلك ببيان اثر مبادرة السادات فى العالم العربى وما اثارته من انتقادات عنيفة وردود فعل غاضبة .

ولما كانت مصر قد توصلت الى اتفاق مع اسرائيل ، فقد كان لابد ان اخصص فصلا لدراسة هذا الاتفاق عنوانه « الاتفاق المصرى الاسرائيلى وآثاره » . وقد تناولت فيه نصوص اتفاقيتى كامب ديفيد ونصوص معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ، محللا موادها ومبينا آثارها على المنطقة العربية .

واذا كانت حرب اكتوبر ١٩٧٣ قدمت رؤية جديدة لمغزى وحدة العمل والتضامن العربى ، فقد طمس ذلك الاتفاق معالم الرؤية واجهض قيمة التضامن وغتت وحدة العمل العربى .

وقد انادت الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل من التصاعدت العربية وعللتا على تميمتها لتقويض الكيان العربى والعريدة فى المنطقة العربية دون حساب . كما ترتب على معاهدة السلام تحطيم التزامات مصر العربية ، اذ اكدت المادة السادسة من المعاهدة :

انه فى حالة تعارض الالتزامات السابقة الاى طرف مع الالتزامات الناشئة من هذه المعاهدة فان الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة هى التى تكون ملزمة ونافذة .

منه ٧ ح

واغتثمت الولايات المتحدة الفرصة — بعد انقراط عقد التضامن
العربي — لتزيد من تأييدها لاسرائيل واستهانتها بالامة العربية .

وقد ورث الرئيس حسنى مبارك هذه الأوضاع القائمة ، الا أنه لم
يركن اليها ، بل أنه يسعى بداب الى تخفيف القيود والالتزامات الموروثة
بها يحى ارادة مصر وعروبة مصر والتزامات مصر العربية . لقد عادت
مصر تبني من جديد علاقاتها العربية وبدأت حوارا مع معظم القادة العرب ،
لقى في نفوسهم استجابة واعية ورغبة مخلصه ، وأصبح الاشتاء العرب
هم الاولى بالرعاية بدلا من اسرائيل ، كما أصبحت مصالح مصر العليا
هى الاولى بالرعاية فى منظور السياسة الخارجية المصرية .

وآمل أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت فى تجلية بعض جوانب هذه
الفترة الهامة من الصراع العربى الاسرائيلى .

والله الموفق

عاطف السيد

يونيه ١٩٨٧

الفصل الأول

نتائج وآثار حرب يونيو ١٩٦٧

نتائج حرب يونيو ١٩٦٧ :

كانت القيادة السياسية المصرية تعرف تماما الاهداف الاستعمارية والصهيونية في المنطقة العربية ، ولكن لم يغن علمها عنها شيئا ، اذ اعطت اسرائيل الذريعة لشن العدوان في صباح الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، في الوقت الذي لم تكن فيه مستعدين لصد العدوان ودحره .

وقد أفضت حرب يونيو ١٩٦٧ الى نتائج خطيرة ذات آثار مدمرة على مستقبل العالم العربي . فعلى المستوى السياسى ، بدأ لاسرائيل ان الامة العربية التى اذهلتها الهزيمة لابد ان ينتهى الأمر بها الى الاستسلام ، غير ان الشعب العربى اخذ يفيق من هول الصدمة وبدأ يمد تنظيم صفوفه لمواجهة الاوضاع الجديدة .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد أصبحت المبادأة السياسية في منطقة الشرق الاوسط في جانب اسرائيل ، كما بقى وجودها في الاراضى العربية المحتلة عنصرا من عناصر الضغط المسكرى والمسلومة السياسية . كذلك فقد استطاعت اسرائيل الحصول على تأييد جزء هلم من الرأى المسلم العالمى بعد ان نجحت في ابراز قضيتها على انها دفاع عن وجود ضد محاولة لتدمير هذا الوجود .

وعلى المستوى العربى ، فقد برزت ضرورة توحيد الجهود والعودة الى العمل الجماعى العربى ، فانعقد مؤتمر القمة في الخرطوم في التاسع والعشرين من اغسطس عام ١٩٦٧ . وقد تقرر في هذا المؤتمر ان تدعم السعودية والكويت وليبيا اقتصاديا الدول العربية التى داهمها العدوان حتى « ازالة آثار العدوان » . وقد تكثف مؤتمر الخرطوم عن لن القاهرة لم تعد بعد المصاصة الاولى في صنع المصير العربى .

١٠٠

أما بالنسبة لمجموعة عدم الانحياز ، فقد فقدت مصر خلال السنوات التي أعقبت حرب يونيو كثيرا من تأثيرها داخل هذه المجموعة ، كما خفت موازين مصر في الدائرة الأفريقية ، وعلى الرغم من وقوع العدوان الاسرائيلي على دولة أفريقية هي مصر ، فلم تقطع سوى دولة أفريقية واحدة هي غينيا علاقاتها باسرائيل .

أما على المستوى العالمي ، فقد اكتملت القطيعة التامة في العلاقات المصرية الأمريكية ، بعد أن اتهم جمال عبد الناصر الولايات المتحدة بالتواطؤ مع اسرائيل . وقد تجسدت تلك القطيعة في صورة قطع العلاقات الدبلوماسية وترحيل جميع الأمريكيين عن مصر . وترسنت خطى عبد الناصر عدة دول عربية ، كما قطعت مصر علاقاتها الدبلوماسية ببريطانيا والمانيا الغربية ، غير أن هذا الاختلال في العلاقات الدبلوماسية لم يكن في صالح مصر . فقد كان البديل المتاح هو توثيق العلاقات مع الاتحاد السوفيتي لدرجة أجبرت مصر على الارتقاء في أحضانه .

وعلى المستوى الاقتصادي ، فقد سددت الحرب الى الاقتصاد المصري ضربة شديدة افضت الى خسائر جسيمة . وتشمل هذه الخسائر ضمن ما تشمل ، دخل قناة السويس بعد تعطيل الملاحة فيها ، وقد كانت من أهم مصادر النقد الأجنبي (١١٠ مليون جنيه) . وامتد تأثير غلق القناة الى ميناء عدن فركد النشاط الاقتصادي فيه وفقد كثير من العمال عملهم . هذا بالإضافة الى حرمان مصر من إيرادات بترول سيناء ، والدخل السياحي بسبب ظروف الهزيمة والاستعداد للحرب ، الى جانب الخسائر في الأسلحة والمعدات والمنشآت العسكرية .

كما كانت المدن والمناطق المأهولة بالسكان ، والمنشآت الصناعية الواقعة على مقربة من القوات الاسرائيلية ، هدفا لانتقامها وطعها لنيرونها . وقد توقف الانتاج في بعض المنشآت الاقتصادية التي استهدفتها العدو مما أدى الى زياده الاعباء الاقتصادية للدولة .

كما كانت للحرب نتائج ضارة بالاقتصاد الأردني ، فقد خسر الأردن الضفة الغربية . أهم مناطق الانتاجية ، وأعلن الملك حسين أن نصف بلاده قد تهدم وأن بلاده لن تلبث أن تنهار تماما .

وعلى الجانب الآخر ، فقد كانت للحرب نتائج ايجابية على اقتصاد اسرائيل . ففي خلال الفترة من عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٦٧ بلغ معدل التوسع الاقليمي ٦,٧٪ مما أتاح للاقتصاد الاسرائيلي فرص استغلال الموارد الطبيعية وبشرية جديدة .

لقد استفادت اسرائيل من القوى البشرية في الضفة الغربية وقطاع غزة بالعمل في المشروعات ومجالات الاقتصاد الاسرائيلي كمنتجين ، كما استفادت منهم كمستهلكين يمثلون اتساعا أفقيا في حجم السوق أمام المنتجات الاسرائيلية .

هذا بالإضافة الى استغلالها الموارد الطبيعية في الأراضي المحتلة لاسيما البترول والنحاس ، وزيادة دخلها من السياحة نتيجة احتلالها الاسكن المقدسة وسيناء ، والمكاسب التي حققتها من بيع الأسلحة العربية المستولى عليها . كذلك فقد استفادت اسرائيل من زيادة المنح والمساعدات الاجنبية والقروض ، ففي عام ١٩٦٧ بلغت مبيعات سندات اسرائيل في الخارج ٢١٧,٥ مليون دولار بينما كانت في العام السابق ٩٠,٩ مليون دولار وفي العام اللاحق ١٣٠,٥ مليون دولار .

وقد نتج عن ضمان حرية الملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة ، توطد علاقات اسرائيل الاقتصادية ببعض دول افريقيا وآسيا عبر البحر الأحمر ، إذ أنها اغتنمت الفرصة بعد انتصارها وزيادة وزنها في تظر بعض الدول الافريقية وتبنت حركة تصدير واسعة للسلع والخبرات الفنية والبشرية فضلا عن حركة استيراد المواد الخام الافريقية رخيصة الثمن التي يسهل نقلها عبر البحر الأحمر .

واذا انتقلنا الى النتائج العسكرية لروعتنا ضاخماتها ، فقد تمكنت اسرائيل من هزيمة ثلاثة جيوش عربية وتدمير القسم الأكبر من أسلحتها ومعداتها ، واستولت على شبه جزيرة سيناء والضفة الغربية لنهر الأردن ومرتفعات الجولان السورية ، ونجحت في أن توجه الى قواتها الضربة التي طالما استعدت لتوجيهها وبلغت في ذلك درجة من النجاح فاقت كل أحلامها .

- ١١٢ -

وقد أعلنت المصادر الرسمية المصرية أن مصر خسرت في حرب يونيو ١٩٦٧ ، ألفا وخمسمائة ضابط شهيد ، عشرة آلاف جندي شهيد بالإضافة الى خمسمائة ضابط أسير ، وخمسة آلاف جندي أسير ، بينما أعلن الاسرائيليون أنهم خسروا ٢٧٥ قتيلًا ، و ٨٠٠ جريح في جبهة سيناء .

وبالنسبة الى الخسائر المادية ، فقد أعلنت مصر عن تدمير ٨٠٪ من الأسلحة والمعدات ، كما كشفت التحقيقات التي جرت في أعقاب النكسة العسكرية مع قادة القوات الجوية المصرية عن أنه لم يبق من المقاتلات والمقاتلات القاذفة بعد الضربة الجوية الاسرائيلية بسوى ٦٤ طائرة من ٢٠١ طائرة كانت صالحة للقتال ، على حين أعلنت اسرائيل أنها خسرت ٢٠ طائرة مقاتلة قلعة في الضربة الجوية المركزة ، ٦١ دبابة في القتال في جبهة سيناء .

أما من الناحية الاستراتيجية فقد حقق احتلال اسرائيل الأراضي العربية أهم جوانب أمنها إذ توافرت لها حدود طبيعية وشكل جغرافي مناسب وعمق استراتيجي كاف الى حد بعيد بعد أن احتلت خطوطا تمر فوق موانع طبيعية مناسبة ، كما اتسعت جبهة اسرائيل وتعددت منافذها الاستراتيجية بزيادة نشاطاتها المختلفة مع الدول الافريقية والآسيوية .

وقد أدى وصول العدو الى قناة السويس على الجبهة المصرية ومرتفعات الجولان السورية على الجبهة السورية ونهر الأردن على الجبهة الأردنية الى تقليص العمق الاستراتيجي العربي ، كما شكلت هذه الموانع عقبة أمام القوات العربية عندما اتاحت لها الظروف للتحويل الى الهجوم المستمر .

وقد أثبتت الحرب أن التفوق البشري والاقليمي للقوى العربية لا يستخدم بطريقة فعالة ، لذلك برزت أهمية توحيد القوى العربية الثورية في جميع البلاد العربية في الجبهة الممادية للصهيونية والاستعمار ، وعدم اثارة معارك فرعية جانبية تعرقل أو تبدد جهودها المشتركة .

آثار نكسة يونيو ١٩٦٧

الآثار السياسية وانعكاساتها على المجتمع العربي :

كانت لحرب يونيو ١٩٦٧ أصداء بعيدة المدى لدى الراى العلم السالى ، ففى الولايات المتحدة كان الراى العلم أكثر تعاطفا مع اسرائيل ، كما كانت القيادات الحزبية ومعظم التونجرس — غالبا — أشد تحيزا لاسرائيل من البيت الأبيض . وفى غرب أوروبا كان صدى حرب يونيو فى فرنسا أكثر وضوحا منه فى بريطانيا ، ذلك لأن الحكومة البريطانية كانت تنسق سياستها مع الولايات المتحدة . وقد كانت الحكومة الفرنسية أسبق الى فهم الحقائق من غيرها ، وقد تعرض الجنرال ديغول بسبب موقفه الحيادى وانتقاده اسرائيل لبدئها بالعدوان لحملة مضادة أثرت فيها بعد على مركز حكومته ، كما كان الاشتراكيون أشد تعاديا وتأييدا لاسرائيل من غيرهم . أما دول وسط أوروبا والدول الصغيرة بصفة عامة فقد كانت أميل الى اسرائيل لعدم وجود مصالح اقتصادية هامة لها فى العالم العربى ولقلة اتصالاتها الخارجية . وقد تمثل موقف الاتحاد السوفيتى ودول أوروبا الشرقية فى الدعوة الى ايجاد حل سلمى للصراع العربى الاسرائيلى وتقديم المساعدة والعون الى مصر وسوريا .

على حين اكتسبت اسرائيل فى الدول الأفريقية نفوذا قويا بعد ان فقد العرب كثيرا من وزنهم السياسى ومكانتهم الدولية . وقد استغلت اسرائيل هذه الفرصة لاستقطاب الراى العلم الأفريقى ومحولة طمس القضية العربية ، وحققت اسرائيل بعض النجاح حيث تراخت الدول الأفريقية ازاء القضية العربية . وقد بدا ذلك فى اتخاذ الكثير من الدول الأفريقية مواقف أقل تأييدا للجانب العربى أدت الى منع الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها الطارئة عام ١٩٦٧ من اتخاذ قرار بشأن الانسحاب الاسرائيلى من الاراضى العربية المحتلة مما شكل صدمة للجانب العربى .

وعلى الجانب الآخر فقد اختفت صورة اسرائيل باعتبارها قطرا صغيرا محاطا بجيران أقوياء يوشكون على التهامه .

أما على الصعيد العربى ، فقد أساعت تلك الهزيمة القاسية الى العرب بحساسة عملة ومصر بصفة خاصة باعتبارها عاصمة العرب

استراتيجيا والقوة الوطنية الأولى التي يقع عليها عبء الدفاع عن العالم العربى . وقد وجد العرب فى الهزيمة التى حلت بهم ، الدليل على عجزهم عن الصمود فى حرب حديثة ، كما أدت حرب يونيو الى تفاقم الانقسامات فى العالم العربى خلاصة فى أعقاب صدور قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، كما توالى الانقسامات داخل القطر العربى الواحد ، كذلك اجتجبت قضية فلسطين وفترت دعوة القومية العربية .

وفى مصر اغتنم جمال عبد الناصر الفرصة وزاد من سلطاته حيث جمع بين رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة وأمانة الاتحاد الاشتراكى ، كما استرد سيطرته على الجيش ، وقد دخل فى روع عبد الناصر أن هناك أملا فى تغيير مجرى الحوادث بعد أن جمع عناصر القوة فى يده .

الذى اغتنم جمال عبد الناصر بتبعية الهزيمة على القيادة العسكرية متناسيا أنه هو الذى أثار الأزمة السياسية العسكرية الى درجة المواجهة المسلحة مع إسرائيل على الرغم من أنه كان يعلم الحقائق المرة عن القوات المسلحة المصرية بعد أن انعكست عليها الآثار الضارة لحرب اليمن .

ولم يكن الراى العلم المصرى يدرك تماما أبعاد الهزيمة عندما وقعت . ولكنه استفاق بعد أن بدأت الأمور تتضح أمامه خاصة بعد الجدل الذى أثير فى محاكمات العسكريين الذين نسبت اليهم مسئولية الهزيمة ، ثم مشاجرة الراى العلم بصدد الأحكام المخففة عليهم مما أثار الريبة وجعل الناس يدركون أن هناك مسئولين كبارا عن الهزيمة ، وأن الذين قدموا الى المحاكمة ليسوا سوى ستار زائف ، فانطلقت المظاهرات فى فبراير عام ١٩٦٨ من مصانع حلوان وامتدت الى فئات أخرى . فخرج طلبة جامعة عين شمس فى مظاهرات صاخبة تندد بفساد النظام الناصرى وتعلن مسئولية عبد الناصر عن الهزيمة « لا صدقى ولا الغول (١) » ، عبد الناصر هو المسئول » ، ودوت هتافات الطلبة مطالبة بالتغيير وإطلاق الحريات .

(١) هما الفريق أول طيار محمد صدقى محمود قائد القوات الجوية المصرية ، واللواء صدقى عوض الغبول قائد الفرقة الرابعة المدرعة فى حرب يونيو ١٩٦٧ .

وقد استطاع عبد الناصر ، بواسطة قوات الأمن ، أن يفض تلك المظاهرات ، غير أنه كان يدرك تماما أن النار مازالت تحت الرماد ، وكان لابد من فعل شيء بمتص ثورة الجماهير حتى اهتدى هو ومستشاروه الى اصدار بيان ٣٠ مارس سنة ١٩٦٨ .

أصدر عبد الناصر بيان ٣٠ مارس كمخدر طويل المفعول للرأى العام فى مصر ، ولكن خاب ظنه بعد أن تجددت المظاهرات فى نوفمبر ١٩٦٨ . وبدأت هذه المرة من المنصورة ، ثم انطلقت كالسيل العارم من جامعة الاسكندرية وتدفقت على شوارعها ثم امتدت الى القاهرة ، مما أجبر الحكومة على اغلاق الجامعات لمدة شهرين .

وسعت الحكومة الى تحويل القضاء المصرى فى عام ١٩٦٩ من سلطة مستقلة الى جهاز تابع للاتحاد الاشتراكى العربى ، وجبر القضاء الى مهوى السياسة . وكان مما قاله على مسرى فى مقال نشره فى جريدة الجمهورية تبريرا لذاك « ان رجال العدالة يعاب عليهم أنهم كونوا طبقة انفصلت عن المجتمع واسبحت أحكامها فى غير صالح المجتمع . بل لصالح المستغلين والمنحرفين الذين لم تصدر الأحكام ضدهم لعدم ثبوت الجريمة حيث أن التفتيش كان باطلا أو لعدم كفاية الأدلة للدانة » . وعندما قاوم القضاء هذه الغزوة المهجية مثلما نددوا من قبل ، ببيان ٣٠ مارس فى بيان قوى أعلنوا فيه احتجاجهم على اساليب النظام الناصرى ، لم يتوان جمال عبد الناصر عن اتخاذ اجراءات صارمة ضدهم ، أفضت الى فصل ثلاثمائة قاض دفعة واحدة فى أغسطس عام ١٩٦٩ ، فيما عرف بمذبحة القضاء . ومما يثير الأسى ان اثنين من القضاة سعيًا بالوشاية بزملائهم فى عام ١٩٦٨ عند محمد ابو نصير ، وزير العدل آنذاك ، الذى سارع الى ابلاغ جمال عبد الناصر .

ولكن القدر لم يمهل جمال عبد الناصر حتى يجنى ثمار سيطرة التصفى ، فقد رحل فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، وتولى أنور السادات بتقليد السلطة فى مصر .

وقد أعلن السادات أن عام ١٩٧١ هو عام الحسم ، لما انقضى ذلك العام دون حسم أخذ النلس يسخرون منه ، وشهدت الجامعات المصرية في يناير سنة ١٩٧٢ أول مظاهرات معادية تقع في عهده . ولكنه لم يتبع سياسة عبد الناصر في معالجة الموقف وذلك باغلاق الجامعات حتى لا يظهر بظهر الضعف خاصة وأنه في بداية حكمه ، انما عالج الامر بمد اجازة نصف السنة . ثم اتبع سياسة التفرقة فلجا الى أسلوب ضرب جماعات المعارضة بعضها ببعض ، فشجع الجماعات الدينية على ضرب المعارضة اليسارية .

الا أن أنور السادات عاد الى اتباع سياسة عبد الناصر حين اصدر قرارا باغلاق الجامعات في ٤ يناير ١٩٧٣ ، وذلك عندما تجددت مظاهرات الطلبة على نطاق اوسع بكثير من تلك التي وقعت في العام السابق . ولم يقف الأمر عند مظاهرات الطلبة ، بل تعداها الى الكتب والمثقفين واستاذة الجامعات ، الذين وقع معظمهم على عرائض تندد بسياسة الاسلام والاحزاب .

ولم تكن ثمار حرب يونيو وقفا على مصر وحدها ، انما انتشرت في كل شبر من الأرض العربية . ففي الأردن تغير تركيب البلاد جغرافيا وسكانيا بعد أن فقدت المملكة الأردنية الهاشمية الضفة الغربية التي يمثل سكانها خمسين بالمئة من مجموع السكان ، وبذا خضع نحو مليون عربى للاحتلال الاسرائيلى . ويختلف هذا الوضع تهما عن الوضع في هضبة الجولان أو شبه جزيرة سيناء اللتين تفتقران الى الكثافة السكانية .

وقد سيطرت على الأردن المخاوف من أن يتكرر الخروج الجماعى من الضفة الغربية على غرار ما حدث في فلسطين عام ١٩٤٨ ، خاصة وأن للاسرائيلىين دغوى تاريخية فيّ الضفة لا يخفونها في أى وقت . لذلك وجه الملك حسين نداء الى سكان الضفة الغربية ينشدهم البقاء في أملاكهم وعدم ترك ديارهم الاى سبب كان . واستجاب معظم سكان الضفة فلم تحدث سوى عملية هجرة محدودة بدأت منذ عام ١٩٦٧ واستمرت طوال السنوات التالية ، الا أن حركة الهجرة أخذت تنشط شيئا فشيئا لضيق سبل العيش ، كما توسعت اسرائيل في انشاء المستوطنات . ويتضح

من ذاك أن الملك حسين كان يسعى إلى تطويق آثار الاحتلال في أعقاب حرب يونيو ، ووصل به الأمر إلى فتح باب النضال أمام الفدائيين فأنطلقوا من الأردن لمهاجمة الأهداف الإسرائيلية في الأراضي المحتلة .

غير أن الفدائيين لم يحسنوا التعامل مع الساطات الأردنية وأصبحوا يكونون دولة داخل الدولة ، كما أن الآثار الإسرائيلية من غارات الفدائيين لم يترك شرق الأردن يعيش في أمان . وقد أدى ذلك إلى الصدام بين النظام الأردني والفدائيين ، فكانت مذابح أيلول سنة ١٩٧٠ التي كانت خطوة نحو ابتعاد الأردن عن الصراع مع إسرائيل . ثم أعقبها الخطوة الثانية المتمثلة في مشروع الملك حسين الذي دعا إلى إقامة مملكة متحدة بين ضفتي الأردن مع السماح بشبه حكم ذاتي للفلسطينيين في إطار المملكة الأردنية ، إلا أن هذا المشروع تعرض لنقد شديد من جانب مصر وسوريا . وقد أدى الاعتراف الدولي بمنظمة التحرير الفلسطينية إلى اعتراف الملك حسين في مؤتمر الرباط سنة ١٩٧٤ بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في الضفة وغزة . ومن هنا تبدل وضع الأردن حيال الصراع العربي الإسرائيلي إذ لم تعد للحكومة الأردنية مشكلة أرض محتلة .

أما سوريا ، فكانت ردود الفعل الشعبية فيها خافتة ، وقد اغتنم النظام العلوي الفرصة واتخذ من الحرب ذريعة ليتقضى على معارضة الإخوان المسلمين للنظام ويشدد من قبضته على الشعب السوري . ثم أخذ النظام الحاكم يطلق الشعارات التي تنادي بالحرب الشعبية على الرغم من إيقافه نشاط الفدائيين عبر الحدود السورية الإسرائيلية .

بيد أنه لم يحدث تغيير جذري في النظام السوري ، إنما اقتصر على تبديل المواقع بين شخصيات النظام الحاكم تدريجيا ، وبدأ باستبعاد اللواء أحمد سويدان رئيس الأركان السوري بعد ستة أشهر من الهزيمة . أما الثالث الذي كان يحكم سوريا خلال حرب يونيو ، المؤلف من نور الدين الاتاسي رئيس الدولة ويوسف زعين رئيس الوزراء وإبراهيم ماحوس وزير الخارجية فقد اختتم، دون ضجة .

كما أن الصراع على السيادة بين الاءاء حافظ الأسد وزير الدفاع واللاء صلاح جديد رئيس المخابرات قد حسم لصالح حافظ الأسد ، الذى وصل الى رئاسة الدولة بعد قليل ، ولكن لم تغير حرب يونيو الاتجاهات الدبلوماسية السورية كما غيرت من دبلوماسية مصر (١) .

الآثار الاقتصادية :

اجتمعت الآثار السلبية ليمر الاقتصاد المصرى بفترة انكماش متصاعدة . والمتبع لحركة نمو الاقتصاد المصرى ، يجد أنه شهد بداية نهضة اقتصادية خلال النصف الأول من الستينيات ، وذلك من خلال الخطة الخمسية الأولى ١٩٦٥/١٩٦٠ ، التى كان من أهم أهدافها تحقيق زيادة فى الدخل القومى قدرها ٤٠٪ بالمقارنة بعام ٦٠/٥٩ . وقد ترتب على هذه الخطة أن حقق الدخل القومى زيادة بنسبة قدرها ٣٧٪ بالأسعار الثابتة ، كما بلغ معدل نمو الدخل الفردى ٣٦٪ سنوياً بالإضافة الى إتاحة فرص عمل جديدة لنحو ١٣ مليون عامل . ونتيجة لحرب اليمن ، فقد ارتفع عجز ميزانية الدولة من ٦٦١ مليون جنيه عام ١٩٦٠/٥٩ الى ٣٥٦ مليون جنيه عام ١٩٦٥/٦٤ .

وقد أدى هذا العجز فى الميزانية واللجوء الى القروض الى اتباع سياسة الانكماش فى السنوات التالية للحد من الاستهلاك وتنمية الادخار . وازدادت الأحوال الاقتصادية سوءاً بزيادة الانفاق فى حرب اليمن مما أفضى الى توقف العمل بالخطة الخمسية الثانية وبدء العمل بخطة سنوية .

ومنذ حرب يونيو عام ١٩٦٧ والاقتصاد المصرى يمر بفترة انكماش وبطء فى النمو ، فقد هبط متوسط المعدل السنوى لنمو الناتج المحلى الاجمالى الفعلى عن الفترة من ١٩٦٧ الى ١٩٧٣ الى ٣٠٪ ، وهكذا هبط نمو اقتصادنا الى النصف تقريباً ، اذ كان ٦٥٪ فى النصف الأول من

(١) صلاح العقاد ، السادات وكامب ديفيد ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٢٥ .

المستبقيات . كما أن تحويل الموارد لخدمة اغراض الحرب قد أدى الى تدهور برامج التنمية كما ونوعا ، وبالتالي تدهور الهياكل الأساسية والقدرات الانتاجية في المجتمع فلنخفص مستوى المعيشة خاصة في المناطق الحضرية ونشأت مشاكل التنسخم وعجز الميزان التجارى وميزان المدفوعات وتناقص الديون واستحكام الأزمة الاقتصادية . كذلك قامت مصر بتنفيذ ميزانية الطوارئ ، وزيادة بعض فئات الضرائب وفرض ضرائب جديدة ورفع اسعار بعض المواد حتى يتمكن الاقتصاد المصرى من الصمود . وعلى الرغم من اسهام مؤتمر قمة الخرطوم المنعقد في أغسطس ١٩٦٧ في سد بعض النقص في العملات الصعبة ، فان ذلك لم يمنع مصر من اللجوء الى القروض الأجنبية ذات الفائدة المرتفعة .

وقد كان أحد الأسباب الرئيسية في ازدياد العجز القومى هو تعثر جهود التنمية نتيجة اتجاه الموارد نحو الانفاق العسكرى على حساب الاستثمارات المدنية .

وتدققت الموارد التى يمكن توجيهها الى التنمية بسبب نزاياد الانفاق الاستهلاكى العام سنة اثر سنة ، كما يتضح ذلك من الجدول الآتى :

السنة	الناسخ المحلى الاجمالى بالسعر الجارى	الاستهلاك العائلى الى الناسخ المحلى	الاستهلاك العائلى الى الناسخ المحلى	الاستهلاك الى الناسخ المحلى	الاستهلاك الى الناسخ المحلى	الاستهلاك الى الناسخ المحلى
٦١/٦٠	١٤٥٩٠٦	٩٩٣٠٦	٧٨٠٠٧	٢٥٥٠٩	١٧٠٥٣	٨٥٠٦٠
٦٦/٦٥	٢٤٥٤٠٩	١٥٨٣٠٢	٦٤٠٤٩	٤٨١٠٩	١١٠٣٥	
٧١/٧٠	٣١٤٥٠٥	٢٠٦٥٠٨	٦٥٠٦٧	٧٩٤٠٣	٢٥٠٢٤	٩٠٠٩١
٧٢/٧١	٣٣٣٦٠٧	٢٢٠٧٠٦	٦٦٠١٦	٨٨٣٠٢	٢٦٠٤٦	٩٢٠٦٢

المصدر : الناتج المحلى والاستهلاك العائلى والعام من تقارير متابعة النمو - وزارة التخطيط سنوات مختلفة .

وجدير بالذكر أن زيادة نسبة الاستهلاك الى الناتج القومي قد أدت الى انخفاض نسبة الادخار بصورة كبيرة مما أسهم في خفض معدل النمو في الناتج القومي . والمتتبع لتطور هبوط الادخار المحلي للناتج القومي يجد أن نسبة الادخار المحلي الى الناتج القومي قد انخفضت من حوالي ١٤٪ عام ١٩٦٥/٦٤ الى ٨٪ تقريبا في النصف الأول من السبعينيات ، بينما ازدادت نسبة الاستهلاك العام من ١٧ر٥٣٪ عام ١٩٦١/٦٠ الى ٢٦ر٤٦٪ عام ٧٢/٧١ . وقد نجم عن نقص المدخرات القومية وزيادة الاستهلاك العام وهبوط حجم النشاط الاقتصادي ، بدء ظهور الضغوط التضخمية في مصر بشكل واضح خلال الفترة من عام ١٩٦٧ الى عام ١٩٧٣ وما بعدها ، فتزايد العجز في ميزانية الدولة وازداد بالتالي الاعتماد على الدين العام المصرفي وزيادة الاصدار النقدي . ويوضح الجدول التالي مجمل هذه التطورات .

عجز ميزانية الدولة وتطور الدين المصرفي
وفائض المعروض النقدي (بالمليون جنيه)

السنة	٦١/٦٠	٦٦/٦٥	٧١/٧٠	٧٢/٧١	٣/٧٢
عجز الموازنة العامة	١٥٩ر٦	٢٤٨ر٩	٢٦٥ر٩	—	٣٣ر٥
حجم الدين العام	٣٢٣ر٣	٥٧٠ر٠	٦١٦ر٦	٦٩٦ر٥٦	٩٢ر٨
فائض المعروض النقدي	١١ر٥	٦ر٢	٢٥ر١	٤١ر٠	٨٦ر١

ويوضح هذا الجدول أنه في نفس الوقت الذي كان يتزايد فيه عجز الموازنة العامة ، كان يتزايد أيضا حجم الدين المصرفي . كما يكمل عجز الميزان التجاري والمعاملات الجارية صورة زيادة الأعباء القومية عن الناتج القومي بسبب أضرار الحرب وانخفاض معدل النمو . وقد ترتب على نمو الديون الخارجية بمعدلات كبيرة وارتفاع أعبائها ، أن وصل معدل خدمة الديون الى ٣٥٪ في عام ١٩٧٣ ، وهو أعلى معدل سجلته الاحصاءات الدولية في الآونة الأخيرة . على حين أدى ضياع الضفة الغربية لنهر الأردن الى حرمان المملكة الأردنية الهاشمية من إنتاجها

خاصة الانتاج الزراعى ومن الايدى العاملة الرخيصة ، مما اثر بشدة على حجم النشاط الاقتصادى والدخل القومى للمملكة .

العلاقات العربية فى أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ :

أصبحت مكانة مصر فى المنطقة العربية بعدة نكسات ابتداء من نكسة الانفصال التى سددت ضربة قوية الى وضع القيادة المصرية للعالم العربى وانتهاء بالتورط فى اليمن الذى انتهى فى ديسمبر ١٩٦٧ . ولما كانت قيادة مصر للعالم العربى قد اختلطت بقيادة عبد الناصر له ، فقد أثرت تلك النكسات تأثيرا ضارا مباشرا على الزعامة الناصرية . غير أن عبد الناصر تمكن قبيل حرب يونيو - بعد تصعيد الأزمة مع إسرائيل من أن يستقطب الزعامة العربية دون منازع . ولكن بعد هزيمة يونيو أخذت تنحسر تلك الزعامة تدريجيا ، وبدأ تألق شخصيات عربية على مسرح الصراع العربى الاسرائيلى ، من أمثال الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف والرئيس الجزائرى هوارى بومدين . وتضاءلت النزعة المتشددة عند جمال عبد الناصر ، وبدأ يتخذ موقفا وسطا بين فريق المتشددين العرب وفريق المعتدلين .

وقد نتج عن هذا التحول امكان عقد اجتماع قمة يحضره ملوك ورؤساء الدول العربية ، خاصة بعد أن اتضحت ضرورة العودة الى العمل الجماعى العربى . وعبر عن ذلك جمال عبد الناصر فى رسالة بعث بها الى الملك حسين فى ٢٢ يونيو ١٩٦٧ حيث قال : « ان من الزم الأمور الآن ألا ندخر جهدا فى تجميع طاقة عمل عربى موحد يقدر على أداء دوره بالنسبة للخطر الداهم على الأمة العربية كلها وعلى مصر شعبها وحتى على قاداتها مهما اختلفت الآراء بينهم » . وأيد الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف الدعوة الى عقد مؤتمر قمة عربى لأن ذلك يتعلّق « بتسوية الجو العربى وتقوية وحدة الصف والمصير المشترك فى القضية الفلسطينية » .

وكانت اولبادرة للتضامن العربى قد ظهرت فى اجتماع وزراء الخارجية العرب يوم ١٨/٦/١٩٦٧ حيث تم الاتفاق على توحيد كلمة

العرب وتأييد موقف دول المواجهة مع التصميم القاطع على استمرار قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة ، وحظر تصدير النفط إليها .

ثم كان لقاء الصومود العربى فى القاهرة فى الفترة ما بين ١٣ — ١٧ يوليو ١٩٦٧ بين الملك حسين والرؤساء عبد الناصر والأتلى وبومدين وعبد الرحمن عارف واسماعيل الأزهرى ، حيث اتفقوا على سفر الرئيسين هوارى بومدين وعبد الرحمن عارف الى موسكو فوراً لاجراء محادثات سرية وعاجلة مع انقادة السوفييت ثم يعودان الى القاهرة للإبلاغ عن نتيجة المحادثات .

وقد اجتمع الرئيسان بومدين وعارف بالزعماء السوفييت فى موسكو خلال يومين ، حيث تاکد لهما انباء السوفييت الى تفضيل العمل الدبلوماسى مع تقسيم المساعدات الاقتصادية الى الدول العربية التى انسرت من العدوان ، وحث العرب على تبنى فكره انتهاء الحرب مع اسرائيل حتى يكسبوا انصواتا تؤيد نسبتهن فى الأمم المتحدة . كما اتضح ان المسكر الاشتراكى لا يشجع العرب على اللجوء الى استخدام القوة .

عاد الرئيسان العراقى والجزائرى الى القاهرة ، وبعد مناقشات دامت يومين اقترح محمد احمد محجوب ، رئيس وزراء السودان ، ضرورة تحرك العرب فى اطار حل سياسى ، وطلب دعوه وزراء الخارجية انسرب الى مؤتمر يمتد فى الخرطوم فى اوائل أغسطس عام ١٩٦٧ لوضع جدول اعمال مؤتمر القمة العربى .

ومنذ عقد مؤتمر القمة العربى الرابع فى الخرطوم فى انصره ما بين ٨/٢٩ — ١٩٦٧/٩/٢ (١) ، وحضره الملوك والرؤساء ووزراء الخارجية واحمد الشقيرى ، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، وتخلفت سوريا عن الحضور . وقد تقرر فى مؤتمر الخرطوم ان تدفع انخريت ٥٥ مليون جسيه استرلىنى ، والسعودية خمسين مليوناً ، وليبيا ثلاثين مليوناً ، ونوزع

(١) تفاصيل ما دار فى هذا المؤتمر من مناقشات علنية فى الاسرام .
٣٠ ، ٣١ أغسطس ١٩٦٧ .

هذه المبالغ على مصر وسوريا والأردن . وفي البيان الختامي أقر المؤتمر ضرورة تحقيق وحدة الصف العربي ، كما حدد القرار الجماعي إطار الحل السياسي في عدم التفاوض مع إسرائيل أو الاعتراف بها أو الصلح معها . ويكشف أحمد الشقيري عن أن اللاهات الثلاث (لا تفاوض ، لا اعتراف ، لا صلح مع إسرائيل) من صنعه هو ، وأن مؤتمر القمة في الخرطوم قد أقرها تحت ضغط منظمة التحرير الفلسطينية وتهديد وفدها بالانسحاب (١) .

وفي مؤتمر الخرطوم ، تم الاتفاق بين مصر والسعودية على تسوية مشكلة اليمن وعودة باقي القوات المصرية إلى مصر تنفيذا لقرار الحكومة المصرية سحب قواتها من اليمن . وتبرز أهمية مؤتمر الخرطوم في أنه غطى على الخلافات العربية بصورة مؤقتة ، غير أن قرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، أحدث انقساما بين الدول العربية وأثار ردود فعل متباينة . وعموما فقد انتهى عام ١٩٦٧ بقبول معظم الرأي العام العربي تلك التسوية التي طرحتها المنظمة العالمية . إلا أن سوريا أعلنت رفضها للقرار ، وحذت حذوها حركة المقاومة الفلسطينية ، إذ كانت تهدف إلى تحرير فلسطين المحتلة وإقامة دولة فلسطينية ديمقراطية بعد تدمير كيان إسرائيل التوسسي العنصري . أما الأردن فقد أراد التوصل إلى تسوية سلمية مع إسرائيل ، وهو ما ظهر في مؤتمر الخرطوم وفي قبوله لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . غير أن مصر أبدت إصرارها على ضرورة الانسحاب الإسرائيلي وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين . وفي نفس الوقت فتحت سوريا الباب على مصراعيه أمام العمل الفدائي الفلسطيني ، وبذلك أصبحت حركة تحرير فلسطين (فتح) تمارس عملياتها الفدائية ضد إسرائيل من لبنان والأردن وسوريا ، وتوسعت علاقاتها العربية وازداد تأثيرها على المستويات الفلسطينية والعربية والدولية .

(٢) أحمد الشقيري ، ذكريات عن مؤتمر القمة في الخرطوم في : مجلة شؤون فلسطينية — إصدار مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٧ : بيروت ، العدد ٤ ، ١٩٦٧ .

وبعد قبول مصر قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ تحولاً أساسياً في موقف مصر من الصراع العربي الاسرائيلي منذ عام ١٩٤٨ ، فقد كان جمال عبد الناصر يقف بحساسة تجاه اسرائيل ويتبنى قضية تحرير فلسطين . لذلك شن حرباً شعواء على الحبيب بورقيبة حين قال : انه يمكن تطبيق سياسة المراحل على قضية فلسطين ، وان على العرب في المرحلة الحالية ان يحددوا مطالبهم بتنفيذ قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ . مع امكان الاعتراف باسرائيل اذا قبلت تنفيذ القرار ، وطالب بإنشاء دولة فلسطينية في الأراضي المحررة مرحلياً ، على ان يقوم الفلسطينيون وحدهم بحل لواء قضيتهم سياسياً وعسكرياً . ثم اننا نجد بعد عامين هذا التغيير الجوهرى في موقف جمال عبد الناصر ، الذى تجاوز ابعاد تصريحات بورقيبة بقبوله انهاء حالة الحرب والاعتراف باسرائيل في مقابل انسحاب قواتها الى حدود الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ . ويعتبر هذا الانراجيع نكوساً عن مواقفه المعلنة خزعيل للامه العربية ، التى طالما تنف سماعها بشعاراته العذبة التى لم تتحقق .

وقد تطلبت المواجهة مع اسرائيل تنسيق انتعاون مع سوريا والدول العربية الاخرى التى يمكنها التأثير في الموقف العسكرى . وعلى الرغم من رفض سوريا قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، فقد عقد جمال عبد الناصر معها اتفاقاً سرياً في عام ١٩٦٩ ، كشف عنه محمود رياض في مذكراته وعزا سبب سريته الى تجنب اثاره اسرائيل .

وبوصول نمرى والقذافي الى الحكم في السودان وليبيا في عام ١٩٦٩ ، اتيجت الفرصة امام جمال عبد الناصر لايجاد دائرة عربية محدودة تسير على نهجه . وقد طرحت في عام ١٩٧٠ فكرة ميلم اتحاد ثلاثى يضم مصر وسوريا وليبيا ، غير أن الاتحاد السوفييتى لم يكن رااضياً عن قيام هذا الاتحاد . وفي نفس الوقت تونشت علاقات مصر بالاردن ، فقد رأى عبد الناصر في الملك حسين ونظامه الجسر الباقى للاتصال بالولايات المتحدة سيما ان مصر والاردن قبلتا قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ دون سائر البلاد العربية . وعلى الرغم من قبول مصر ذلك القرار ، فانه لم يؤثر على علاقة منظمة التحرير الفلسطينية بها . ولكن ما ان اعلنت مصر قبولها مشروع

روجرز وشرعت في تطبيقه حتى دب الشقاق بين المنظمة والحكومة المصرية ، وبادرت اذاعة فلسطين الموجهة من القاهرة الى مهاجمة جمال عبد الناصر ، فما كان منه الا أن أوقف تلك الاذاعة . ثم اتسعت المهاترات الاعلامية وبلغت مدى بعيدا ، كما برزت الخلافات بين مصر وبعض الدول العربية وفي مقدمتها الجزائر التي رمت مصر بقبولها الحلول الانهزامية التسفوية الاستسلامية .

وكان الملك حسين ، منذ حرب يونيو ، يشعر بتحرج الأوضاع في شرق الاردن نتيجة قدوم أعداد كبيرة من الفلسطينيين يختلفون في المصالح المحلية مع سكان شرق الأردن الأصليين . وقد حدثت بعض المنازعات بين الجانبين . كما شهد عام ١٩٦٨ بدء السدام بين الجيش الاردني والفدائيين خلال شهرى فبراير ونوفمبر اثر مظاهرات قام بها الفلسطينيون في ذكرى تمسريح بلفور ، ثم هدأت الحالة نسبيا ابان عام ١٩٦٩ ، ثم تجددت المشاحنات في شهر يونيو ١٩٧٠ على نطاق واسع .

وكان بعض الوزراء الاردنيين يعارضون حركة المقاومة الفلسطينية مما أدى الى حدوث صدام بينهم وبين الزعماء الفلسطينيين ، الذين هدد بعضهم بالاطاحة بالملك حسين ما لم يستبعد الوزراء المعارضين للعمل الفدائي . وقد اضطر الملك حسين تحت ضغوط الفدائيين الى اقالة هؤلاء الوزراء في يونيو ١٩٧٠ . غير أن الملك حسين أضمر في نفسه شرا للفدائيين واخذ يتحين الفرص المناسبة للفتك بهم ، بعد أن أجبروه على التعديل الوزاري الاخير . وقد اجتمعت عده عوامل مواتية ساعدت الملك حسين على انفاذ خطته ، منها الاختلاف الذى حدث بين منظمة التحرير والحكومة المصرية بعد موافقة عبد الناصر على مشروع روجرز ووقف اطلاق النار في جبهة القنساء ، ومنها اطراد اعتماد منظمة التحرير على مساعدة وباييد النظام السوري لها ، ثم كانت أحداث اختطاف الطائرات واحجاز ٥٤ امريكيًا في أحد المطارات النائية بالاردن السبب المباشر الذى جعل الملك يقدم على تنفيذ خطته دون أن يخشى ردود فعل عربية مؤثرة . ولتنفيذ خطة القضاء على الفدائيين ، شكلت حكومة أردنية عسكرية برئاسة محمد داود في ١٦ سبتمبر سنة ١٩٧٠ .

وعندما بدأ تنفيذ الخطة ، دفعت سوريا بلواء مدرع الى الحدود الاردنية مما اضفى الى رد فعل امريكي على نطاق واسع ، مؤداه التدخل العسكري الامريكي في الأردن عند الضرورة .

وقد تراجعت سوريا وسحبت اللواء المدرع الى الاراضي السورية خوفا من تدخل عسكري اسرائيلي تدعبه الولايات المتحدة .

شعر جمال عبد الناصر بمسئوليته ازاء انقاذ الفدائيين من المذابح التي يتعرضون لها في الأردن ، فدعا الى مؤتمر قمة عربي حضره معظم الرؤساء العرب ، وتم التوفيق بين الأطراف المتنازعة حيث اتخذ المؤتمر قرارات تنظم علاقة الفدائيين والحكومة الأردنية ، ولكن بعد أن كان الجيش الأردني قد سحق اهم مواقع الفدائيين . غير أن أحداث سبتمبر (ايلول) لم تضع حدا للصراع بين حكومة الأردن والفدائيين ، فقد انتهن الملك حسين تغيير النظام السوري وقيام نظام جديد برياسة حافظ الأسد ، الذي لم يكن متحمسا للاقدام على مجابهة مع الاردن من أجل الدفاع عن الفدائيين ، وقام بنصفية المراكز المتبقية للفدائيين خلال شهر يوليو ١٩٧١ مما دعا بعض الدول البترولية الى اتخاذ قرارات بقطع المعونة عن الأردن . كما بادرت الجزائر الى قطع علاقاتها الدبلوماسية به ، وحذت حذوها مصر في العام التالي حين أعلن الملك حسين في مارس ١٩٧٢ عن مشروعه بانشاء المملكة الاردنية المتحدة .

الفصل الثاني

تطور الأوضاع السياسية والعسكرية

تطور الأوضاع السياسية :

سياسة مصر الخارجية بعد حرب يونيو ١٩٦٧ :

فقدت مصر بعد حرب ونيو ١٩٦٧ التوازن الذى طالما احتفظت به بين القوتين العظميين ، اذ انجذبت انجذابا شديدا الى الاتحاد السوفيتى ، بينما تنافرت تنافرا شديدا مع الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد تمثلت مظاهر هذا الانجذاب فى زيادة الوجود العسكرى السوفيتى على الاراضى المصرية ، فقد بلغ عدد الخبراء السوفيت العسكريين فى مصر ١٨ ألف خبير فى يوليو عام ١٩٧٢ (١) ، بالإضافة الى التسهيلات التى منحتها مصر للأسطول السوفيتى فى الموانئ المصرية (٢) . وقد بلغ هذا الاحتلال فى مداه بعقد « معاهدة الصداقة والتعاون » (٣) بين مصر والاتحاد السوفيتى فى ٢٧ مايو عام ١٩٧١ . وكانت فترة سريانها خمسة عشر عاما كما جاء فى مادتها الحادية عشرة . وقد وجد بعض المصريين فى هذه المعاهدة لونا من « الحملة المقنعة » .

أما الطرف الآخر وهو الولايات المتحدة الأمريكية فكانت الأمور تسير معه على نحو مخالف تماما ، فقد تحول الجفاء ، الذى صاحب علاقات مصر بالولايات المتحدة منذ عام ١٩٦٥ ، الى قطيعة كاملة فى أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ .

-
- (١) السياسة الدولية ، العدد ٤٥ يوليو ١٩٧٦ ، « الخلاف المصرى — السوفيتى » ، ص ٢٣٢ .
- (٢) من تصريحات الرئيس أنور السادات فى المؤتمر القومى فى ١٩٧٢/٢/٢٦ .
- (٣) نص المعاهدة فى مجلة السياسة الدولية ، العدد ٢٥ ، يوليو ١٩٧١ ، ص ص ٢٣٩ — ٢٤٠ .

— ٢٨ —

وهذا الموقف الناشئ يقودنا الى بحث موقف القطبين في المنطقة العربية في أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ .

اولا - الموقف السوفييتي :

أبدى الاتحاد السوفييتي اهتماما كبيرا بالعدوان الاسرائيلي على دول المواجهة العربية . وقد سلك في تأييده لها مسلكين : أحدهما معنوي دبلوماسي والثاني اقتصادي عسكري .

وفي الاتجاه الأول قاد الاتحاد السوفييتي حملة ضد اسرائيل في مجلس الأمن أثناء الحرب وفي الجمعية العامة فيما بعد ، ودعا دول أوروبا الشرقية الى عقد مؤتمر قمة ، وهو ما لم يحدث في أزمات خاصة بالعلماء الاشتراكي مثل أزمة الصواريخ في كوبا سنة ١٩٦٢ . واتخذ مؤتمر قمة الدول الاشتراكية وقرر قطع العلاقات الدبلوماسية بـ اسرائيل ولم تشذ سوى رومانيا . كما كان المشروع الالباني أكثر المشروعات التي قدمت من الدول الاشتراكية أو من غيرها للجمعية العامة في دورتها الطارئة تأييدا للحق العربي ، اذ تضمن ادانة اسرائيل ، والانسحاب غير المشروط من جميع الأراضي العربية والتعويض عن كل أثار العدوان ، والتأكيد بأن الجمهورية العربية المتحدة هي وحدها صاحبة السيادة على قناة السويس ومضائق تيران ، وهي وحدها التي تقرر ما اذا كان لاسرائيل أن تهر في أي ممر مائي في أراضيها .

كذلك قدم الاتحاد السوفييتي مشروعات لادانة عدوان اسرائيل سواء في الجمعية العامة أو في مجلس الأمن خاصة بعد العدوان على مدينة السويس ومعامل تكرير البترول بها .

وبينما كان الاتحاد السوفييتي يفضل العمل الدبلوماسي والمساعدات الاقتصادية ، كانت الصين تنادي بوجوب قيام العرب بحرب شعبية وعدم الاستسلام لوقف إطلاق النار .

وعلى الجانب الاقتصادي قدم الاسحاد السوفييتي عقب العدوان مباشرة ١٠٠ ألف طن قمح الى الجمهورية العربية المتحدة ، كما تم الاتفاق على أن

- ٢٩ -

يقدم ٣٥٠ ألف طن قمح خلال عام ١٩٦٨ . وإلى جانب المساعدات الاقتصادية التي قدمها الاتحاد السوفيتي، فقد عقدت الاجتماعات والمؤتمرات بين زعماء الدول الاشتراكية لبحث ما يمكن تقديمه من دعم للدول العربية . وقد جاء في بيان مؤتمر بودابست أن المجتمعين بحثوا التدابير التي تهدف إلى دعم القوى والامكانيات الدفاعية للدول العربية والاجراءات اللازمة لقيام تعاون اقتصادي طويل الأجل بين الدول الاشتراكية والدول العربية .

كذلك عقد مؤتمر في بلجراد الدول الاشتراكية صدر في نهايته بيان مشترك أعربت فيه دول أوروبا الشرقية عن استعدادها للتباحث مع الدول العربية حول الاجراءات اللازمة لدعم التعاون الاقتصادي معها . وقدمت بولندا قرضا مقداره عشرة ملايين دولار يسدد على عشر سنوات ، أما الصين الشعبية فقدمت ١٥٠ ألف طن قمح .

أما في المجال العسكري ، فقد سارع الاتحاد السوفيتي إلى امداد مصر بالأسلحة والمعدات منذ يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ مبتدئا بإرسال ٣١ طائرة ميغ ٢١ ، ٩٣ طائرة ميغ ١٧ . وقد وصلت خلال الشهر الأول بعد هزيمة يونيو أسلحة ومعدات باغ وزنها ٤٨ ألف طن تعريضا عن خسائر الحرب دون مقابل ، كما أرسلت بولندا والمانيا الشرقية ويوجوسلافيا طائرات ميغ ١٧ واسلحة للقوات البرية والدفاع الجوي .

وفي يوم ١٦ يونيو وصل وفد عسكري سوفيتي كبير بقيادة الجنرال لاشنكوف للمعونة في استقبال الأسلحة والمعدات وانشاء أول خط دفاعي غرب قناة السويس .

كما وصل في ٢١ يونيو الرئيس بروجورني ومعه مارشال الاتحاد السوفيتي زخاروف رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة السوفيتية وأجريا مباحثات سياسية وعسكرية مع وفد مصري برئاسة جمال عبد الناصر ، انتهت بالاتفاق على هدف محدد هو « ازالة آثار العدوان الاسرائيلي » واعطاء القوات المسلحة المصرية الأولوية في الدعم العسكري العاجل والمتطور . وقد أبدى عبد الناصر في خطابه أمام بروجورني يوم ٢١ يونيو

رغبته في التخلي عن سياسة «عدم الانحياز والتحالف الكامل مع الاتحاد السوفيتي» وكان مما قاله في هذا الخطاب «... والآن علينا أن نبحث كيفية تنليم علاقاتنا معكم ، نحن مستعدون أن نعتد اتفاقية سرية أو علنية » . وقال أيضا في معرض خطابه «... ان القيادة السياسية في الجمهورية العربية المتحدة على استعداد للانحياز اليكم ضد معسكر الاستعمار » (١) .

وقد طلب عبد الناصر اسهام الاتحاد السوفيتي بالمستشارين والخبراء العسكريين ، وزيادة قطع الأسطول السوفيتي في شرق البحر المتوسط . مع استعداد مصر لاعطاء تسهيلات له في الموانئ المصرية ليجاد توازن بين الوجود البحري السوفيتي والأسطول السادس الأمريكي ، كما طلب طائرة مقاتلة قاذفة بعيدة المدى حتى يمكن ردع اسرائيل في العمق اذا ما اعتدت على مصر . وقد وعد الوفد السوفيتي عبد الناصر بعرض هذه المدالب ومناقشتها في موسكو .

وبعد انمام المباحثات بين الجانبين المصري والسوفيتي ، غادر بودجورنى القاهرة يوم ٢٤ يونيو ١٩٦٧ تاركا المرشال زخاروف والوفد العسكرى والمستشارين السوفيت لمساعدة القوات المساحة المصرية .

وفي التاسع والعشرين من يونيو عام ١٩٦٧ ، قابل المرشال زخاروف الرئيس جمال عبد الناصر وأبلغه موافقة القادة السوفيت على قرارات وتوصيلت المؤتمر الذى عقده مع الرئيس السوفيتي بودجورنى يوم ٢١ يونية ١٩٦٧ . كما أبلغه قرارات القيادة السوفيتية الخاصة بدعم القوات الجوية المصرية بالطائرات المقاتلة القاذفة من طراز سوخوى الجديد . وطائرات التدريب من طراز ميغ ٢١ ، والدبابات الجديدة . وأحاطه علما بما تم انجازه في خط الدفاع الاول غرب القناة ، وخطة اعادة بناء وتنظيم

(١) نقلا عن مقال « عندما عرض عبد الناصر على السوفيت التخلي عن عدم الانحياز » للدكتور عبد العظيم رمضان ؛ مجلة أكتوبر ، العدد (٥٠١) ، يونيو ١٩٨٦ ، ص ٢٥ .

— ٢٢ —

وتدريب القوات المسلحة المصرية ، والدور الذي قام به هو والمستشاره من العسكريون السوفييت .

وعموماً فقد وقع عبء استعراض الأسلحة التي فقدت في حرب يونيو عام ١٩٦٧ على عاتق الاتحاد السوفييتي دون مقابل . أما الأسلحة اللازمة لتنفيذ خطة إنشاء الوحدات الجديدة فكانت تتم في شكل اتفاقيات تسليم بواقع من ثلاث الى أربع في السنة الواحدة ابتداء من عام ١٩٦٨ الى عام ١٩٧١ ، وهي عبارة عن قروض مالية ذات شروط مريحة مع فترة سماح عشر سنوات . كما كان القرض ميسطاً على أربعين سنة بفائدة بسيطة لا تتعدو ٢٥٪ .

ومن هنا بدأت مصر تعتمد على الاتحاد السوفييتي اعتماداً كاملاً . وقد تعاضل النفوذ السوفييتي بزيادة الضغط العسكري الاسرائيلي ، ونتج عن اعتماد مصر الكمال عسكرياً واقتصادياً وسياسياً على الاتحاد السوفييتي ان تحولت الى شريك ضعيف في علاقاتها به ، وتجلّى ذلك في استمرار الكرماين على نسيج مدمر الى حد معين ، وهو الحد الذي اعتبره المسنولون المصريون لا يفي بمتطلبات تحرير النفس . وقد ولد ذلك شعوراً مضاداً ظاهراً في اعمال محددة ، أهمها قبول عبد الناصر مبادرة روجرز وزير الخارجية الأمريكية ، بعد اخفاق رحلة عبد الناصر الى موسكو في يونيو — يولية ١٩٧٠ . كما برز فيما بعد في سلوك أنور السادات علم ١٩٧١ — عندما ماثل الاتحاد السوفييتي في تسليم السلاح — حين طلبت مصر سحب ثلاثة عشر مستشاراً عسكرياً في ٢٣ نوفمبر ، وعندما رفضت الحكومة المصرية طلب الاتحاد السوفييتي الحصول على قواعد بحرية بحرية في البحر المتوسط بعد ذلك بنحو عشرين يوماً (١) .

ثانياً — الموقف الأمريكي :

كان عبد الناصر قد قطع علاقات مصر الدبلوماسية بالولايات المتحدة في أعقاب حرب يونيو ، واعتقب ذلك نوع من التآكل شبه التام في العلاقات المصرية الأمريكية .

(١) ملف « الخلافة ، المصري السوفييتي » ، ص ٢٣١ .

وعلى الرغم من قبول مصر قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، فقد كان الموقف الأمريكي أكثر انحياسا الى اسرائيل . بل ان الواقع يقول ان الولايات المتحدة قدمت بعد حرب عام ١٩٦٧ كل اسباب المعونة الى اسرائيل ، واصبحت لأول مرة في تاريخ العلاقات بينها وبين الشرق الأوسط المورد الرئيسي للسلاح الى اسرائيل ، وهو أمر كانت الولايات المتحدة تعمل على تجنبه من قبل حتى لا تغضب العرب . كما استخدمت الولايات المتحدة ثقلها السياسي لتأييد اسرائيل في شتى المناسبات بما فيه استخدام حق الفيتو في مجلس الأمن لصالح اسرائيل .

ومرد ذلك الى عدة اسباب أهمها ارتباط مصر وسوريا بالاتحاد السوفيتي وتدهور علاقاتهما بالولايات المتحدة ، وضعف قدرة العرب على التأثير بسبب الخلافات والانقسامات ، وهزيمة يونيو ١٩٦٧ التي أفقدت العرب كثيرا من وزتهم السياسي ، كما كانت دول الخليج البترولية تنطلع الى حماية الولايات المتحدة لا ان تقف منها موقف المجابهة .

وفي ١٩ يونيو ١٩٦٧ ، أعلن الرئيس الأمريكي ليندون جونسون مبادئ الخمسة كأساس لحل مشكلة الشرق الأوسط ، وتقوم هذه المبادئ على:

- ١ — اجراء مفاوضات مباشرة بين العرب واسرائيل .
- ٢ — الاعتراف من جانب الجميع بحق كل دولة في ان تعيش في سلام .
- ٣ — حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية .
- ٤ — تقييد شحنات الأسلحة الى الشرق الأوسط .
- ٥ — تلميح أمريكا بايجاد تسوية لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين .

وأهم ما يلاحظ على هذه المبادئ أنها ام تتعرض لحقوق شعب فلسطين بالدرجة التي أعادتها لاجراء المفاوضات المباشرة للاعتراف بالوجود الاسرائيلي وضمان حرية الملاحة في الممرات المائية .

كان المقصود بالمبادئ الخمسة خداع الرأي العام العربي وبذر الشقاق بين الدول العربية وتخديرها بمخدر الاسترخاء حتي ينتهي الأمر بها الي تجرع كأس الهزيمة حتي النهاية .

أما حقيقة الموقف الأمريكي فقد اتضح في اللقاء الذي تم بين الرئيس الأمريكي جونسون ورئيس الوزراء السوفيتي كوسيجين في جلاسبير وأثناء انعقاد الدورة الاستثنائية للجمعية العامة ، إذ عبر الرئيس الأمريكي عن أسفه لموقف أيزنهاور من إسرائيل عام ١٩٥٦ ، فقد أجبرها على الانسحاب من سيناء مقابل شيء بسيط هو حق الملاحة في مضائق تيران . أما هو فلن يمارس ضغطا على إسرائيل ، وأن أقل ما يرضى به هو اعتراف عربي صريح بالوجود الاسرائيلي لكي يبدأ التفاوض من أجل الانسحاب .

وهكذا أصبح الاعتراف العربي بإسرائيل شرطا مسبقا على الانسحاب دون الإفصاح عن كونه شاملا أم جزئيا ، بينما كان الحديث السائد في أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ يتضمن الانسحاب الاسرائيلي الكامل ثم يعقبه الاعتراف العربي . ثم اتضح تلمذا للرئيس الأمريكي جونسون حين أعلن في أكتوبر ١٩٦٧ أن الانسحاب الاسرائيلي لا ينبغي بالضرورة أن يكون من جيب الاراضي المصرية التي احتلت في حرب يونيو .

ثم اتجهت السياسة الأمريكية اتجاهها خبيثا يهدف إلى غصم عرى التضامن العربي ، فدواه التمييز بين سيناء وغيرها من الأراضي العربية المحتلة . وقد ذكر محمود رباح وزير خارجية مصر آنذاك ، أنه أثناء انعقاد الجمعية العامة عرض دين راسك وزير خارجية الولايات المتحدة مشروعا مشملا يتضمن انسحاب إسرائيل من سيناء وفق شروط محددة ، واعتبر دين راسك رفض مصر هذا المشروع دلالة على تشدد بالغ ، وقال إذا كنا نعرض عليكم استرداد أراضيكم دون جهد ، فكيف ترفضون ذلك ؟

وقد دعا هذا المشروع ، الذي لم يتجاوز مجرد عرضه للبحث ، إلى انسحاب إسرائيل من الأراضي المصرية بالكامل ، وإنهاء حالة الحرب بين مصر وإسرائيل . على أن يتبع ذلك منح قناة السويس للملاحة الاسرائيلية ، وتركز قوات دولة في شرم الشيخ لا تنسحب الا بقرار من مجلس الأمن أو الجمعية العامة ، وتغاهم حول مستوى التسليح في المنطقة ، ثم حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين على أساس سؤال كل لاجيء بطريقة سرية ،

- ٣٤ -

وبصفة شخصية عن رغبته في العودة الى اسرائيل . وفي حالة رفضه
فله أن يختار أى بلد يريد أن يذهب اليه .

وتبدو صورة الصلح المنفرد واضحة في هذا المشروع فضلا عن
أنه لم يحدد بوضوح مستقبل الفلسطينيين .

وبوصول ريتشارد نيكسون الى رئاسة الولايات المتحدة في يناير
١٩٦٩ ، صار ترتيب أولويات السياسة الخارجية الأمريكية الجديدة كما
يسهل : -

- ١ - البحث عن وسيلة لانتهاء حرب فيتنام .
- ٢ - إقامة جسور مع الصين الشعبية تمهيدا لتطبيع العلاقات
معهما .
- ٣ - الاهتمام بقضية تخفيض السلاح على المستوى العالمى .
- ٤ - الشرق الأوسط .

ومما لا شك فيه أن قدوم الخبراء السوفييت الى مصر كان له
اثر كبير على السياسة الأمريكية التى أصبحت تسلم خلال عام ١٩٦٩
وحتى منتصف عام ١٩٧٠ بأن حل مشكلة الشرق الأوسط لا يمكن التوصل
اليه بدون مشاركة الاتحاد السوفييتى . لذلك تمت الاتصالات بين الجانبين
الأمريكى والسوفييتى من أجل تحقيق هذا الغرض ، الا أن اختلاف وجهتى
نظر الجانبين حالت دون الوصول الى اتفاق .

فبينما تمسك الاتحاد السوفييتى بمبدأ التسوية الشاملة وضرورة
انسحاب اسرائيل أولا قبل انتهاء حالة الحرب ، رأت الولايات المتحدة
ضرورة انتهاء حالة الحرب أولا، ثم انسحاب اسرائيل بالتدريج طبقا لتسويات
جرتيئة متوالية .

وقد بدأ للولايات المتحدة أنه لا أمل يرمى من التفاهم مع الاتحاد
السوفييتى ، لذا اتجهت السياسة الأمريكية اتجاها جديدا يقوم على اعلان
مبادئ التسوية من طرف واحد ، فصدر مشروع أول لوليام روجرز ،

وزير الخارجية الأمريكية ، سنة ١٩٦٩ وهو ينص على إجراء محادثات بين أطراف النزاع على غرار ما حدث في اتفاقيات الهدنة في رودس سنة ١٩٤٩ ، تشمل الانسحاب من الضفة الغربية مع تعديلات طفيفة في الحدود لصالح إسرائيل ، على حين تبقى القدس موحدة مع الاعتراف بدور الأردن في المجالات الاجتماعية والدينية بالنسبة للأماكن المقدسة الإسلامية في شرق المدينة ، والاتفاق بين مصر وإسرائيل على تسهيلات حرية الملاحة في المضايق ، وفتح قناة السويس الملاحة لجميع الدول بما في ذلك إسرائيل ، مابقا لانتهاء حالة الحرب ، كذلك مبدأ إقامة مناطق منزوعة السلاح ، والمقصود بهذه المناطق هو الجانب العربي وحده

وبادرت إسرائيل الى رفض المشرع على الفور حتى لا تدع فرصة أمام مصر لانداء رأيا ، على حين كان رد الاتحاد السوفيتي سلبيا . وقد أدى هذا الموقف الى انهيار مشروع روجرز الأول حيث رأت الولايات المتحدة أنه لا داعي لتقديم التنازلات من جانب واحد ، وعاد الرئيس الأمريكي بردد تعهدات الولايات المتحدة بالحفاظ على أمن إسرائيل وسلامتها .

غير أن الفتحة الثالثة التي بدأت في ربيع عام ١٩٧٠ شهدت اتجاهاين متوازيين السياسة الأمريكية : اتجاه يستهدف الضغط على مصر عسكريا بتقديم الأسلحة والمعدات المنطورة الى إسرائيل ، واتجاه يقدم الحلول الوسط التي تستهدف إنهاء حالة الحرب أولا ، ثم الوعد بانسحاب إسرائيل بطريقة أكثر تحديدا عما جاء في القرار رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ .

ويستبر مشروع روجرز ، الذي جاء على شكل بيان موجه الى الحكومة المصرية في ١٩ يونيو ١٩٧٠ ، ملاحيا للحلول الوسط ، وتعتبر المرحلة التالية لإعلان مشروع روجرز نقطة تحول في سياسة جمال عبد الناصر الخارجية وموقفه من النزاع العربي الإسرائيلي .

وقد جاء ضمن فقرات هذا البيان « وفي رأينا أن الطريق الأكثر فعالية للاتفاق على تسوية هي أن تبدأ المحادثات في العمل تحت إشراف الرئيس فيم

— ٣٦ —

يأرنج بشأن الخطوات التفصيلية الضرورية لتنفيذ قرار مجلس الأمن ر ٢٤٢ « . ثم انتهى الى المقترحات التالية :

اولا :

١ — ان تتعهد كل من مصر واسرائيل ، باعادة وقف اطلاق النار لمدة محدودة على الأقل .

٢ — ان تتعهد كل من مصر واسرائيل ، وايضا اسرائيل والاردن باصدار البيان التالي الذى سيكون من السفير يلترج الى السكرتير العام للأمم المتحدة .

« ان مصر واسرائيل اخطرتني انهما قد وافقتا وأظهرتا رغبتهما تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بكل أجزائه وانهما تعينان ممثليهما المناقشات التى ستدور تحت اشرافى » .

ثانيا : ان الهدف من المناقشات هو التوصل الى اتفاق على اقامة سلام عادل ودائم بينهما يقوم على :

(ا) الاعتراف المشترك بين كل من مصر واسرائيل بحق كل منهما فى السيادة والاستقلال السياسى .

(ب) الانسحاب الاسرائيلى من اراض تم احتلالها فى نزاع ١٩٦٧ وذلك مما يتمشى مع القرار ٢٤٢ .

ثالثا : احترام قرارات وقف اطلاق النار الصادرة من مجلس الامر من أول يوليو الى أول أكتوبر .

وقد صدر هذا البيان حينما كان عبد الناصر على اهبة السفر الى الاتحاد السوفييتى للعلاج واجراء مباحثات مع القادة السوفييت ، فأرجس البت فى هذا الموضوع . وما ان عاد من رحاته حتى اعان فى ٢٣ يوليو ١٩٧٠ قبول مشروع روجرز ، على الرغم من تصريح انور السادات للصحفيين — أثناء غياب عبد الناصر — بعدم قبول مشروع روجرز .

وبنظرة خاصة الى مشروع روجرز ، تبدو بعض الاختلافات عن قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، نجماها فيما يأتى : —

١ — يجعل المشروع الولايات المتحدة بديلا عن هيئة الأمم المتحدة في الرقابة على وقف إطلاق النار ، ويخصها دون الأمم المتحدة بالقدرة على توجيه مبلحات إنهاء حالة الحرب والانسحاب .

٢ — ان المشروع لا يشير الى اللاجئين الفلسطينيين ويلمح على استحياء الى امكانية اشراك الأردن في المباحثات ، وهو بذلك يمهّد الى سلاح منفرد مع اسرائيل .

٣ — نص مشروع روجرز على « الانسحاب من اراض احتلت سنة ١٩٦٧ » وهو ما يعنى «التنازل عن بعض الاراضى المحتلة وتمديد الحدود لصالح اسرائيل .

ويرجع السبب المباشر لقبول عبد الناصر مشروع روجرز الى زيادة خسائر مصر البشرية وعدم تلقي مصر الأسلحة المناسبة من الاتحاد السوفييتى للاستمرار فى حرب الاستنزاف ، بينما كانت اسرائيل تحصل من الولايات المتحدة على اسلحة منطورة باستمرار .

وقد كان الاتحاد السوفييتى يرفض تزويد مصر بالأسلحة الهجومية لاعتقاده ان أى هجوم مصرى على اسرائيل قد يؤدى الى هزيمة أخرى .

وقد اعلنت اسرائيل موافقتها على مشروع روجرز فى ٣١ يوليو ١٩٧٠ ، غير انها ابدت تحفظات بشأن الرقابة على تجهيد الأوضاع العسكرية غرب قناة السويس الى مسافة خمسين كيلومترا .

ولم تات موافقة اسرائيل الا بعد ان كتب الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون الى جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل فى ٢٣ يوليو ١٩٧٠ ما نصه « ان الولايات المتحدة ان تجبر اسرائيل على تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ طبقا للتفسير العربى ، او على أى حل شامل لمشكلة اللاجئين او الانسحاب من اراض محتلة قبل تحقيق السلام » .

نفذت مصر واسرائيل وقف إطلاق النار فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ ، وقد حوى شرطا تعارف عليه الجانبان المصرى والاسرائيلى دون اعلان وهو

تجود الأوضاع العسكرية على مسافة خمسين كيلومترا من ضفتى القناة .
وقد قبلت مصر الرقابة الأمريكية ، فقامت طائرات الاستطلاع الأمريكية
باستطلاع تلك المنطقة بصفاة مباشرة ، وهو ما يعنى تأكيد السيطرة
الأمريكية وتوافر امكانية ابلاغ اسرائيل بالأوضاع العسكرية المصرية .

**تطور السياسة الخارجية المصرية من بداية عهد السادات الى نشوب
ثشمرده أكتوبر ١٩٧٣ :**

بدأت علاقات مصر بالولايات المتحدة تتحسن فى نهاية حكم جمال
عبد الناصر . وعندما تولى السادات السلطة كان يوسع أن يتولى هذا
الاتجاه ، أو أن يحمى الخلاف بين مصر والاتحاد السوفييتى استعدادا
لمواجهة اسرائيل ، أو أن يتبع سياسة موازنة مع الدولتين العظميين .

وبرغم ميل السادات الى الغرب ، فإنه لم يكن يهذوره الانفصاح
عن حقيقة ميوله ، بينما احتمالات مواجهة العدو فى منطقة القناة مازالت
قائمة .

لذلك دأب السادات على بهجمة الولايات المتحدة فى خطبه العلنية ،
وظل على هذا النحو حتى خطاب ٢٣ يوليو سنة ١٩٧٢ . على حين تكررت
زيارات السادات للاتحاد السوفييتى فيما بين عامى ١٩٧٠ ، و ١٩٧٢ كما
أخذ يشيد فى خطبه واحاديثه بالاساعدات السوفيتية . ولكى يقف السادات
على نيات التادة السوفييت غيما ببعض بالموقف فى جبهة القناة لاسيما
احتمالات استئناف الماتق النيران ، فقد أرسل وفدا الى الاتحاد السوفييتى ،
فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٧٠ يضم على حبرى وودود رياض والقريق
أول محمد غزى .

وقد اتضح من خلال المباحثات أن موسكو لا تتخذ استئناف
الاشتباكات فى منطقة القناة ، بل قدم الزعيم السوفييتى بريجنيف المبررات
أمام حكومة مصر لحد وقف اطلاق النار ، كما وعد القادة السوفييت
بنظية احتياجات مصر من الأسلحة فيما عدا قاذفات القنبل بعيدة المدى ،
والتحدث مع الرئيس الأمريكى عن حل سلمى .

لم يشأ أنور السادات أن يجدد فترة وقف إطلاق النار تلقائياً ، فأعلن في الرابع من فبراير سنة ١٩٧١ عن مبادرة للسلام مع مد فترة وقف إطلاق النار لمدة شهر . وقد حدد السادات معالم هذه المبادرة بالتفصيل في خطاب ألقاه في أول مايو سنة ١٩٧١ . كما أبلغت مصر مبادرتها الى وزير الخارجية الأمريكية ومفهومها للجدول الزمني وترتيبات الأمن . وقد سلم هذا الجدول الى وزارة الخارجية الأمريكية في ٥ مايو ١٩٧١ .

وحدد الجدول انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى المصرية وقطاع غزة في مرحلتين : —

١ — المرحلة الأولى :

— تنسحب القوات الاسرائيلية الى خط يمتد من العريش الى رأس محمد .

— يبدأ في تطهير قناة السويس .

— تعبر القوات المصرية قناة السويس .

— يتم تحديد موعد للانتهاء من المرحلة الأولى .

٢ — المرحلة الثانية :

— تنسحب القوات الاسرائيلية انسحاباً كاملاً الى الحدود الدولية المصرية ومن قطاع غزة .

— تعود الأوضاع الادارية بقطاع غزة الى ما كانت عليه قبل يونية ١٩٦٧ .

— يتم تحديد موعد للانتهاء من المرحلة الثانية .

وقد حدد السادات مدة ستة أشهر بعد استئناف الملاحة في القناة للانسحاب الكامل من سيناء .

٣ — الأمم المتحدة :

— تضمن الأمم المتحدة وتشرف على انسحاب القوات الاسرائيلية خلال المرحلتين .

— ٤٠ —

— ترابط قوات الأمم المتحدة في قطاع غزة وشرم الشيخ .

٤ — المناطق منزوعة السلاح :

توافق الجمهورية العربية المتحدة على اقامة مناطق منزوعة السلاح شريطة أن تكون على جانبى الحدود ولمسافات متساوية .

٥ — وقف إطلاق النار :

يصبح وقف إطلاق النار نافذ المفعول عند البدء في اتخاذ الخطوات العملية لتنفيذ المرحلة الأولى .

٦ — اذا اخلت اسرائيل بالتزاماتها يكون للقوات المسلحة المصرية حق العمل وفقا للترام — من وجهة نظر القانون والمبدأ — بالتحريير الشامل لكافة الاراضى العربية المحتلة .

ولم توافق اسرائيل على المبادرة المصرية كخطوة على طريق تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ .

كما أعلنت رفضها للشرط الخاص بانسحاب قواتها من الضفة الشرقية للقناة ، ثم أكد وزير دفاعها أنه لیس لدى اسرائيل أية نية للانسحاب من أفضل خط استولت عليه . ثم عادت جوادا مانير لتعلن « أنها ترى أن يكون الإنفاق على إعادة قناة السويس منفصلا لا صلة له على الإطلاق بمهمة السفير جونار يارنج ولا بمباحثات الدول الكبرى » .

وعلى الرغم من عدم اهتمام الأمريکین بعرض السلام ، فقد القى وزير الخارجية الأمريكية خطابا فى الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ١ أكتوبر سنة ١٩٧١ يحدث فيه الاطراف المعنية على المضى قدما فى سبيل تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ .

ويبدو أن السادات كلن يتصدد بهذه المبادرة احراراج اسرائيل واقناع الولايات المتحدة بعدم جدية اسرائيل فى الانسحاب . وقد استغلت محر هذا الموقف وكشفت اتصالاتها السياسية وجهودها الدبلوماسية للتركيز على تعنت اسرائيل وعدم رغبتها فى السلام .

ولما كانت المبادرة تتضمن تأكيداً باستئناف القتال إذا لم تقبل في خلال شهر ، فقد خشي السادات من تخرج موقفه في الداخل إذا انتهت المهلة دون تنفيذ . لذلك فقد قام بأول زيارة للاتحاد السوفيتي بعد توليه السلطة مرور انتهاء شهر المهلة . وقد كشفت مباحثات السادات في موسكو عن نغز الحل العسكري في ذلك الوقت ، فقد كان الاتحاد السوفيتي يعارض فكره الحرب تماماً ويحبذ البحث عن الحلول الدبلوماسية ، ومن ثم لم يكن هناك أمام السادات سوى الحل السياسي .

ولما كان السادات يدرك تماماً أن مفتاح حل القضية في يد الولايات المتحدة ، فقد رحب بزيارة وليام روجرز وزير الخارجية الأمريكية للقاهرة في مايو ١٩٧١ ، وأحاطه بكل مظاهر الود والتكريم ، ولكن خاب ظن أنور السادات في الولايات المتحدة بعد أن تبين له من محادثاته مع روجرز أن التفكير الأمريكي ينحسب على تثبيت وتنفذ إطلاق النار فقط .

خشي الاتحاد السوفيتي أن يحدث تحول في سياسة مصر الخارجية في أعقاب زيارة روجرز لمصر ، لذلك فقد سارع وفد سوفيتي برئاسة بودجورنى رئيس الدولة في الاتحاد السوفيتي الى الحضور الى مصر . وقد عرض عقد معاهدة صداقة واستجابة الحكومة المصرية ووقعت معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتي في ٢٧ مايو سنة ١٩٧١ .

وكانت هذه المعاهدة مفيدة لمصر ، إذ نصت على تزويدها بالأسلحة اللازمة للدفاع عن نفسها . وقد أثبتت الأحداث فيما بعد أن تلك المعاهدة لم تشكل قيوداً على حرية مصر في إدارة شئونها الخارجية أو الداخلية ، إذ أم تمنع مصر من سحب الخبراء السوفيت في العلم التالى .

سمى السادات بدأب خلال عام ١٩٧١ للحصول على أسلحة هجومية من الاتحاد السوفيتي دون جسدوى حتى انتهى عام ١٩٧١ دون حسم .

وقد شك أنور السادات في اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، الذى انعقد برياسته في ٢ يناير ١٩٧٢ من أن « الاتحاد السوفيتي لم يمدنا

— ٤٢ —

بما وعدنى به فى أكتوبر الماضى . ان «الاتفاقية» التى وقع عليها اللواء عبد القادر حسن دؤخرا فى موسكو لم تشمل الأصناف كلها التى وعدنى بها القادة السوفييت » .

وكأنت «الحجة» التى ساقها بريجينيف السكرتير الأول للحزب الشيوعى السوفييتى لتفسير حجب الأسلحة الهجومية عن مصر — كما عبر عنها للفريق محمد أحمد صادق أثناء زيارته لموسكو فى الفترة من ٨ — ١٣ يونية ١٩٧٢ — هى « أن تحرير الأرض يتطلب أولا بناء الجيش الدفاعى لمنع العدو من توسيع رقعة الأرض التى يحتلها ، وبعد ذلك يجرى بناء الجيش الهجومى الذى يقوم بتحرير الأرض التى يحتلها . لكن قبل بناء الجيش الهجومى يجب التأكد مما اذا كان الجيش سيحارب ام لا ؟ اذ قد لا يحارب الجيش بعد كل هذا . »

لقد اجتمعت عدة عوامل أدت الى امتزاز العلاقات بين مصر والاتحاد السوفييتى أهمها اتصاف مجموعة على صبرى فى حركة الصراع على السلطة يوم ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، تلك المجموعة التى كانت تميل الى التعاون مع الاتحاد السوفييتى . كذلك كان جمال عبد الناصر قد فتح باب الحوار مع الأمريكين بنداؤه الى الرئيس الأمريكى نيكسون فى أول مايو سنة ١٩٧٠ وقبوله مبادرة روجرز ، وكان يتعين على أنور السادات المضى فى هذا الحوار .

فضلا عن أن السوفييت كانوا يتشككون فى ارادة القتال لدى رئيس مصر وجيش مصر . ففى زيارة السادات للاتحاد السوفييتى فى أبريل سنة ١٩٧٢ سارحه وزير الدفاع السوفييتى المارشال جريتشكو قائلا «ان المتطلبات الثلاثة الرئيسية لحرب ناجحة هى : السلاح ، والتدريب ، وارادة القتال » ، ثم أردف قائلا « ان المطلبين الأولين متوافران لديكم ، اما المطلب الثالث فلكم ان تستشيروا ضميركم بشأنه ! »

وبعد أن فقد أنور السادات الأمل فى الولايات المتحدة ، وفى إمكانية الحصول على أسلحة هجومية من الاتحاد السوفييتى ، فإنه لم يجد من

— ٤٣ —

خيار أملمه سوى الحل السياسى . لذلك فقد رأى أن ينقل أفكاره الى قادة الاتحاد السوفيتى ، فكتب رسالة الى بريجنيف فى ٧ مايو سنة ١٩٧٢ يقول فيها انه « لا يمكن الوصول الى حل سياسى الا اذا استمر الضغط على الولايات المتحدة واسرائيل ، والا اذا أجبرت اسرائيل على أن تفهم أن ميزان القوى العسكرية ليس فى صالحها » .

ولكن جاءت مشكلة الشرق الأوسط فى ذيل اهتمامات الدولتين العظميين أثناء محادثات مؤتمر القمة الأمريكى السوفيتى ، الذى انعقد فى موسكو فى المدة من ٢٢ — ٣٠ مايو سنة ١٩٧٢ . وعلى هامش المؤتمر تم الاتفاق بين هنرى كيسنجر وأندريه جروميكو على ورقة عمل تجريبية تضمنت المبادئ الآتية :

« أن الهدف النهائى الذى يبقى هو الحل الشامل بالانسحاب الاسرائيلى من اراض عربية محتلة ، ويجوز تنفيذ ذلك على مراحل . كما يمكن الاتفاق على وجود مناطق منزوعة السلاح ووضع قوات الأمم المتحدة فى شرم الشيخ بصورة دائمة ، وانهاء حالة الحرب ، وحرية الملاحة فى الممرات المائية ، وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين حسب قرارات الأمم المتحدة وضمان الدولتين لهذه المبادئ » .

وقد رأى السادات فى هذا الاتفاق تراجعاً من الاتحاد السوفيتى سيما فيما يختص بموافقته على التفسير الأمريكى للقرار ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ . كما عاد الفريق محمد أحمد صادق من موسكو فى يونية سنة ١٩٧٢ مؤكداً أن السوفييت يرون تهديداً الموقف . وهنا فقد الوجود السوفيتى فى مصر مبرر بفنائه ، ومن ثم كان قرار أنور السادات فى ٦ يوليو سنة ١٩٧٢ إنهاء خدمة الخبراء السوفييت فى مصر . وقد فسر أسباب هذا القرار — فيما بعد — فى مذكراته حين قال « من بين هذه الأسباب طبعاً موقف الاتحاد السوفيتى منا ، ولكن كان هناك سبب آخر مهم هو أننا قد بنيت استراتيجيتى على أساس ألا أبداً المعركة وعلى أرض مصر خبراء سوفيت » .

وعلى أية حال ، فقد كان التخلص من الوجود العسكرى السوفييتى على الأرضى المصرية خطوة فى الاتجاه الصحيح ، لأن هذا الوجود كان يتعارض مع المبادئ الأساسية للسياسة الخارجية المصرية . كما أن هذا الوجود لو كان قائما إبان حرب أكتوبر ١٩٧٣ لنسب إليه فضل الانجاز العسكرى الكبير الذى حققته القوات المسلحة لمصرية .

استاء الاتحاد السوفييتى من أسلوب السادات فى الاستغناء عن الخبراء السوفييت ، على أساس أنه لا يليق اتباع هذا الأسلوب مع دولة عظمى .

ويبدو أن السادات راجع نفسه فيما بعد بشأن أسلوب الاستغناء عن الخبراء فعبّر عن أسفه فى الخطاب الذى ألقاه فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٢ ، اذ قال : إن الولايات المتحدة لم تقدر قراره حق قدره ثم أخذ يسترضى السوفييت .

وفى أكتوبر من نفس العام قام الدكتور عزيز صدقى بزيارة للاتحاد السوفييتى أسفرت عن استئناف شحنات السلاح السوفييتى بمعدلات أفضل مما كانت إبان وجود الخبراء . وقد شهد شهر أكتوبر أيضا اقالة الفريق محمد أحمد صادق المعروف بعدائه للسوفييت وتعيين اللواء أحمد اسماعيل على وزيراً للحربية .

وعلى الرغم من التحسن النسبى فى العلاقات المصرية السوفييتية ، فقد تحول السادات الى الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق اجراء الاتصالات السرية معها ، فأوفد حافظ اسماعيل ، مستشاره للأمن القومى ، فى مارس سنة ١٩٧٣ الى الولايات المتحدة حيث قابلته الرئيس نيكسون — على الرغم من قطع العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة — وعرض عليه مشروعاً يقوم على أساس الحل المنفرد والجزئى مع احتفاظ اسرائيل ببض المواقف اللازمة لأمنها دون تحديد مدة زمنية . وقد تمتنع هذا المشروع أنور السادات باغلاق الباب الأمريكى والاتجاه نحو الحل العسكرى . لذلك فقد أعيد تشكيل الوزارة المصرية ورأسها أنور السادات

— ٤٥ —

لانتحول الى وزارة حرب فى الوقت المناسب ، واتسمت تصريحات السادات بعد ذلك بالروح العدائية تجاه الولايات المتحدة حتى بلغت الذروة فى خطاب ٢٣ يوليو سنة ١٩٧٣ .

تطور الأوضاع العسكرية :

كانت المهمة العاجلة للقوات المسلحة المصرية اثر هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ انشاء خط دفاعى غرب القناة بهدف صد وتدمير العدو الذى يحاول اقتحام قناة السويس ومنعه من الاستيلاء على مدن القناة .

وفى نفس الوقت بدأ التخطيط الاستراتيجى العسكرى لاعادة بناء القوات المسلحة المصرية ووضع خطة عسكرية للدفاع عن منطقة القناة . وبعد جهود مضنية ، تم اعداد « الخطة الدفاعية ٢٠٠ » وصدق عليها رئيس الجمهورية قبل نهاية عام ١٩٦٧ .

ويمكننا من واقع السجل التاريخى والاحداث التى وقعت فى السنوات الست السابقة على حرب اكتوبر تقسيم تلك الفترة الى ثلاث مراحل هى : مرحلة المصمود ، ومرحلة حرب الاستنزاف ومرحلة ايقاف النيران .

مرحلة المصمود :

بدأت مرحلة المصمود فى أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ واستمرت حتى أغسطس ١٩٦٨ . وقد انزلت فيها القيادة المصرية بتهدئة الموقف لاتاحة الفرصة المواتية لاعادة البناء وتجهيز الدفاع عن جبهة القناة . كما تميزت هذه المرحلة بكثرة الضغوط السياسية لاجبار مصر على قبول حل منفرد عن طريق المفاوضات المباشرة مع اسرائيل .

وعلى الرغم من ضغط النفس والتقىيد الحارم بايقاف النيران ، فقد شهدت تلك المرحلة بعض الملاحم الفذة التى أعادت الى المقاتل المصرى الثقة بنفسه وبسلاحه وأكدت ارادته الصلبة .

وكانت اولى الملاحم معركة راس العشي ... حيث تقدمت سرية

دبابات اسرائيلية (١١ دبابة) تدعمها فصيلة مشاة ميكانيكية وفصيلة بهندسين صباح أول يوليو ١٩٦٧ للاستيلاء على بورفؤاد ، فتصدت لها قوة مصرية صغيرة مكونة من فصيلة مشاة وفصيلة صاعقة وعنصر محدود مضاد للدبابات ، كانت تحتل موقعا شرقى وجنوبى مدينة بورفؤاد ، نجحت فى صد هجمات العدو الثلاث وكبدته خسائر فادحة ، دمرت كبريائه وأحرقته على الإنسحاب .

وفى نفس الأسبوع نجحت مجموعة من قنارات الحساسة فى تدمير مخزن كبير للذخيرة على الضفة الشرقية للقناة فى مواجهة الشط ، كانت قواتنا قد تركته فى سيناء أثناء انسحابها .

وبعد اخفاق العدو فى معركة رأس العش ، نشطت طائرات الاستطلاع فوق منطقة قناة السويس وأخذ ينظم دفاعاته فى راسها ، تمكنت فى الرابع عشر من يوليو عشر طائرات مصرية مقاتلة قاذفة بمدفعية العدو وقوامه المدرعة والميكانيكية . وبالبحث ان اشتركت معها بعض الطائرات الاسرائيلية المقاتلة التى منيت بالصاعقة فانسحبت بقية الطائرات من المعركة .

وفى اليوم التالى عودت طائراته المقاتلة الظهور مرة أخرى فى سماء منطقة القناة فاشتكت معها طائراتنا المقاتلة القاذفة من طراز ميج ١٧ فى معركتين جويتين انتهتا بانسحاب طائرات العدو . وقد أعادت تلك المعارك الجوية ثقة الطيارين بأنفسهم وبكفاءة طائراتهم .

وفى الواحد والعشرين من شهر أكتوبر ١٩٦٧ اقتربت المدمرة « ايلات » أكبر قطعة بحرية للعدو من المياه الاقليمية المصرية فى منطقة بورسعيد البحرية ، ثم تجاسرت واخترقت المياه الاقليمية فخرج لتدميرها لنشمان من صواريخ « كور » السوفيتية من قاعدة بورسعيد البحرية . وقد أطلق عليها اللش الأول ، قيادة النقيب أحمد شاكر عبد الواحد القارح ، صاروخين فى نحو الساعة الخامسة والنصف مساء اقتداها الحركة والاتصال ، فقد أصاب الصاروخ الأول أجهزة الاتصال بها وأمر بقر

— ٤٧ —

الصاروخ الثانى فى غرفة الآلات . ثم بعد ساعتين أطلق عليها اللنش الثانى بقيادة النقيب لطفى جاد الله ، صاروخين أغرق أحدهما المدمرة وانفجر الآخر فى الماء . لقد أصابها اللنش الأول بالشلل التام وأفلت من النيران التى أطلقتها عليه ثم استطاع اللنش الثانى أن يهوى بها الى القاع على مسافة اثنتى عشر ميلا بحريا شمال شرق بورسعيد . وقد غرق معظم بحارة المدمرة ايلات البالغ عددهم ٢٥٠ فردا . وكانت هذه المعركة أولى معارك الحواريخ البحرية فى التاريخ ، واعتبرت دليلا على مقدرة وكفاءة القوات البحرية المصرية .

ثم بدأ رد فعل العدو اعتبارا من ٢٤ أكتوبر ١٩٦٧ بضرب مستودعات الوقود ومعامل تكرير البترول فى السويس بنيران المدفعية ، فاشتعلت فيها النيران لبضعة أيام ، وبلغت الخسائر نحو ٦٠ بالمائة من الوقود . وقد تم نقل المستودعات التى لم تصب بأضرار كذلك الاجزاء الهامة من معامل التكرير الى مناطق متفرقة فى عمق مصر . ثم انتقل العدو الى قصف المناطق المأهولة بالسكان غرب القناة ، فسارعت الحكومة المصرية الى اخلاء المواطنين المدنيين من منطقة غرب القناة الى مناطق ابواء واعاشة داخل الجمهورية . وبذلك فوتت على اسرائيل استخدام وسيلة قوية من وسائل الضغط على مصر لاجبارها سياسيا على قبول شروطها .

وفى نفس الوقت كان تجميع وتنظيم الوحدات يجرى بسرعة فائقة حتى تم انشاء أول خط دفاعى غرب القناة فى اواخر نوفمبر ١٩٦٧ ، بلغ حجم قواته خمسة الوية مشاة مدعمة ، ولواءين مدرعين . . . كنواة للجبهة التى كان قد عين لقيادتها اللواء احمد اسماعيل على فى أول يوليو ١٩٦٧ .

حسرب الاستنزاف :

بدأت فى سبتمبر ١٩٦٨ واستمرت حتى ٧ أغسطس ١٩٧٠ ،

ويمكن تقسيم فترة حرب الاستنزاف الى خمس مراحل ،

المرحلة الأولى (٨ سبتمبر ١٩٦٨ — ١٨ أبريل ١٩٦٩) :

وقد بدأت بما عرف باسم « معركة المدافع » التي استمرت فـ
خمس ساعات ونصف الساعة . فقد فاجأت المدفعية المصرية بنيرانهمـ
مواقع العدو ومناطق تركيز احتياطياته ومرابض نيران مدفعيته ومسواريهـ
أرض ـ أرض مما أدى الى زيادة خسائره ، فأسرع يقيم التحصيناتـ
وينشئ الملاجئ ، ثم استمر القراشق بالنيران لفترات طويلة وبكثـ
عالية .

وفي الساعة ١٧٤٠ يوم ٢٨ سبتمبر ، بدأت المدفعية المصرية ذرـ
مركزا لمواقع العدو واستمر القصف لمدة يومين متتاليين . وقد دفع العدـ
بقواته الجوية في محاولة لتدمير مدفعيتنا ، غير أنه أخفق تماما وبدأ بخـ
لائمة خط من التحصينات القوية على طول مـ الجهة القناة . وكان ذلـ
أيضا بمواد خط بارليف الأول . وقد تمكن العدو من إقامة ذلك الخط برـ
خسائره الكبيرة مستفيدا من سيطرته الجوية . وبدأ تأثير نيران المدفـ
يفل تدريجيا مع زيادة قوة تحصينات خط بارليف .

وتم في هذه المرحلة استكمال بناء التشكيلات الجديدة المقاتلة ودفعـ
للاشتراك في خطة الدفاع غرب القناة ، كما تم انشاء قيادتى الجيش الشـ
والثالث الميدانيين .

وكان على العدو الاسرائيلى مواجهة تلك الاعمال بطريقته الخاصةـ
فقلبت قوات الانتحارم الجوى الاسرائيلية (التي تستخدم طائراتـ
الهليكوبتر) بمهاجمة الأهداف المدنية في عمق مصر مثل قناطر وكوبرىـ
نجع حمادى وقناطر اسنا ومسسكرات أسيوط وقيادة المنطقة العسكريةـ
بها ، كما دمرت محطة محولات الضغط العالى بنجع حمادى . وقد تمـ
جميع هذه الاغارات فى الاليلى الممتدة مع الاقتراب المنخفض من اتجـ
ساحل البحر الأحمر حيث لا توجد دفاعات ارضية أو أجهزة اذار رادارـ
أو وسائل دفاع جوى سواء فى منطقة البحر الأحمر أو فى الصعيد .

٤٩

وقد اتت المرحلة الاولى من مراحل حرب الاستنزاف بنتائج مفيرة
تملأ لما كان يرجى منها ، وأصبح من الضروري تأمين الاهداف الحيوية
من الاغارات الاسرائيلية فأنشئت قوات الدفاع الشعبي وكتائب الدفاع
الاقليمي لتنفيذ هذه المهمة .

وقد ترتب على ذلك تأجيل حرب الاستنزاف أربعة أشهر كاملة .

وبعد أن استكملت القيادة المصرية خطة تأمين الاهداف الحيوية ،
قررت استئناف حرب الاستنزاف ، فبدأ قصف المدفعية من جديد منذ
يوم ٨ مارس ١٩٦٩ ، وكان له وقع المفاجأة الكاملة على العدو الذي لم
يكن قد انتهى بعد من بناء خط بارليف .

المرحلة الثانية (من ١٩ أبريل ١٩٦٩ الى ١٩ يولية ١٩٦٩) :

بدأت هذه المرحلة بأول عملية عبور مصرية الى الضفة الشرقية
للقناة ، واحتلال موقع السرايلى لوضع ساعات ورفع العلم المصرى عليه .
ثم ازدادت حدة الأعمال القتالية التى اتخذت شكل الاغارات البرية
القسوية بمجموعات قتال كبيرة حتى وصلت الى مستوى الكتيبة المشاة
المدعمة ولفترات تراوحت بين يوم كامل وعدة أيام . وكانت أبرزها معركة
لسان بور توفيق فى ١٠ يوليو ١٩٦٩ ، حيث تمكنت الكتيبة ٤٣ صاعقة
ليلة ١٠/٩ يوليو من احتلال موقع العدو لمدة ٢٤ ساعة .

وقد كانت أبرز أعمال العدو فى تلك المرحلة هى الاغارة على موقعى
رادار مصريين فى الأردن فى ٢٢ أبريل ١٩٦٩ . ثم قيام كتيبة مشاة اسرائيلية
مدعمة بالهجوم الليلى فى ١٩ يوليو على سرية مشاة مصرية كانت تحتل
الجزيرة الخضراء . وقد نجحت القوة المصرية بمعلونة مدفعية الجيش
الثالث الميدانى من صد وتدمير العدو فانسحبت فلوله تاركة خلفها معداتها
والنسيباتها المدمرة .

— ٥٠ —

المرحلة الثالثة (من ٢٠ يوليو الى ٦ يناير ١٩٧٠) :

في الثالث عشر من يوليو ١٩٦٩ ، حصل موسى ديان وزير الدفاع الاسرائيلي على موافقة اللجنة الوزارية الاسرائيلية للدفاع على قرار دفع القوات الجوية الاسرائيلية الى المعركة . وقد اضطرت القيادة لسياسية العسكرية الاسرائيلية الى اشراك قواتها الجوية في القتال حين تزايدت القدرات العسكرية المصرية مما ادى الى اطراد الخسائر الاسرائيلية لاسيما البشرية . ويوضح زئيف شيف سبب قرار دفع الطيران الاسرائيلي الى المعركة بقوله « كلن السبب المباشر هو عملية العبور التي قتلت بها وحدة مصرية يوم ١٠ يوليو ١٩٦٩ في منطقة بور توفيق واحتلت الموقع لمدة ٢٤ ساعة . وكان هذا ابرز نجاح حققته المصريون ، وبات من الواضح انه سوف يحفزهم على بذل نشاط آخر . وكان لابد من ايقظهم بسرعة . واستمرت خسائرنا تتزايد الى ان اتخذ القرار الحاسم دفع سلاح الطيران الى المعركة » .

وفي ٧ سبتمبر ١٩٦٩ أعلن رئيس الأركان العامة الاسرائيلية « لقد قتلت طائراتنا بنحو ١٠٠٠ غارة فوق الجبهة المصرية منذ ٢٠ يوليو الماضي ، وهدف هذه الاغارات هو تخفيف حدة العمليات البرية على طول قناة السويس . واكن يجب ان يكون مفهوما لنا ان اسرائيل لا تستطيع اجبار مصر على الالتزام الكامل بوقف اطلاق النار » .

وقد ركزت اسرائيل في هذه المرحلة في المقام الاول ، على توسيع ميدان القتال مع مصر لتجبرها على نشر قواتها في اتجاهات ثانوية وفرعية ، ليقول الحشد المصري على الجبهة الرئيسية . ثم أخذت القيادة الاسرائيلية تخطط لفتح ممر جوى على الجبهة تتسلل منه الطائرات الاسرائيلية الى عمق الاراضى المصرية — بعد تدمير عناصر الدفاع الجوى — لتستدرج القوات الجوية المصرية الى معارك غير متكافئة بهدف اضعافها والحد من نشاطها .

وتنفذا لهذه الخطة بادبت الطائرات الاسرائيلية من اواخر اغسطس

الى اوائل نوفمبر ١٩٦٩ على قذف مواقع الرادار ومواقع الصواريخ المضادة للطائرات على طول جبهة القتال وعلى امتداد خليج السويس .

وفي فجر يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٩ ، أنزل العدو مجموعة سرية دبابت برمائية (٩ دبابت) على شاطئ الزعفرانة ، التي تبعد نحو مائة كيلومتر عن جنوب السويس ، قضت على نقطة الحدود المكونة من خمسة أفراد ثم قطعت طريق السويس - الغردقة الساحلى وخط التليفون الهوائى . وقام العدو بتصوير فيلم عن عملية الانزال البحرى ، واستمرت قواته فى منطقة الزعفرانة لمدة ست ساعات مستغلة خلوها من القوات المصرية ، ثم أبحرت عائدة الى الشاطئ الشرقى لخليج السويس .

وقد استهدفت هذه العملية تقويض الاتفاق الذى تم بين دول المواجهة العربية فى المؤتمر الرباعى للجبهة الشرقية والكشف عن نقاط الضعف فى خطة الدفاع المصرية . وقد اثرت عملية الزعفرانة تأثيرا سينا على موقف اللواء احمد اسماعيل رئيس هيئة اركان حزب القوات المسلحة المصرية آنذاك ، فاعفى من منصبه واصيب عبد الناصر بنوبة قلبية الزمته الفراش لمدة ثلاثة اسابيع .

واذا كان الابرار الجوى فى الزعفرانة يمثل ذروة العمليات الاسرائيلية ، فقد سبقته ليلة ٢٨/٢٧ اغسطس اغارة كوماتدوز على مركز تدريب ضباط الصف ومنطقة تجنيد منقباد . كما وجه العدو ليلة ٨/٧ سبتمبر اغارة اخرى على قاعدة الادبية البحرية . وفى ديسمبر ١٩٦٩ ، أغار على القاعدة البحرية المصرية فى ميناء سفاجة على البحر الأحمر .

وفى ليلة ٢٤/٢٣ ديسمبر ١٩٦٩ ، أغار العدو بطائرتى هليكوبتر تقلان جصاعى كوماتدوز على رادار انذار ب ١٢ فى منطقة رأس غارب لم يكن مدافعا عنه . وقد تمكن العدو من فك الجهاز ونقله فى طائرتى الهليكوبتر الى اسرائيل . وقد كان لهذه الاغارة تأثير نفسى شديدا على القوات المصرية المتمركزة فى منطقة البحر الأحمر العسكرية ، كما انشغلت القوات

القصور الشديد في تنظيم التعاون بين القوات البرية وقوات الدفاع
لجوى .

وعلى الرغم من ضعف الاستنزاف الاسرائيلي المضاد ، فقد استمرت
القوت المصرية في أعمالها الهجومية ، فشنت القوات الخاصة هجمات
ناجحة على القوات الاسرائيلية في عمق سيناء . كما استأنفت القوايت
الجوية المصرية هجماتها المركزة على الأهداف الإسرائيلية ، كانت أهمها
تلك القواعد التي شنتها سبوتن طائرة مصرية على القوات الإسرائيلية في
سيناء يوم ١١ سبتمبر سنة ١٩٦٩ ،

كما قامت وحدة مصرية خاصة محمولة جوا في ٢٨ سبتمبر بهجوم
على مركز العدو في مصفق . وفي ٢ أكتوبر ١٩٦٩ ، أعلنت مصر عن قيامها
بهجوم مماثل على القوات الاسرائيلية في خليج السويس ، ثم أعقبه بأسبوع
واحد قتل وحدة مصرية خاصة تتكون من ٢٥٠ جنديا بعبور القناة وتدمير
أحد المواقع المعادية ، كما أسرت في نفس الشهر ضابطا إسرائيليا
دوية من اللواء ١١٧ المشاة . وفي ٢٦ أكتوبر دمر سربان من المقاتلات
القاذفة المصرية من طراز ميج ١٧ كتيبتى صواريخ هوك مضادة للطائرات
على المحورين الشمالى والأوسط في سيناء .

كما قامت القوات البحرية بأعمال ناجحة ضد العدو ، ففي ٩ سبتمبر
١٩٦٩ اقتربت مدمرتان مصريتان تعاونهما بعض اللنشات البحرية من
بحيرة الردويل وقصفتا معسكرات رمائة الاسرائيلية قصفا مركزا لمدة
ثلاثين دقيقة . وقد نجم عن القصف خسائر كبيرة في الأفراد والمعدات
والمنشآت . وقد عادت جميع القطع البحرية المصرية سالمة الى قاعدتها
البحرية . كذلك فقد قامت لنشات البحرية بإبرار فصيلة صاعقة مصرية
في منطقة المساعيد على شاطئ سيناء الشمالى ، ونجحت الفصيلة في قطع
الطريق الرئيسى الى العريش ، وهاجمت وحدة اسرائيلية ثم عادت الى
قاعدة بورسعيد البحرية . أما اللنشات للبحرية في البحر الأحمر فقد
هجمت ميناء رأسى نجرانى وأبورديس وسدر ، كما شنت الضغاضع البشرية

هجومًا على ميناء إيلات الإسرائيلي يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٦٩ فأغرقت ثلاث قطع بحرية داخل الميناء .

وقبل أن ينتهى علم ١٩٦٩ ، قامت سرية مشاة مصرية بالاستيلاء على موقع العدو جنوب جزيرة البلاح في هجرم ليلي صلمت ورفعت القوة علم مصر على أعلى نقطة في الموقع . وقد حاول العدو استرداد الموقع في أول ضوء ولكنه أخفق ، ثم صدرت الأوامر الى القوة المصرية بالانسحاب بعد أن حققت مهمتها بنجاح تام .

المرحلة الرابعة (من يناير ١٩٧٠ الى ١٣ أبريل ١٩٧٠) :

اتسمت هذه المرحلة بقصف أهداف عسكرية ومدنية في العمق مع استمرار الغارات الإسرائيلية على القوات المصرية في جبهة القناة .

وكانت القوات الجوية الإسرائيلية قد نجحت في فتح ممر جوى على الجبهة ، بعد تدمير عدد كبير من عناصر الدفاع الجوى المصرى . وبنهاية عام ١٩٦٩ كان الدفاع الجوى المصرى قد انهار تمامًا وأصبحت سماء مصر مفتوحة أمام الطائرات الإسرائيلية . وقد شجع هذا الموقف القيادة الإسرائيلية على ضرب الأهداف المصرية في العمق ، فقامت الطائرات الإسرائيلية بقذف معسكرات دهبور وهكستب وأنشاص والتل الكبير ، ومضنع أبى زعبل ، ومدرسة أطفال بحر البقر .

وقد دفع هذا التصعيد الإسرائيلي الموقف الى الذروة ، فقام عبد الناصر بزيارة سرية للاتحاد السوفييتى في الفترة من ٢٢/١/١٩٧٠ الى ٢٥/١/١٩٧٠ وطلب من الزعماء السوفييت وحدات صواريخ سوفيتية طراز سام ٣ ، واسرابا من طائرات الميج ٢١ المعدل بطيارين سوفيت ، وأجهزة رادار متطورة للانذار بأفرادها ، كما كرر عبد الناصر طلب طائرة قاذفة بعيدة المدى لردع اسرائيل . وقد وافق السوفييت على امداد مصر بفرقة كاملة من صواريخ سام ٣ بأفرادها ومعداتا ، وثلاثة ألوية جوية من طراز ميج ٢١ المعدل بكامل أفرادها ومعداتا وأجهزتها للدفاع الجوى عن العمق المصرى ، بالإضافة الى ٥٠ طائرة سوخوى ٩ ، وعشر طائرات

٥٤ -

ميج ٢١ تدريب ، وأربعة أجهزة رادار ب ١٥ . على أن يكون وجود القوات السوفيتية في مصر مؤقتا لحين استكمال تدريب نظائرها من قوات الدفاع الجوي والقوات الجوية المصرية . وقد وصلت الأسلحة والمعدات والجنود السوفييت إلى ميناء الاسكندرية يوم ٢٥/٢/١٩٧٠ ، وبذا أصبح الوجود السوفيتي في مصر حقيقة واقعة ، وأصبح أيضا رادعا سياسيا وعسكريا لكل من اسرائيل والولايات المتحدة . كما أنه بوصول الدعم الجوي من الطائرات . استكمل حجم القوات الجوية المقرر طبقا للخطة .

واستمر العدو في تصعيد أعماله الهجومية ، فقام ليلة ٢٢/٢٣ يناير ١٩٧٠ بمهاجمة الجزء الجنوبي من جزيرة شدوان ، التي تقع في مدخل خليج السويس الجنوبي أمام ميناء الفردقه ، بقوة تقدر بكتيبة ابرارجوى منقولة في طائرات هليكوبتر تعاونها مجموعة لنشات بحرية وسرب طائرات مقاتلة قاذفة . وكانت تدافع عن جنوب الجزيرة سريا ، مشاة مدعمة برشاشات متوسطة وهاونات بالانفاسفة الى سريه مدفعية خفيفة مضادة للطائرات ولنشين بحرين .

وقد قام سرب المقاتلات القاذفة الاسرائيلي بالقذف العنيف لمواقع السرية ، ولكنه لم يتمكن الا من تدمير اللنشين ، وقد تشببت السرية بدفاعاتها واشتبكت مع العدو المهاجم بمعاونة نيران مدفعية منطلقة البحر الأحمر التي دفعتها قيادة المنطقة الى الشاطئ الغربى للخليج .

وقد اضطر العدو الى الانسحاب بعد ٨ ساعات من بدء الهجوم ، وبذا أخفق العدو في الاستيلاء على جزيرة شدوان .

وخلال هذه الفترة من الاستنزاف المضاد ، استلهمت القوات المصرية أن تستمر في عملياتها الهجومية لنشطة ، وكانت أبرزها غارات الطائرات المصرية على المواقع الاسرائيلية شرقى بحيرة لشماسح وفي منطقة العريش يوم ٢٤ يناير ١٩٧٠ . ثم كانت العملية « شعير » في ١٥ فبراير ١٩٧٠ ، وهى اغارة ليلية بقوة سريه مشاة مدعمة على موقع العدو الحصين شمال جزيرة السلاح .

كما هاجمت الضفادع البشرية المصرية ميناء ايلات يوم ٦ فبراير وأغرقت سفينتين محملتين بالمعدات والذخيرة . وقد اعترف رئيس الأركان الاسرائيلي بدقة وبراعة تنفيذ هذه العمية التي تماثل الهجوم الذي شنته الضفادع البشرية في ١٧ نوفمبر ١٩٦٩ .

المرحلة الخامسة (من ١٣ أبريل ١٩٧٠ الى ٧ أغسطس ١٩٧٠) :

تميزت هذه الفترة بايقتف اسرائيل غارات العمق وهى مجبرة اعتبارا من ١٨/٤/١٩٧٠ ، وقد جاء قرار اسرائيل وقف غارات العمق تحت ضغط المفاجأة الاستراتيجية التي حققتها مصر بادخال صواريخ الدفاع الجوى سام ٣ الى العمق لمصرى . وبايقتف غارات العمق انقلب الوضع الاستراتيجى وتمكنت مصر من الانتقال الى المرحلة الهجومية ، اذ ركزت كل قواها فى منطقة الصدام المباشر على امتداد قناة السويس فى شكل هجمات جوية وبرية تميزت بالعنف والكثافة . وقد كانت الملامح الاساسية للخطا المصرية كما يلى :

١ - حشد جميع الطاقات العسكرية وتركيزها فى جبهة القتال الرئيسية لمواصلة الضغط على الخطوط الالهية الاسرائيلية .

٢ - تحريك أنظمة صواريخ الدفاع الجوى المصرية الى جبهة القناة لتخفيف حدة التفوق الجوى الاسرائيلي ، وتهيئة العملية المناسبة لاية أعمال هجومية تتم مستقبلا .

٣ - القيام بالفارات الجوية والاغارات البرية الخطوط الاسرائيلية الالهية والخلفية لاستكمال سلسلة الحلقات فى الحرب النفسية .

وقد كانت مصر تدرك أن نجاحها فى دفع كتائب الصواريخ الى الخطوط الالهية سيؤدى الى تحقيق هدف مزدوج هو فقدان اسرائيل السيطرة الجوية فوق المواقع المصرية ، وايضا فوق المواقع الاسرائيلية الالهية . لذلك جرت على أرض مصر معركة كبرى عرفت باسم « معركة بناء حائط الصواريخ » . وقد نجح العدو فى رصد عملية بناء قواعد الصواريخ ،

وبدا منذ أول مارس ١٩٧٠ في القذف العنيف لشبكة الدفاع الجوي المصري في الجبهة لمنع توسيعها واقتربها من القناة .

وعلى الرغم من الغارات الجوية الاسرائيلية المكثفة ، فقد شهد مطلع مايو ١٩٧٠ أكبر تجمع للصواريخ غرب القناة . ولم تبق سوى مرحلة نقل حائط الصواريخ الى الضفة الغربية للقناة .

وفي ١٠ مايو ١٩٧٠ ، صرح موشى ديان « بأن اسرائيل لن تسمح بإقامة أنظمة صواريخ سلم ٣ على قناة السويس ، وأكد أنها لن تقوم بأي عمليات عسكرية خارج نطاق الدفاع عن مواقعها الاممية » ، الا ان قوات الدفاع الجوي المصرية تمكنت في ٣٠ مايو من اسقاط طائرة استطلاع الكتروني للمندو .

وقد ركزت اسرائيل غاراتها الجوية على المواقع الاممية للجبهة المصرية على طول القناة ، كما تعقب سلاحها الجوي المحاولات المصرية المستمرة لبناء قواعد الصواريخ على الجبهة . وقد باغت حملة خسائر مصر خلال شهر يونيو ٦٧٨ شهيدا وجريحا ، وتحملت قوات الدفاع الجوي أعلى نسبة خسائر بين سائر النخسصلت الاخرى (٤٣٠٤٧٪) ، مما أكد تركيز اسرائيل في المقام الأول على تدمير وسائل الدفاع الجوي ومنع اقترابها من ضفة القناة . وعلى الرغم من أصعب الظروف وأقساها ، فقد شهدت ليلة ٢٩/٣٠ يونية ١٩٧٠ دخول أولى وحدات الصواريخ وتمركزها في الخطوط الاممية — اذ كان الدفاع الجوي في الجبهة يعتمد على المدفعية المضادة للطائرات وصواريخ سام ٧ التي تطلق من الكتف — . وقد لعبت القوات الجوية المصرية دورا اسسسيا في المساعد المباشرة لرجال الدفاع الجوي والعلمين في انشاء قواعد الصواريخ بقبامها بغارات مركزة ضد مواقع العدو حتى وسط سسيناء في الفترة من ١٨/٤/١٩٧٠ الى ٢٤/٤/١٩٧٠ . وبدخول صواريخ سام ٣ الى الجبهة ، بدأ اسبوع نساقط انطارات الاسرائيلية . وعلى الرغم من عنف غارات العدو الجوية فقد استمرت أعمال انشاء مواقع الصواريخ التبادلية ، وبلغ الصراع بين الطائرة والصاروخ الذروة في أواخر شهر يوتية وطول شهر يوليو ١٩٧٠ .

وقد نجحت وحدات الصواريخ المصرية في ٣٠ يونية ١٩٧٠ في تدمير ٨ طائرات فلتوم وسكاي هوك وأسر خمسة طيارين أحياء ، كما تم تدمير طائرتين في ٧/٢ ، وثلاث طائرات في ٧/٣ ، وطائرتين في ١٩٧٠/٧/٦ وجميعها من نوع الفانتوم .

وقد تمكن جمال عبد الناصر أثناء زيارته لموسكو في الفترة من ٦/٢٩ إلى ١٧/٧/١٩٧٠ من الحصول على موافقة الاتحاد السوفييتي على امداد مصر بشبكة أجهزة الكترونية متطورة لرفع كفاءة الدفاع الجوي المصري . وقد وصلت شبكة الأجهزة الالكترونية وبأطقمها السوفييتية وتمركزت في المواقع المحددة لها .

كما تم توريد لواء صواريخ سام ٦ بكامل معداته وأجهزته وبأطقمه السوفييتية للدفاع عن السد العالي وخزان أسوان . ولم يدخل هذا اللواء ولا طائرات الميج ٢٥ ، التي أرسلت لدعم الاستطلاع التعموي والاستراتيجي ، أو طائرات الاستطلاع الاستراتيجية والفرقاطات الثلاث المزودة بصواريخ سام ٦ والتي تمركزت في مدخل ميناء بورسعيد في صفقة الأسلحة التي عقدت مع الاتحاد السوفييتي نتيجة لقاء القمة الخامس ، إنما احتسبها الاتحاد السوفييتي ممارسة للقوات المسلحة المصرية .

وقد نجحت قيادة قوات الدفاع الجوي في تحريك ١٤ كتيبة صواريخ إلى الشاطئ الغربي لقناة السويس مبشرة قبيل منتصف ليلة ٨/٧ أغسطس ١٩٧٠ ، حيث كان وقف إطلاق النيران المؤقت يبدأ الساعة الواحدة من صباح يوم ٨ أغسطس ١٩٧٠ .

أما فيما يختص بالعمليات البرية ، فقد هاجمت كتيبة صاعقة في أول مايو سنة ١٩٧٠ نقطة حصينة للعدو على الشاطئ الشرقي للقناة شمال القنطرة وقضت على جميع أفراد الموقع واستولت على الأسلحة والمعدات والوثائق الموجودة به ، واحتلت الموقع لمدة يوم كامل ، ونصبت ثلاثة كمائن على طريق امداد العدو .

وهكذا ظلت القوات المسلحة المصرية تبذل المزيد من الجهد للاحتفاظ بالطابع الهجومى لعملياتها بعد مرحلة الانتشار التى انجزتها بسرعة ونجاح كاملين فى المرحلة السابقة . ومن الأمثلة الجريئة لهذه العمليات اغارة الطائرات المصرية يوم ٢٣ أبريل على مستعمرة « ناحال يام » فى شمال سيناء على بعد ١٠٠ كيلومتر شرقى القناة . وفى ٢٥ أبريل هاجمت قاذفات القنابل الخفيفة « الاليوشن ٢٨ » المواقع الاسرائيلية قرب العريش . وقد احتلت قوة مصرية مكونة من ٢٠٠ جندي ، موقعا اسرائيليا فى القطاع الجنوبى من القناة وقضت على أفراداه ودمرت أسلحته ومعداته وذلك فى السادس والعشرين من أبريل عام ١٩٧٠ .

وفى ٣٠ مايو ، قصفت وحدة مصرية بحرية خاصة مركز قيادة اسرائيلى فى خليج السويس .

وقد شهدت هذه المرحلة فى الأشهر الأخيرة حربا إلكترونية محمومة ، واستخدام الأسلحة المتطورة من الجانبين خلال المعارك المحتدمة بين الطيران الاسرائيلى وقوات الدفاع الجوى المصرية .

وقد اتسمت هذه المرحلة أيضا بارتفاع معدل القتل الاسرائيليين . فطبقا لما سمحت اسرائيل باعلانه فقد بلغ عدد القتلى ٩ فى مارس ، ثم ٣٧ فى أبريل ، ثم ٣١ فى مايو .

وفى ٢٤ يونيو ١٩٧٠ تقدم وليام روجرز بمبادرة أمريكية استجلب لها الجانبان المصرى والاسرائيلى وتوقف القتال فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ .

آثار حرب الاستنزاف :

أولا - على مصر :

(١) عسكريا :

امتلك مصر زمام المبادرة العسكرية من بدء حرب الاستنزاف الى ما قبل دخول الطيران الاسرائيلى المعركة فى ٢٠/٧/١٩٦٩ .

وقد أشادت حرب الاستنزاف بفضل معاركها المتعددة القوات المصرية

وهيأت لها أفضل فرص التدريب العملى واكتساب خبرة القتال الفعلى والوقوف على نقاط القوة والضعف فى العدو ، كما أتاحت الفرصة المواتية لاختيار القادة العسكريين الأكفاء وتمكينهم من التعرف على الفكر العسكرى الاسرائيلى فى التطبيق الميدانى . وبفضل حرب الاستنزاف تطور السلاح المصرى ليوائم الواقع .

الا ان المخطط العسكرى المصرى لم يحكم الضوابط الحقيقية التى منظم بها معدل التصعيد فى سلام الاستنزاف قبل أن يمارسه عمليا فى الميدان فما حدا بالقيادة الاسرائيلية ان تدفع قواتها الجوية الى المعركة خلال المرحلة الثالثة من حرب الاستنزاف بهدف نزع الفطاء الجوى المصرى وفق خطة مدروسة . وقد استطاعت القوات الجوية الاسرائيلية أن تمرح فى سماء مصر المفتوحة بعد انهيار الدفاع الجوى المصرى .

وقد دى ذلك الموقف الى زيادة الخسائر المصرية فى الأفراد والأسلحة والمعدات فضلا عن الخسائر التى لحقت بالأهداف العسكرية والمدنية نتيجة الغارات الجوية الاسرائيلية فى العمق المصرى ، وهو ما عرف باسم المرحلة الثانية من الاستنزاف المضاد .

كما خسرت مصر فى معركة بناء حائط الصواريخ نحو أربعة آلاف من أبنائها الذين أسهموا فى عملية البناء . وإذا كانت خسائر مصر العسكرية فى الأفراد والأسلحة والمعدات خلال حرب الاستنزاف لم تعلن بعد ، فلاشك أنها كانت كبيرة باعتراف عبد الناصر نفسه . وقد أورد الفريق أول محمد فوزى فى مذكراته احصائية عن خسائر قواتنا عن عام ١٩٦٩ تتضمن استشهاد ١٦ ضابطا ، ١٥٠ من الدرجات الأخرى ، واصابة ١٩ ضابطا ، ٢٩٩ من الدرجات الأخرى بجراح ، وتدمير سريتى مدافع ٣٧ مم مضادة للطائرات (١٢ مدفعا) ، ١٠ مدافع ميدان ، و ١٩ مدفعا مضادا للدبابات .

(ب) اقتصاديا :

كانت خسائر مصر الاقتصادية جسيمة ، وكانت أهمها تدمير معظم مدن القناة ومنشآتها الاقتصادية . كما ترتب على تهجير سكانها توقف دور

— ٩٠ —

الحياة الاقتصادية فيها ، فانخفضت معدلات النمو وازداد العجز القومى ، كذلك ازداد حجم الديون المصرية زيادة كبيرة نتيجة العجز المتوالى فى المعاملات الجارية مع العالم الخارجى .

اما اعباء ومتطلبات الدفاع والامن القومى والمجهود الحربى وما ارتبط بها من خسارة فى الفترة من عام ١٩٦٨ الى عام ١٩٧٣ فقد بلغت نحو ثمانية آلاف مليون جنيه مصرى .

وقد اثر ذلك على الهياكل الاسلمية والقدرات الانتاجية ومستوى الخدمات العامة ومرافق الدولة وغيرها ، بالاضافة الى ظهور مشاكل التضخم .

ثانيا - على اسرائيل :

(١) عسكريا :

لقد كبد العرب اسرائيل خلال حرب الاستنزاف ثلاثة امثال ما لحقها من خسائر بشرية خلال حرب يونيو ١٩٦٧ .

وكان المعدل الشهرى للخسائر يتزايد باستمرار طوال مراحل حرب الاستنزاف ، فخلال الفترة من ٨ سبتمبر ١٩٦٨ الى ٤ يونيو ١٩٦٩ . ارتفع المعدل ليصبح ما بين ٤٠ - ٥٠ جنديا شهريا ، وخلال الفترة من ٥ يونيو ١٩٦٩ الى ٧ اغسطس ١٩٧٠ وصل المعدل الى ٧٢٢ اصابة شهريا .

وقد نشرت المجلة العسكرية لجيش الدفاع الاسرائيلى ان القوات الاسرائيلية فقدت خلال حرب الاستنزاف اربعين طيارا ، ٨٢٧ قتيل ، ٣١٤١ جريحاً وأسيرا من القوات البرية . كما خسرت ٢٧ طائرة قتال ، ومدمرة وسبعة زوارق وسفن انزال ونقل ، و ١١٩ مجنزرة ، و ٧٢ دبابة ، و ٨١ مدفع ميدان وهاون .

وتعتبر الخسائر البشرية اشد نتائج حرب الاستنزاف خطورة على اسرائيل ، غير انها تدخل ضمن طائفة اسرائيل على التحمل .

٩٢

ويرجع سبب قلة خسائر إسرائيل البشرية والمادية الى انتصار حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية بصورة أساسية ، أما بقية الجبهات المصرية فكانت خامدة ، اذ لم تمارس أى من الجيوش النظمية سواء في سوريا أو الأردن أو لبنان أية عمليات استنزاف ضد إسرائيل . ولم يشارك جيش مصر سوى منظمات المقاومة الفلسطينية في الأردن والجولان وقطاع غزة وفي فلسطين المحتلة .

ولكن اضطرت إسرائيل الى تعبئة ما يزيد على ٢٠ لواء من جيشها وهو ما يزيد على ٥٠٪ من اجمالي وعاء التعبئة البرية الاسرائيلية ، كما اضطرت الى تعبئة كل سلاحها الجوي أى بنسبة ١٠٠٪ من وعاء التعبئة فيه .

كما أجبرت حرب الاستنزاف إسرائيل على زيادة حجم القوات الاسرائيلية العاملة الى نحو ١٥٠ ألف جندي أى بزيادة نحو ١٠٠ ألف جندي عن الأحوال العادية . وقد لجأت إسرائيل في تدبير هذه الزيادة الى رفع الحد الأقصى لسن الاستدعاء للاحتياط والخدمة في الجيش العامل من ٤٩ سنة الى ٥٥ سنة وذلك في ٣٠ أكتوبر ١٩٦٩ ، وسحب جزء من قود العمل المدنية بما خفض قوة العمل من الذكور من ٧٠ ألف الى ٢٢ ألف فقط ، طبقا للحاصلات الاسرائيلية عن منتصف ١٩٧٠ .

غير أن إسرائيل استطاعت التغلب على نقص اليد العاملة الاسرائيلية باستخدام العمالة العربية الرخيصة في الأراضي المحتلة .

(ب) اقتصاديا :

لم تستطع حرب الاستنزاف أن تمس المنشآت الانتاجية والاقتصادية في إسرائيل لعدم توافر القوة الجوية المصرية اللازمة لتنفيذ مهام القذف الاستراتيجي .

أما عن الاستنزاف الاقتصادي ، فقد بلغ متوسط ما تحمله كل فرد في إسرائيل من الانفاق العسكري نحو ٤١٧ دولارا خلال عام ١٩٧٠ بينما كان ١٣٨ دولارا في عام ١٩٦٦ ،

وقد أشعل موشي ديان يوم ١٧ أغسطس ١٩٧٢ إلى أحمد جوازب
التكلفة الاقتصادية المباشرة لحرب الاستنزاف فقال : ان تكاليف الانسحاب
المستمر في الأراضي العربية المحتلة من نهاية حرب يونيو ١٩٦٧ إلى ٧
أغسطس ١٩٧٠ بلغت ١٣٦٤ مليون ليرة إسرائيلية (حوالي ٣٢٠ مليون
دولار) ، انفق منها أكثر من ٦٠٪ لمواجهة آثار حرب الاستنزاف ، واستعادة
انشاء خط بارليف . ومن البدهى ان ذلك لا يمثل اجمالى التكلفة الاقتصادية
لحرب الاستنزاف . وقد تزايد الانفاق الحربى الاسرائيلى من ٣٤٪ عام
١٩٦٩ إلى ٨١٪ عام ١٩٧٠ ، وبهذا وصل عام ١٩٧٠ إلى نحو ٢٦٪
من الناتج القومى اجمالى . وقد ادى ذلك إلى هبوط معدل النمو من ١١٪
إلى ٨٪ فى سنتي ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ على التوالي .

وقد شهدت سنوات ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ اضطراب إسرائيل إلى
الاقتراض لتغطية احتياجاتها مما يعنى أن المصادر التقليدية للموارد
والهبات لم تستطع فى فترة حرب الاستنزاف ان تلبى كل احتياجات إسرائيل
من رأس المال .

كما أجبرت إسرائيل فى سنة ١٩٧٠ على طرح سندات الدفاع للبيع
فى الخارج ، وقيمتها نحو ٦٠٠ مليون دولار . وقد ادى ذلك إلى زيادة
أعباء الديون الخارجية فى ميزانية ١٩٧١/١٩٧٠ بمقدار ٥٨٪ عما كانت
عليه فى السنة السابقة .

وقد وصلت أعباء الديون الخارجية فى سنة ١٩٧٠ إلى ٢٢٥ مليون
دولار . وقد أمضى هذا كله إلى تضخم الاسعار فى إسرائيل ، مما حتم
تخفيض الليرة الاسرائيلية فى نوفمبر ١٩٧١ ، وتجميد الاجور .

وهنا يطرح هذا السؤال نفسه : هل كانت حرب الاستنزاف اثر
استنزافا لمصر أم لإسرائيل ؟ .

لقد اعترف جمال عبد الناصر ليسر عرفات بعد قبوله مبادرة روجرز
بأن « المضى فى حرب الاستنزاف بينما إسرائيل تتمتع بتفوق جوى كامل ،
معناه ببساطة اننا نستنزف أنفسنا » .

ومن ثم فقد كانت حرب الاستنزاف أكثر استنزافا لمصر بسبب التفوق
الجوى الاسرائيلى .

الفصل الثالث

حرب أكتوبر عام ١٩٧٣

قرار الحرب :

استند قرار السادس من أكتوبر ١٩٧٣ الى أساس من الفهم الكامل للظروف السياسية السائدة محليا وعربيا وعالميا ، ومراعاة للاعتبارات العسكرية دون التأثير بالاضغوط السياسية في تحديد زمن المعركة . ومن هنا جاء القرار متسقا مع الهدف الاستراتيجي الذي حدده صانع القرار للشائد العام للقوات المسلحة وهو « تحدى نظرية الأمن الاسرائيلي عن طريق عمل عسكري حسب امكانات القوات المسلحة يكون هدفه الحاق اكبر قدر من الخسائر بالعدو لاقتناعه بأن مواصلة احتلاله الاراضينا يفرض عليه ثمنا لا يستطيع دفعه » .

ومن ثم لم يكن الهدف من حرب أكتوبر تحرير جميع الاراضى المحتلة بالقوة المسلحة ، انما خلق وضع جديد يسمح بتحقيق هذا الهدف بالوسائل الدبلوماسية ، حيث يمكن لقرار الحرب أن ينقل عوامل القوة العربية والدولية من وضع السكون الى وضع الحركة .

الظروف السياسية الدولية السائدة واتخاذ قرار الحرب :

يعتبر النزاع العربى الاسرائيلى من النزاعات المعقدة المزمنة ، حيث تتطلب ادارته نظرة فاحصة شاملة لعلاقات وتفاعلات هذا النزاع مع الظروف الدولية السائدة ، نظرا لظروف نشأة اسرائيل وتطورها التى حتمت عليها الارتباط بقوة دولية كبرى تستمد منها القدرة على استمرار الحياة . ومن هنا ارتبط النزاع العربى الاسرائيلى بالنزاعات الدولية الاكبر كجزء مضاف اليها ، ومن ثم فقد أصبح محكوما بقيود وحدود تمنع تشجيع تصعيده .

وقد كان تغير موقع نزاع الشرق الاوسط من الظل الى دائرة الضوء ،

١٩٨٠

العمل الرئيسي في تحديد موعد تنفيذ القرار . ومع استقرار سياسه الوفاق في مؤتمر قمة موسكو المنعقد في مايو ١٩٧٢ ، فقد أخذ بتمد شبح التوتر الدولي ، وبدأ شعور بالسلام والتفاهل يسود أرجاء العالم . فقد شهد العالم بدء تسوية نزاعات امسيلة في النزاع الدولي الاخر مثل مزايا فييتنام والمالينا ، وبدأت تزول بتسريتها وباقتراب تسويةها المقبولة الاساسية لنظم الحرب الباردة .

وفي مثل هذه الحالة ، تبدو مشكلات التوتر الاقليمية في مسوره اوضح وأكبر وأشد خطرا ، بينها كانت تبدو في ظل الحرب الباردة أقل اهمية وخطرا . وحين أصبحت مشكلة الشرق الأوسط هي الوحدة التي تعبر صفو السلام العالمي ، فقد بدت في صورة مفزعة ، خلاصة وانها تهدد بمشكلات جديدة مثل مشكلة النفط .

وفي ظل هذه الظروف ، كان يمكن لاوليات المتحدة ان تعمل على تحريك الجمود في الشرق الأوسط ولكنها لم تفعل . وفي نفس الوقت كان صانع القرار المصري يدرك انه اذا تم التحريك بإرادة أمريكية مفردة فلما هو يتم أساسا لصالح اسرائيل . وفي أبريل سنة ١٩٧٣ ، اتخذ الرئيس أنور السادات وحافظ الأسد قرار الحرب .

خسطة الحرب :

أولا — خطط القوات المسلحة المصرية ،

وضعت في أعقاب حرب يونيو عام ١٩٦٧ خطة دفاعية مخنة الملق عليها « الخطة ٢٠٠ » . ومع نمو قدرات القوات المسلحة ، أخذت القلعة العامة تخطط لأعمال تعرضية محدودة على مواقع العدو في سيناء ، انضوت تحت اسم « الخطة جرائيت » . ويؤكد السادات في صفحة ٢٤٨ من كتابه « البحث عن الذات » أن الوضع الذي تسلمه من عبد الناصر هو الخطة الدفاعية ٢٠٠ ، ولكن لا وجود لخطة هجومية . وقد جاء في مذكرات الشاذلي قوله « عندما عينت رئيسا للاركان في ١٦ مايو سنة ١٩٧١ لم تكن هناك خطة هجومية » ليقدر كاتبها حينها خطة دفاعية تسمى « الخطة ٢٠٠ » .

وكانت هناك أيضا خطة تعرضية أخرى تشمل القيام ببعض الغارات على مواقع العدو في سيناء ، واكن لم تكن في المستوى الذى يسمح لنا بأن نطلق عليها خطة هجومية وكانت تسمى « جرائيت » .

ولكن بعد تعيين الفريق محمد أحمد صادق وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة وتعيين اللواء سعد الدين الشاذلى رئيسا للأركان ، دار الصراع داخل المجلس الأعلى للقوات المسلحة بين ثلاث نظريات للتحرير : النظرية الاولى ويعتنتها الفريق محمد صادق وتقضى بتدمير العدو في سيناء وقطاع غزة في عمية واحدة شريطة أن يزود الاتحاد السوفييتى مصر بالأسلحة التى تطلبها .

أما النظرية الثانية فكان يتنادى بها اللواء سعد الشاذلى ، وهى تتلخص فى القيام بعملية هجومية محدودة تتضمن اقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف واتخاذ أوضاع دفاعية شرق القناة على مسافة تتراوح بين ١٠ — ١٢ كيلومترا ، وبعد اتمام هذه المرحلة يمكن التحضير للمرحلة التالية التى تهدف الى الاستيلاء على المضائق . فى حين كانت النظرية الثالثة اللواء أحمد اسماعيل ، مدير المخابرات العامة آنذاك ، وهى تطرح فكرة الهجوم جانبيا فى ذلك الوقت على أساس أن القوات المصرية ليست فى وضع يسمح لها بذلك بسبب تفوق القوات الجوية الاسرائيلية ، وتربط توقيت العملية الهجومية باغلاق المفجوة بين القوات الجوية المصرية والقوات الجوية الاسرائيلية .

غير أنه قبل اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة فى ٦ يونيو سنة ١٩٧٢ ، الذى حضره السادات ، عدل الفريق محمد صادق عن نظريته الاولى وأصر على تكوين « قوة ردع » ، أى يكون لدينا طائرات قادرة على ضرب عمق العدو قبل بدء العملية الهجومية . وقد تأثر السادات برأى كل من الفريق محمد صادق واللواء أحمد اسماعيل تأثرا شديدا وأعلن أنه « يجب ألا نعمل إلا بعد تكوين قوة ردع » .

ألا ان اللواء سعد الدين الشاذلى عارض هذا الرأى على أسس

— ٦٦ —

أنه لا أمل في اغلاق أو تضيق الفجوة بين القوات الجوية المصرية والقوات الجوية الاسرائيلية في المستقبل القريب ، وتبنى فكرة التخطيط لعملية هجومية محدودة في ظل تفوق جوى معاد مع الاعتماد على مظلة صواريخ الدفاع الجوى في تحدى التفوق الجوى الاسرائيلى .

وقد صادف رأى الشاذلى هوى في نفس السادات ، بيد أنه لم يعان قراره بالموافقة على فكرة الحرب الهجومية المحدودة الا بعد شهر من هذا الاجتماع ، حيث اتضح له أن الاتحاد السوفييتى يريد تهدئة الموقف في منطقة الشرق الأوسط . ويقول الفريق محمد أحمد صادق « كانت فكرة السادات أن تعبر القوات المصرية القناة وأن تستولى ولو على متر واحد من الضفة الشرقية وبعد ذلك نسمى الى الوصول الى حل سياسى ، ثم تطورت فكرته الى ضرورة التوقف بعد اقامة رعوس الكبارى شرق القناة وتحريك القضية سياسيا » .

وبإشارة الفريق صادق وتعيين اللواء أحمد اسماعيل وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة في ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٧٢ اندثرت فكرة عدم العمل الا بعد تكوين قوة ردع وفرضت نظرية الحرب المحدودة نفسها بقوة .

وقد عرض اللواء سعد الشاذلى على اللواء أحمد اسماعيل خطتين : الأولى وهى خطة « المآذن العالية » وتستهدف اقتحام قناة السويس والاستيلاء على خط بارليف وأنشاء رعوس كبارى على عمق من ١٠ — ١٢ كيلومترا شرق القناة . والثانية وهى « الخطة جرانيت ٢ » وتستهدف الوصول الى المضائق .

وقد اقتنع القائد العام بعدم قدرة القوات المسلحة على تنفيذ « الخطة جرانيت ٢ » واستقر رأيه على تنفيذ خطة « المآذن العالية » وحدد ربيع سنة ١٩٧٣ كتوقيت محتمل للهجوم . بيد أنه مع اقتراب ميعاد المعركة فقد تبنى الفريق أحمد اسماعيل نظرية الوصول الى المضائق بعملية هجومية واحدة مستمرة ، وطلب الفريق مسعد الشاذلى تطوير الهجوم في الخطة بهدف الاستيلاء على المضائق .

- ٦٧ -

وبناء على ذلك عدلت الخطة « جرائت ٢ » وأصبح يطاق عليها « الخطة جرائت ٢ المعدلة » وأصبحت خطة العبور وإنشاء رموس الكبارى تعرف باسم « المرحلة الأولى » وخطة تطوير الهجوم تعرف باسم « المرحلة الثانية » ، على أن تفصل بين المرحلتين ما اصطلح على تسميته بـ « وقفة تعبوية » .

ويقول الشاذلى أن العادة جرت على مناقشة خطة العبور بالتفصيل الدقيق « ثم نمر مروراً سريعاً على المرحلة الثانية » . ولم أتوقع قط أن يطلب أينا تنفيذ هذه المرحلة وكان يشاركنى هذا الشعور قادة الجيوش .

يتضح مما سبق أن خطة حرب أكتوبر استهدفت فقط اقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف والاستيلاء عليه والتمسك برعوس كبرى بعمق ١٠ - ١٢ كيلومتراً بهدف تهيئة الظروف السياسية لاستكمال تحرير الأراضي المحتلة .

وقد بدأت القيادة المصرية في نهاية عام ١٩٧٢ التخطيط لعملية تعرضية بالتنسيق الكامل مع القيادة العسكرية السورية في سرية تامة ، وتم تعيين الفريق أحمد اسماعيل على قائداً عاماً للقوات المسلحة الاتحادية في ١٠ يناير عام ١٩٧٣ . وقد أطلق في سبتمبر سنة ١٩٧٣ الاسم الرمزي « بدر » على العملية الهجومية الاستراتيجية على الجبهتين المصرية والسورية .

وطبقاً لما أعلنته المصادر العسكرية المصرية ، فقد كان هدف العملية الهجومية للقوات المسلحة المصرية هو « هزيمة وتدمير جميع العدو الرئيسى على مرحلتين والاستيلاء على مناطق ذات أهمية استراتيجية تعبوية بهدف تهيئة الظروف العسكرية والسياسية لاستكمال هزيمة العدو وتحرير الأراضي المحتلة » .

وكان تشكل العملية الهجومية للقوات المسلحة المصرية في نسق واحد واحتياطى . وقد شكل النسق الأول من منطقة البحر الأحمر العسكرية

والجيش الثانى والثالث ايدائين ، فى حين كان احتياطى القيادة العمامة مكونا من الفرقة الثالثة المشاة الميكانيكية عدا لواء مشاة ميكانيكى ، ولواءين مدرعين ، ولواء مظلى ، ولواءى اقتحام جوى عدا كتيبة ومجموعة صاعقة .

تحليل الخطط الهجومية المصرية :

هدفت خطة « المآذن العالية » الى اجبار اسرائيل على القتال فى ظروف لا تلائمها وخوض معارك ثابتة لا تناسب قواها المتميزة فى المعارك خفيفة الحركة مما يكدها خسائر فادحة فى الافراد والمعدات لا تستلجم تحملها ، مع الاستمرار فى تعبئة قواها الاحتياطية لاطول فترة ممكنة بغرض اضعاف قدرتها على مواصلة القتال .

ولكن كانت هذه الخطة دون مستوى القوات المساحتة المصرية وقامرة عن تحقيق الاهداف المرجوة منها ، بينما كان الاستيلاء على خط المضايق بمعامة هجومية مستمرة يحقق تلك الاهداف للأسباب :

١ — خططت المعامة الهجومية « بدر » وكان من بين اهدافها اجبار القوات الاسرائيلية على القتال على جبهتين فى وقت واحد مما يشمتت جهودها ويترك اعمال قتالها ، بينما توقف القوات المصرية شرق القناة على عمق ١٠ — ١٢ كم يوفر القيادة الاسرائيلية امكانية تثبيت الجبهة المصرية بقدرات محدودة وتركيز معظم قواتها على الجبهة السورية لتصفيتها ، ثم التحول الى الجبهة المصرية فى مرحلة تالية ، وفى هذه الحالة لا يكون التنفيذ قد واكب التخطيط للمعامة الهجومية .

٢ — ضعف تأثير نتائج خطة « المآذن العالية » لا يفضى الى تغيير كبير فى الموقف الاستراتيجى فضلا عن استمرار اغلاق القناة وعدم استرداد حثول بتروى سيناء ، بينما الاستيلاء على خط المضائق الاستراتيجية يحدث دويا كبيرا فى العالم وتأثرا حادا فى الموقف الاستراتيجى لصالح العرب ، ويجبر اسرائيل على الارتداد الى الخط : العريش — جبل لبنى — التمد على بعد حوالي ٤٥ — ٥٠ كم من حدود مصر الشرقية مما يعد هزيمة

قنسية لاسرائيل ، كما يوفر تأمين قناة السويس من مدفعية العدو واسترداد حقول بترول سيناء .

٣ — تسليم المباداة طواعية العدو بالتوقف في رعوس كبارى شرق القناة وبذلك تفقد المفاجأة حدتها . ثم قيمتها مع التخلى عن استثمار نتائجها ، مما يتيح للعدو فرصة استعادة توازنه ومواجهة القوات المهاجمة برد فعل مناسب ومقتدر .

٤ — تعريض الجبهة السورية لضربات العدو المضادة المتوقعة مما يجهض أى نجاح تحرزه القوات السورية ، فعمق هضبة الجولان نحو عشرين كيلومترا وكان من المنتظر أن تستولى عليها القوات المهاجمة فى يومى قتال ، ولكن كان من المشكوك فيه تماما أن تتمكن القوات السورية من الاحتفاظ بالأراضى المسنولى عليها تحت ضغوط العدو الهائلة . وقد كان استمرار القوات المسلحة المصرية فى الهجوم للاستيلاء على المضائق وتعزيزها من شأنه أن يخفف الضغوط عن الجبهة السورية مما يساعدها على انجاز مهام القتال . كما أن نجاح العدو فى تصفية الجبهة السورية يودى الى اخراج سوريا من الحرب ، او على الأقل تقليل فاعليتها الى الحد الأدنى مما يتيح للعدو تركيز كل جهوده تقريبا على الجبهة المصرية وبخاصة قواته الجوية .

٥ — كان من المتوقع أن يركز العدو ٧٥ — ٨٠٪ من مجهوده الجوى عند بدء القتال على الجبهة السورية مما يوفر للقوات المصرية فرصة الوصول الى المضائق تحت ستر وسائل الدفاع الجوى للجيش اثنائى والنالك الميدانيين بما فيها صواريخ سام ٦ (كان بكل جيش ميدانى نواء صواريخ سام ٦ وهى صواريخ متحركة تطلق من العربات) بالإضافة الى إمكانية الاستفادة من كتائب صواريخ سام ٣ بانتقال بعضها الى شرق القناة بطريقة الزحف ، فضلا عن توفير الحماية بواسطة المقاتلات المصرية، كما كان يمكن دفع مفارز متقدمة ليلا ، بعد سقوط معظم النقاط القوية للعدو للاستيلاء على المضائق ثم تعزيز هذه المفارز ايلا فى الأيام التالية مع دعمها

٧٠ -

بأكبر عدد ممكن من الأسلحة الخفيفة المضادة للطائرات وخصوصا الصواريخ الفردية سام ٧ .

٧ - طبيعة الأرض الرملية المفتوحة شرق القناة لا توفر انشاء خط دفاعى قوى لاتساع المواجهة مما يحتتم وجود فواصل وثغرات كبيرة ، فضلا عن تعرض الأجناب المفتوحة لأعمال الالتفاف والتطويق المعادية مما يستلزم تخصيص قوات مدرعة وميكانيكية لتأمين الأجناب ونقط الاتصال مع وجود قوات مدرعة مناسبة فى الضفة الغربية لاحباط اية محاولة لعبور القناة او الابرار البحرى من شمال خليج السويس . كما ان الأرض الرملية تحتاج الى مواد ومهمات هندسية كثيرة ليس من السهل تدبيرها فى وقت محدود ، بالإضافة الى عدم توافر الوقت لتجهيز خط دفاعى قوى تحت ضغط العدو (تحتاج الفرق المشاة الى ثلاثين يوما لتجهيز نطلق دفاعى كامل فى ظروف مادية وتصل المدة الى الضعف فى حالة تدخل العدو) . بينما توفر منطقة المساقى الجبلية خطا دفاعيا مثاليا يتعذر تطويقه ويحد من عمل المدرعات بدرجة كبيرة ويوفر وثلية مناسبة من غارات العدو الجوية كما يحقق ومرا فى القوات المدافعة (الاقتصاد فى القوى) .

٧ - ان التمسك برعوس كبارى شرق القناة وانتظار ضربات العدو المضادة هو فى حقيقة امره دفاع سلبي ، وأن اى دفاع مهما كان محصنا لا يستلغى الصمود الى ما لا نهاية ، ولابد من اختراقه فى النهاية كما حدث لخط بارليف ومن قبله خط ماجينو الفرنسى وخط سيجفريد الألمانى .

٨ - تشتتت الاحتياطيات الاستراتيجية الاسرائيلية بين الجبهتين المصرية والسورية ، كذلك مجهود القوات الجوية التى لا تستطيع أن تلبى مطلب المعاونة الجوية للقوات الاسرائيلية العاملة على جبهتين فى وقت واحد .

وقد اغفل التخطيط المصرى السورى المنظمات الفلسطينية وكان من الواجب تخصيص مهام لها للعمل ضد مؤخرة العدو .

كما تم اغفال التنسيق مع القيادة العراقية بشأن دفع جزء من قواتها

الى الجبهة السورية بمجرد بدء القتال على الرغم من التأكد من أن الجبهة السورية لا يمكنها الصمود أمام ضربات العدو المضادة المتفوقة . ولو تم ذلك التنسيق لكان بالإمكان اشراك القوات العراقية في القتال اعتباراً من يوم ٩ أكتوبر ١٩٧٣ .

وعلى حين راعت القيادة المصرية نظرية الفعل ، فإنها أهملت نظرية رد الفعل إذ لم تضع في حساباتها إمكان العدو تدمير رؤوس الكبارى بالهجمات القوية ، وحصول اسرائيل على أسلحة الكترونية متطورة من الولايات المتحدة للحد من فاعلية حائط الصواريخ المصرى .

ثانياً — خطط القوات الاسرائيلية على الجبهة المصرية :

كانت استراتيجية اسرائيل قبل عام ١٩٦٧ ملتزمة بالعمل التعرضى الذى يعتمد على المفاجأة والمبادأة بهدف ثقل المعركة الى اراضى الخصوم . غير انها بعد استيلائها على مساحات شاسعة من الاراضى العربية في تلك الحرب ، فقد اعتنقت نظرية الانسحاب المتحرك التى تهى لها الاحتفاظ بالاراضى المحتلة والدفاع عنها بأقل القوات والجهد والتكاليف .

وقد وضعت اسرائيل عدة خطط دفاعية وتعرضية لمواجهة الاحتمالات المختلفة ، وكان الهدف الاستراتيجى من تلك الخطط هو منع القوات المصرية من اقتحام قناة السويس وتدمير تلك القوات فى المناطق الابتدائية وأثناء العبور ، لاتاحة الفرصة للتعبئة العلهة وحشد ودفع الاحتياطيات من العمق .

وكان أسلوب الدفاع الاسرائيلى فى سيناء يتلخص فى تركيز المجهود الرئيسى للدفاع فى اتجاه القناة ، مع تكثيف نشاط الاستطلاع لمتابعة حجم ونيات القوات المسلحة المصرية . وللاقتصاد فى القوات والنفقات ، قامت اسرائيل بتأمين قناة السويس بأقل قدر من القوات التى تحتل نقاطاً حصينة على الضفة الشرقية للقناة مع تمركز الاحتياطيات التعبوية والاستراتيجية فى العمق . وكان على الاحتياطيات المحلية والتكتيكية تدعيم المواقع الحصينة والقيام بالهجمات المضادة لتدمير القوات التى تنجح فى العبور مع تأمين

القواصل بالدوريات والكمائن . وكانت مهمة المواقع الحصينة منع القوات المهاجمة من العبور والتقدم في سيناء ، أما في حالة نجاح القوات المصرية في اقتحام قناة السويس ، فتعمل تلك المواقع ضد اجناب ومؤخرة قوات الاقتحام بهدف ارباكها وتعطيلها وقطع خطوط مواصلاتها واحداث أكبر خسائر ممكنة بها .

وفي حالة اكتشاف اسرائيل نية القوات المصرية للهجوم فانها تقوم بتوجيه ضربات جوية مركزة على وسائل دفاع جوى النجبهة والقوات الجوية والمطارات الحصول على السيطرة الجوية . كما تحتل قواتها في سيناء النقاط القوية والخطوط الدفاعية ، وفي نفس الوقت تعان التعبئة ونجري الفتح التعبوى لقواتها مع القيام بأعمال تعرضية سيها ضد الاهداف العسكرية والمدنية في العمق . وفي حالة نجاح الضربات الجوية الاسرائيلية ، تقوم بعض القوات الاسرائيلية بشن أعمال تعرضية محدودة غرب القناة لاحباط نواحيات القوات المصرية للهجوم .

أما في حالة عدم اكتشاف اسرائيل نية القوات المصرية للهجوم ، فينتع على عاتق القوات الاسرائيلية المدافعة والقوات الجوية ، مهمة صد وتسجيل القوات المهاجمة حتى تناح الفرصة للتعبئة واجراء الفتح التعبوى . ثم تقوم ثلاث مجموعات عمليات كل من انواع مدرعين ولواء مشاة ميكانيكي بالضربات المنسدة واحباط الهجوم ، وطبقا للموقف تستغل مجموعات العمليات نجاحها ونمبر قناة السويس وتؤمن خط بعق ٣٠ كيلومترا غربها .

الاعداد السياسي لاجرب :

في أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ ، تحركت الدول العربية في اطار المسامى السياسية والدبلوماسية لشرح القضية العربية وكشف العدوان الاسرائيلى وأهدافه التوسعية بغية تهيئة الظروف المواتية لاقامة سلام عادل ودائم في منطقة الشرق الأوسط . وقد تشعبت الجهود السياسية والدبلوماسية في منظمة الأمم المتحدة حيث

٧٢ -

صدر قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، وعلى مستوى الدول الكبرى ممثلة في المحادثات الرباعية ثم المحادثات الثنائية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ثم مبادرة روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية .

كذلك على المستوى العربي ، وكانت أبرزها مبادرة السادات في الخامس من فبراير ١٩٧١ ، بالاضافة الى مجال دول عدم الانحياز والمجال الأفريقي والمجال الأوروبي .

وخلصت مصر من المباحثات والمبادرات الى انه لا فائدة ترجى من اسرائيل التي عقدت العزم على مواصلة العدوان وفرض الأمر الواقع بالقوة .

وباتخاذ قرار الحرب في أبريل ١٩٧٣ تم التركيز على الدائرة العربية وبخاصة دول المواجهة ودول النفط . وقد سار الاعداد السياسي للحرب في مستويين ، المستوى العالمي والمستوى العربي .

١ - على المستوى العالمي :

استمرت مصر في بذل الجهود الدبلوماسية وهي على طريق الاستعداد للحرب ، فدعت الى عقد دورة طارئة لمجلس الأمن في يونيو ١٩٧٣ للنظر في تقرير يقدمه السكرتير العام للأمم المتحدة عن مهمة ممثله الخاص السفير جونار يارنج بهدف اتخاذ الاجراءات المناسبة لاقرار السلام طبقا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ .

وفي ٢٦ يوليو ١٩٧٣ ، تم التصويت على مشروع قرار تقدمت به دول عدم الانحياز يسرب عن اسف المجلس العميق على استمرار احتلال اسرائيل للأراضي العربية بما يتعارض مع مبادئ ميثاق الأمم المتحدة واستمرار اسرائيل في عرقلة مهمة السفير يارنج . وقد حصل مشروع القرار على مرافقة ثلاث عشرة دولة من الدول الاعضاء في مجلس الأمن ، غير أن الولايات المتحدة استخدمت الفيتو لاحتباط المشروع .

- ٧٤ -

وقد جددت دول عدم الانحياز تأييدها التام للقضية العربية في مؤتمر قمة عدم الانحياز الذي انعقد في الجزائر في سبتمبر ١٩٧٣ ، بل أن المؤتمر تعهد في بيانه الختامي بمساعدة مصر وسوريا والأردن على تحرير أراضيها بكافة الوسائل ، واعتبر استعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه الوطنية شرطا أساسيا لاعادة السلام .

كما أحرزت الدبلوماسية المصرية مكاسب جديدة في المجال الأوروبي حيث لم تخف الدول الأوروبية محلولاتها تحريك الموقف المتجمد في الشرق الأوسط . وإمام الصلف والعناد الاسرائيلي لم تجد هذه الدول بديلا عن الاعتراف للدول العربية وفي مقدمتها مصر بأن التحريك لن يأتي الا بعمل عسكري يفرض تحريك الأزمة وينقل بقية المسؤولية الى المجتمع الدولي .

وقد دعم هذا الموقف اقتناع صانع القرار بأن تسوية المشكلة لن تتحقق الا بتحريك الأزمة عسكريا ، واتضح له أن المبادأة العسكرية لن تقلل بالادانة من المجتمع الدولي في ظل هذا الموقف .

٢ - على المستوى العربي :

قامت استراتيجية السادات في العمل العربي المشترك على تصور أنه لا يمكن لمصر أن تخوض حربا شاملة ضد اسرائيل ، ما لم تكن وراءها جبهة عربية متماسكة قادرة على ممارسة ضغوط قوية بكل ما هو متاح لديها من أسباب القوة ضد أية محاولة منهورة قد تقوم بها القوى المعادية للعرب والممثلة لاسرائيل .

وطبقا لهذا التصور فقد شملت استراتيجية السادات العربية ثلاثة محاور : أولها ، التركيز على نقاط الالتقاء والتقارب في الجبهة العربية وتدعيمها الى أقصى ما تسمح به الامكانيات . ولتحقيق ذلك ، قامت مصر بجهود كبير في رأب الصدعات العربية ، والانطلاق الى أفق رحب من العلاقات العربية الجديدة بتوسطه مصر .

ولم يقتصر التنسيق المصري على سوريا وحدها ، انما تجاوزها الى التنسيق مع بعض الدول العربية التي يمكنها التأثير على المعركة ، كما

سمى الى اجتذاب الأرنا الى نوع من التعاون مع مصر وسوريا . وقد مهدت الحكومة المصرية لذلك التعاون بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع الأردن في صيف عام ١٩٧٣ ، إلا أن انجاز السادات الأكبر كان التوفيق بين نظامي الحكم في سوريا والأردن . فرتب لقاء قمة ثلاثي في القاهرة حضره الملك حسين والرئيس السوري حافظ الأسد في ١٢ سبتمبر ١٩٧٣ . وفي هذا اللقاء تم تصفية الخلاف ، كما علم ملك الأردن بقرب موعد نشوب الحرب دون تحديد لتوقيت الهجوم . وقد طلبا الى الملك حسين — عند بدء الحرب — إرسال قوة مدرعة الى شمال الأردن لتأمين الجنب الأيسر للقوات السورية . وقد رحب الملك بهذا الطلب وأبدى استعداداه التام للتعاون مع سوريا ، وقال إذا كان الأمر يتطلب الاشتراك الفعلي في القتال فلا بد من تقديم مساعدات في صورة قيادة مشتركة ، وإرسال فنيين وطائرات مقاتلة ووحدات صواريخ مضادة للطائرات الى الأردن .

كذلك كانت جولة السادات خلال شهر أغسطس سنة ١٩٧٣ بين سوريا والسعودية وقطر من أهم اللقاءات العربية التي تمت قبل الحرب . وقد أسفرت لقاءات السادات بالقيادة العرب عن توطيد علاقات مصر بالملكة العربية السعودية وباقي الدول والامارات العربية المفتحة للبتروك ، وقد كان للملك فيصل النديب الأوفى في تحقيق تضامن العرب وحشد طاقاتهم وتسخيرها لخدمة القضية العربية بفضل حنكته السياسية وغيرةه على المروبة والاسلام .

وثاني هذه المحاور هو العمل على ألا تعطل مشاريع الوحدة والاتحاد بين مصر وغيرها من الدول العربية ، محاولات التقارب والالتقاء مع مختلف الأنظمة والحكومات العربية الأخرى . فلم يعرقل قيام دولة اتحاد الجمهوريات العربية وعلان مشروع الوحدة بين مصر وليبيا جهود مصر الدائبة الى خلق مزيد من التقارب والتلاحم والالتقاء بين الدول العربية حول أهداف قومية مشتركة .

وثالثها هو استخدام الوسائل الممكنة لاشعار العالم العربي بمدى الجدية والصدق في الاستعداد للحرب ، في حين كانت تثار فكرة الحل

السلمى طبقا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ كاحتمال قابل للتحقيق . كما كان صانع القرار يسي تهما أن استمرار التضامن العربى ودعم العرب لمصر مرهون بالتسوية المصرية على التحرك الايجابى نحو ايجاد مخرج للأزمة .

قد أصبح مفهوما لدى جميع الأطراف العربية أن قرار الحرب لابد أن تدعمه باقى عناصر القوة العربية المتاحة . فالوسائل الاقتصادية تصبح أكثر نفعا وتأثيرا بنفاد القرار ، والعمل العسكرى سيكون تأكيدا لضرورة تكثيف الوسائل السياسية من أجل تسوية لصالح العرب .

وكانت كل من مصر وسوريا على يقين من أن المجهود العربى لن يحدث أثره السالى الا حين يتحرك النزاع بتحريك القوات المصرية والسورية . وما ان تحركت هذه القوات حتى تجلى التضامن العربى فى أروع صوره .

الاعداد العسكرى الحروب :

نحذى نظرية الأمن الاسرائيلى والمتقلب على مشاكل العبور :

تقوم نظرية الأمن الاسرائيلى على فكرة الحدود الآمنة ، والاحتفاظ بالمبادأة ، والقدرة على الردع ، وتجنب القتال على أكثر من جهة ، والحرب الخاطفة ، ونشان مؤازرة قوة عظمى فى كل وقت .

ولتحقيق هذه الغاية ، فقد بنت القيادة المصرية خطتها على عدة مبادئ رئيسية أهمها : حرمان العدو من ميزة التفوق الجوى بأقامة نظام دفاع جوى حديث رقيق وسبته الى توجيه الضربة الأولى . كذلك حرمانه من القدرة على توجيه ضربات مضادة مؤثرة بقواته المدرعة فى مراحل الهجوم الأولى ، وذلك بفرض المعركة على العدو قبل اتمام استعداد قواته ، ثم اقناعه بعدم جدوى وجوده العسكرى فى شرم الشيخ ، وذلك بفرض الحصار البحرى على باب المندب والبحر الأحمر . وأخيرا حرمان اسرائيل من الاستفادة بميزة الاستناد الى قناة السويس كمانع مائى ، والنقط القوية فى خط بارليف عن طريق التخطيط العلمى الدقيق والتدريب الشاق على اقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف .

— ٧٧ —

وقد وضعت القيادة المصرية يدها على مجموعة من المشاكل التي تتعرض لها القوات المصرية ، مما استوجب معالجتها والعمل على تذليلها حتى يتحقق المثل المصري ، أفضل فردس النجاح .

فالغلب على مشكلة اشتعال الذهب فوق سطح الماء ، فقد تقرر اغلاق موانير النابالم بالأسمنت واستبدال مجموعات من الساعة على مستودعات النابالم ، كذا انتخاب قطاعات العبور بحيث تعبر القوات القناة فوق التيار .

والغلب على مشكلة فتح الممرات في السائر الترابي على الضفة الشرقية للقياء ، فقد استقر الرأي على استخدام طريقة التجريف بالمياه تحت ضغط كبير ، بالاعتماد على مضخات المياه التي اطلق عليها اسم « مدافع المياه » ، حتى يمكن اقامة المعديات وتركيب الكباري .

وكانت المشكلة الثالثة تنحصر في تأمين اقحام الموجات الاولى من نيران العدو المنشنة ونيران المدفعية . ولتحقيق هذا الهدف ، خططت القيادة المصرية لتنفيذ تمهيد نيرانى بالغ القوة .

اما المشكلة الرابعة المتمثلة في صعوبة تساق الجنود السائر الترابي وهم يحاؤون أسلحتهم وذخائرهم ، فقد تم مواجهتها بابتكار الكثير من الأدوات والأجهزة التي تسهل صعود السائر ذى الميل الحاد . ولتوفير القدرة للقوات المترجلة على قتال مدرعات العدو قبل عبور الدبابات المصرية للقناة ، فقد اتخذت مجموعة من الاجراءات في هذا الصدد كانت أهمها :

- ١ — زيادة نسبة تسليح الجنود بالأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات ، مع زيادة نسبة الصواريخ الخفيفة منها .
- ٢ — تصنيع عربات صغيرة لنقل مالا يستطيع الجنود حمله .
- ٣ — أن تحمل الموجات الاولى للهجوم أكبر قدر من الأسلحة والذخيرة وأقل قدر من التعيينات والمياه .

- ٧٨ -

٤ - تجهيز سواثر عالية على الضفة الغربية للقناة لاحتلالها الدبابات والاسلحة المضادة للدبابات لتدمير دبابات العدو التي كان من المنتظر أن تهاجم قواتنا في الضفة الشرقية للقناة .

٥ - تشكيل مجموعات اقتناص دبابات ، تدفع قبل هجوم القوات الرئيسية لنسب الكمائن على طرق تقدم دبابات العدو بهدف منعها من الاقتراب في اتجاه القناة .

التجهيز الهندسي لمرح العمليات :

شملت أعمال التأمين الهندسي اراضى جمهورية مصر كلها ، وكانت أهم تلك الأعمال هى اجراءات التجهيز الهندسي في منطقة الجبهة وفي بقية المناطق العسكرية . وكانت أبرز الأعمال في الجبهة هى : انشاء ساتر ترابى على الضفة الغربية لقناة السويس لتوفير الوقاية لقواتنا من نيران ومراقبة العدو ، وانشاء هيئات حاكمة « مصاطب » تسيطر على الضفة الشرقية للقناة ، وتجهيز شبكة من الطرق والمداخل أثناء العبور ، وتجهيز ساحات الاستطام لمعدات الكبارى على الضفة الغربية للقناة . كما تم تجهيز المنازل اللازمة لاستخدام المعدات وذلك على طول المواجهة من السويس الى شمال القنطرة على مسافات متساوية لعدم تمكن العدو من تحديد قطاعات العبور ، فضلا عن انشاء مواقع وحدات صواريخ الدفاع الجوى ودشم الطائرات ومراكز لقيادة والسيطرة .

اعداد القوات :

فرضت الظروف أن تقتضى القوات المساحة المصرية ما يزيد على ست سنوات وهى تمارس أعمال الدفاع التى تتسم عادة بالجمود . اذلك كان يتحتم اعداد القوات المساحة العمائات الهجومية وتخايسها من حالة الركود .

وقد وضعت سياسة حكيمة لاعداد القوات المساحة تم التركيز فيها على الجانب المعنوى والتدريب على مهام العمليات المنتظرة مع الاحتفاظ بمستوى عال من الاستعداد القتالى . ولتحقيق ذلك فقد تم اقناع القوات

بحتمية القتال . كما بذات الجهود ادمت ثقة الرجال بأنفسهم وبأساحتهم ، وروعى تدريب القوات على أرض مشابهة لأرض العمليات ومناخ مماثل قناة السويس ، مع اعداد الادوات والأجهزة اللازمة لتساق السواتر الترابية وحمل الذخيرة . كما تضمن التدريب إقامة الكبارى على مسطحات مائية مشابهة والعبور باستخدام قوارب المطاط ، كذلك التدريب على خطة استعداد قتالى متكاملة كان يجرى اختبارها دوريا بواسطة لجان ذات مستوى عال . كما تم اختبار خطط العمليات لاستكمال أوجه النقص قبل بدء العملية الهجومية ، واعداد ضباط مراكز القيادة على كافة المستويات . وقد انقلب آخر مشروع استراتيجى تعبوى الى حقيقى يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . وقد وضع المنشور رقم « ٤١ » لتنظيم عمالية عبور قناة السويس ودرست القوات على تنفيذه حتى وصلت الى درجة الاحتراف الكامل ، وكان هذا المنشور أحد العوامل الرئيسية فى نجاح العبور .

التخطيط لتحقيق المفاجأة :

كان أسلوب تحقيق المفاجأة شغل القيادة الشاغل لفترة طويلة . وقد نجحت القيادة فى ابتكار الأساليب المختلفة التى تحقق المفاجأة على المستويات الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية . وقد نفذت اجراءات ضخمة خلال التحضير للعملية الاستراتيجية كانت أهمها ما يلى : —

١ — سرية التخطيط :

روعى أن يكون التخطيط سريا لا يعلم به الا فئة محدودة . ولتحقيق هذا الهدف حددت أسماء القائمين بالتخطيط على مستوى القيادة العمالية والجيوش الميدانية والمناطق العسكرية ، وخصصت غرف خاصة للتخطيط لا يدخلها سوى القائمين به ، مع حظر تداول الوثائق خارج الغرف . كما لم تخصص المهام لمستوى الفرق الا قبل العملية الهجومية بأربعة أيام ولمستوى القادة فقط .

- ٨٠ -

٢ - اخفاء التجهيز الهندسى للمماية الهجومية :

نفذت أعمال التجهيز الهندسى تحت ستار تحسين المواقع الدفاعية واستمرت لفترة طويلة وعلى طول مواجهة القياة ، بالإضافة الى زيادة كثافة الألغام لايهام العدو بزيادة غامية الدفاع .

٣ - الخداع الاستراتيجى التعبوى :

وضعت خطة محكمة وشاملة للخداع الاستراتيجى فى كل من مصر وسوريا على مستوى الدولة تتماشى مع خطة الخداع العسكرى لتحقيق خداع العدو عن احتمال استخدام القوات المسلحة فى عمليات هجومية قريبة ، واخفاء فكرة العميات الهجومية ، واخفاء توقيت الهجوم .

وقد اعتمدت فكرة الخداع الاستراتيجى على تنسيق جهود وزارات الاعلام والخارجية والدفاع قبل بدء العمليات بحوالى ٥ - ٦ اشهر لتنفيذ مجموعة من الأعمال والقاء بعض التصريحات التى من شأنها أن تخفى الاستعدادات العسكرية للقوات المسلحة مع خداع العدو عن التوقيت الحقيقى لبدء الحرب ، وذلك بالتنسيق الكامل مع سوريا .

وقد كان الهدف من الخداع الاستراتيجى من وجهة النظر العسكرية هو خداع العدو عن نية شن عملية هجومية وشيكة واخفاء توقيتاتها واتجاه الضربات الرئيسية وحجم القوات المشتركة فيها . وقد وضعت خطة الخداع لتنفيذ فى مرحلتين : المرحلة الأولى من أول مايو ١٩٧٣ قبل بدء العملية الهجومية بخمسة عشر يوما ، أما المرحلة الثانية فتتم خلال خمسة عشر يوما وتشكل المرحلة الرئيسية .

ولتحقيق هدف الخداع الاستراتيجى تم ايهام العدو بأن قواتنا تواصل استكمال استعداداتها الدفاعية ورفع كفاءتها القتالية وتنفيذ تدريبها ومناوراتها العادية .

وقد اتخذت بعض الترتيبات لابعاد تفكير العدو عن نوايانا الحقيقية وصرفه الى شىء آخر منها :

— ٨١ —

أذاعة نبأ زيارة يقوم بها وزير دفاع رومانيا لمصر يوم ٨ أكتوبر بناء على دعوة وزير الدفاع المصرى ، والاعلان عن سفر وفد عسكرى برئاسة وزير الدفاع المصرى الى الدول العربية فى تاريخ يتفق مع توقيت الهجوم . كما نشرت الصحف المصرية خبرا يشير الى أن القوات المسلحة صدقت على قيام من يرغب من الضباط والجنود فى أداء العمرة فى الأراضى المقدسة ، وجددت مواعيد تلقى طلبات الراغبين تمهيدا لاجراء القرعة بينهم ، وعمدت القيادة الى تسريب معلومات مزيفة تشوه سمعة الجيش المصرى وتشكى فى قدرته على القتال .

وفى نفس الوقت أصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة تعليمات بتسريح دفعة من الجنود الذين أتموا الخدمة العسكرية فى اليوم الأخير من شهر سبتمبر على أن يعودوا الى حياتهم المدنية فى اليوم الاول من أكتوبر ، كما سمحت باستمرار زيارة المدنيين للجبهة . وتعاقدت مصر مع الاتحاد السوفييتى على توريد اسلحة جديدة وأعلن أنها ستصل فى ميعاد لاحق للسداس من أكتوبر ١٩٧٣ ، بالاضافة الى الاعلان عن اجراء عمرة للقطع البحرية المصرية فى موانئ باكستان ، ونشر خبر افتتاح الجامعات فى ٢٩ سبتمبر والسكوت على تأجيل هذا الموعد .

كما تمت مجموعة اجراءات الخداع العسكرى لاختفاء الاستعدادات كان اهمها :

(١) متابعة استكمال مطالب العملية الدفاعية وتجهيز الخطوط الدفاعية فى العمق .

(ب) امرت القيادة العامة باجراء مناورة كبرى لجميع القوات المسلحة كنهاية لموسم التدريب السنوى اقتضت تحرك القوات من جميع المناطق . وقد تم تفسير تحرك القوات من القاهرة والاسكندرية الى جبهة القناة على أساس الاشتراك فى المناورة ، وقد اتسع الغرض من المناورة ليشمل القيام بتعبئة عامة للدولة . وتحت ستار المناورة امكنا اتخاذ اجراءات اخرى مثل إلغاء اجازات الضباط والجنود ابتداء من اواخر سبتمبر . ١٩٧٣ .

— ٨٢ —

(ج) تحريك قوات في اتجاهات مختلفة وثانوية وأجراء تحرك عرضية داخل الجبهة ومن وإلى الجبهة تحت ستار التدريب . كما استغرق جميع القوات للهجوم فترة تتراوح بين ثلاثة وأربعة أشهر وذا بدفع الواحدات في مجموعات صغيرة وتكديس الاحتياطيات تباعا في الجبهة ثم دفعت القوات الرئيسية من العمق إلى الجبهة قبل ثلاثة أسابيع من بدء الهجوم .

(د) وضعت خطة خاصة لتحريك معدات العبور من الخلف إلى الجبهة مع عدم نقل هذه المعدات على مقربة من القناة إلا في آخر وقت ممكن . وفي نفس الوقت وضعت هذه المعدات داخل سناديق ضخمة لتخفى محتوياتها . واختبرت نقط عبور كثيرة على طول مواجهة القناة دو التنفيذ بالنقط التدريبية الأكثر صلاحية من الناحية الفنية لامتامة الكباري .

(هـ) أجريت تجارب استدعاء أفراد الاحتياط على فترات منتظمة بحيث تقع أكبرها في الفترة المحددة لتنفيذ الهجوم .

(و) وصول الألوية المقاتلة نهرا إلى مناطق معينة وأجراء تدريبات فيها ثم عودة كتيبة من كل لواء إيلا إلى منطقة في الخلف مما يفسر على أنه نوع من التدريب وليس استعدادا للهجوم .

(ز) تصرف القوات في الجبهة كما في الحالة العادية كاستحباب الجنود في القناة قبل الهجوم بساعات .

أما بالنسبة للقوات الجوية فقد نفذت بعض أساليب الخداع ونفذت لخطة محكمة ، كان أهمها رفع درجة الاستعداد الكامل في القواعد الجوية والمطارات المصرية في الفترة من ٢٢ — ٢٥ سبتمبر ١٩٧٣ . وقد نفذت القوات الجوية المصرية طلعات متتالية من القواعد والمطارات على امتداد الجمهورية مما أدى إلى إرباك الاسرائيليين . فقد دأبوا على اخراج الطلعات الجوية تحسبا لمواجهة طلعات الطيران المصري عند رصدها بواسطة مراكز الانذار والرادار الاسرائيلية في سيناء . ولكن لم تحدث أية هجمات جوية مصرية في تلك الفترة ، فاعتاد الاسرائيليون هذه الأعمال وركزوا إلى

الادلهثان وايقنوا ان طلعت الطيران المصرى انما هى لمجرد التدريب. وقد ظل الاسرائيليون على هذا الظن السائد بينهم عندما رصدوا خروج الطائرات المصرية من قواعدها ومطاراتها لتنفيذ الضربة الجوية المركزة بعد ظهر يوم السادس من اكتوبر .

فى حين ارسالت قيادة القوات البحرية بعض القطع البحرية المصرية فى زيارات مختلفة لعدد من الموانئ العربية والاجنبية لى تعتاد اسرائيل تحرك هذه القطع فى اتجاه الجنوب . اما القوة البحرية المصرية المكلفة بفرض الحصار البحرى على باب المندب ، فقد ابهرت فى اول اكتوبر الى عرض البحر الاحمر واعلان ان وجهتها باكستان لاجراء عمرة .

اختيار انسب توقيتات الهجوم :

اجريت دراسات مستفيضة لاختيار انسب شهور السنة ، وانسب ايام الشهر ، وانسب وقت لبدء الهجوم التى تناسب كلا الجبهتين المصرية والسورية ، كأحد العوامل الرئيسية فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية .

وقد وقع الاختيار على شهر اكتوبر حيث تستعد اسرائيل لاجراء انتخابات الكنيست فى الثامن والعشرين منه ، وحيث تقع فيه اعياد الففران ، والمظال ، والتوراة . ويأتى فيه شهر رمضان ، شهر الجهاد المسامين ، وشهر لا يتوقع فيه الصهيونيون القتال من المسلمين . وحيث يطول الليل وتمتد فترة الاظلام الى نحو اثنتى عشرة ساعة ، وحيث يوانى الطقس على القيام بعمليات حربية كبيرة ، كما انه يفضل كل شهور السنة بالنسبة للأحوال الجوية المناسبة للعمليات البحرية .

وقد كان السادس من اكتوبر ١٩٧٣ ، انسب ايام الشهر حيث تتوقف الحياة فى اسرائيل فى هذا اليوم بمناسبة عيد الففران ، بالإضافة الى كونه يوم سبت وعطلة نهاية الأسبوع . وحيث يضىء فيه الثمر من غروب الشمس حتى منتصف الليل ، فيساعد على اقامة المعديات والكبارى ليلا . فضلا عن مناسبة فرق منسوب مياه قناة السويس فى هذا اليوم .

واختير وقت بدء الهجوم (سعت س) ليكون الساعة الثانية بعدد

٨٤ -

الظهر ، لكي تتمكن القوات السورية من اجتياز خندق مضاد للدبابات حفره العدو على امتداد الجبهة ، ثم تستولى على خط هام من المرتفعات في ضوء النهار ، كما أن هذا الوقت يتيح للقوات الجوية السورية والمصرية الوقت الكافي لتوجيه ضربة جوية مركزة في ضوء النهار مع وافر إمكانية تكرارها ، ويحرم العدو من تركيز قواته الجوية والرد على ضربتنا الجوية قبل آخر ضوء اليوم الأول للمهليات . كذلك يمكن تنفيذ التمهيد السري بالمدفعية خلال أربع فاصلات مركزة لمدة ساعة ، وتحريك الكبارى إلى الضفة الغربية للفتنة وبدء اسقاطها في المياه ، وفتح الممرات في الساتر الترابي ، وإرار قوات الصاعقة في عمق دفاعات العدو قبل آخر ضوء مباشرة .

وقد نجحت خطة الخداع نجاحا مذهلا في تحقيق المفاجأة الاستراتيجية الكلمة للعدو . وقد ظهر ذلك جليا في تصريح موشى دبان وزير الدفاع الاسرائيلي بعد الحرب حيث قال « وحتى صباح يوم الغفران لم أفكر أنا شخصا في أن الحرب ستقع ! » ولم أسمع من أى شخص أن الحرب ستنتشب فعلا ! ، ولم أكن أنا الوحيد الذي أعتقد ذلك » .

لقد فاجأت الحرب الاسرائيليين حكومة وجيشا وشعبا مفاجأة تامة على الرغم من أن الآخبارات الاسرائيلية أبلغت المسؤولين الاسرائيليين في وقت مبكر من عام ١٩٧٣ أن المصريين والسوريين يستعدون للحرب ، ونتيجة لذلك أجرى جيش الدفاع الاسرائيلي مفاوضات على نطاق واسع ، استدمى خلالها آلاف الرجال من أعمالهم والتحقوا بوحدهاتهم وكاد يتوقف النشاط الزراعي والصناعي الاسرائيلي ، غير أن الحرب لم تنتشب كما كان متوقعا . وكلفت هذه التعبئة اسرائيل أكثر من عشرة ملايين دولار بالاضافة الى الخسائر في الانتاج ، ولهذا السبب وجهت الى أجهزة المخابرات الاسرائيلية موجات عارمة من النقد اللاذع بشأن المعلومات المضللة التي قدمتها . كما كانت هناك فكرة راسخة في المفهوم العسكري الاسرائيلي مؤداها أن احتمالات الحرب ضعيفة وأن العرب غير مستعدين لها على الرغم من فيض التقارير والمعلومات التي تؤكد العكس تماما .

لقد تلقت المخابرات الاسرائيلية ما يربى على ارسناتية رسالة تحوى

معلومات تفصح عن نية مصر وسوريا على شن الهجوم على اسرائيل ،
والاهداف المحتمل ان تهاجمها القوات المصرية ، وسلمتها كاملة الى القيادة
العسكرية الاسرائيلية التي تجاهلتها تماما لانها تعارض المفهوم السائد
لدى المؤسسة العسكرية .

وهكذا ركن المسئولون الاسرائيليون الى القول السائد ان العرب غير
قادرين على القتال .

ولم يعلم قادة اسرائيل بنية العرب على شن الحرب الا قبل نشوبها
بعشر ساعات . ففي الرابعة من صباح السبت الموافق ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ،
انتهى الى المسئولين الاسرائيليين نبأ يتضمن بضع كلمات في غاية الاهمية
والخطورة ، ايظنتهم من سببهم العميق « تنوى مصر وسوريا الهجوم على
اسرائيل اليوم الساعة السادسة مساء » .

وفي اعقاب وصول هذا الخبر ، سارع قادة اسرائيل العسكريون الى
الاجتماع في الخامسة صباحا في مكتب رئيس الأركان العامة بوزارة الدفاع
لتدبر هذا الأمر الخطير .

وعلى الرغم من خطورة هذا النبأ ، فقد كان موشى ديان متأثرا بمفعول
خطة الخداع المدسرة ، ولم يكن يدور في خاطره حتى ذلك الوقت مدى
قوة وكثافة الخبرة العربية المتوقعة . لذلك عارض بشدة اقتراحى الجنرال
دافيد اليماز رئيس الأركان بشأن قيام القوات الجوية الاسرائيلية بتوجيه
ضربة وقائية لاجهاض التحضيرات الهجومية لكل من مصر وسوريا واجبارهما
على ايقاف الهجوم المنتظر ، واعلان التعبئة العامة لجميع القوات الاحتياطية .
فقد كان المرتف من وجهة نظر وزير الدفاع لا يستدعى غير اجراء تعبئة
محدودة للواءين مدرعين يخصص احدهما لكل جبهة .

وعموما ، فقد حققت خطة الخداع مفاجأة العدو ، كما حققت المفاجأة
بدورها شل وارباك القيادات العسكرية الاسرائيلية ، وحرمان العدو من
تعبئة قواته المسلحة وموارده وحشدتها في الوقت والمكان المناسبين قبل
بدء الهجوم ، واتاحة الفرصة امام القوات المسلحة لاقتحام قناة السويس

بسهولة وبأقل قدر من الخسائر مع تكبد العدو أفدح الخسائر في الأفراد والمعدات .

التنسيق بين الجبهتين المصرية والسورية :

بعد أن تم تعيين الفريق أول أحمد اسماعيل في العاشر من يناير ١٩٧٣ ، قائداً عاماً للقوات المسلحة الاتحادية ، طلب إلى هيئة عمليات القيادة العامة الاتحادية دراسة الموقف العسكري على الجبهتين المصرية والسورية ووضع أسلوب السيطرة الاتحادية على الجبهتين .

وقد أتم الفريق أول أحمد اسماعيل في العاشر من مارس ١٩٧٣ ، دراسة التخطيط للضربة الجوية السورية المصرية المشتركة لضعاف القوات الجوية الاسرائيلية وشمل شبكة السيطرة المعقدة والحرب الالكترونية المضادة عند بدء العملية الهجومية الاستراتيجية .

وفي الواحد والعشرين من مارس ، استعرض القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية الاطار العام لتنظيم التعاون الاستراتيجي بين الجبهتين واساليب الخداع السياسي والاستراتيجي لمفاجأة العدو . كما تم في اول ابريل تنظيم التعاون على الجبهة السورية واعتمد القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية اسلوب القيادة والسيطرة على الجبهتين وطرق تبادل المعلومات بينهما .

وفي خلال شهرى مايو ويونيه سنة ١٩٧٣ ، كانت عمليات التنسيق بين الجبهتين المصرية والسورية تمضى على قدم وساق ، ففي الثانى من مايو اجتمعت القيادتان المصرية والسورية للاتفاق بصفة مبدئية على توقيتات يومى وسعت س ، كما جرى التخطيط العام للضربة الجوية المصرية السورية المركزة ضد اسرائيل . وفي لثانى والعشرين من مايو اصدر الفريق أول أحمد اسماعيل توجيهاته بالفكرة العامة للعملية الهجومية الاستراتيجية « بدر » لكل من الجبهتين المصرية والسورية . كما حدد في السابع من يونيه الهدف الاستراتيجي العسكري للعملية الهجومية للقيادتين المصرية والسورية،

وشرح فكرة العملية الهجومية للقوات المسلحة المصرية والقوات المسلحة السورية على كلتا الجبهتين .

وفي نفس اليوم قام اللواء بهي الدين نوفل بتنظيم التعاون بين الجبهتين المصرية والسورية . وكانت أهداف الخطة الهجومية تتمثل في وصول القوات السورية الى خط نهر الأردن — الشاطئ الشرقي لبحيرة طبرية ووصول القوات المصرية الى خط المضائق الاستراتيجية شرق القناة .

وعندما انتدب شهر أغسطس سنة ١٩٧٣ ، كان قد تم الاتفاق بين القيادتين المصرية والسورية على معظم الأمور الحيوية ولم يبق سوى القليل منها وأهمها تحديد توقيتات الهجوم . . ولهذا الغرض وصل الى القاهرة يوم ٢١ أغسطس ستة من كبار القادة السوريين ، في مقدمتهم اللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع واللواء يوسف شكور رئيس الأركان ، واجتمع بهم القادة العام للقوات المسلحة الاتحادية في الاسكندرية ومعه رئيس الأركان المصري وقادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة المصرية ورئيس هيئة العمليات ومدير المخابرات الحربية . وقد ناقشوا مختلف العوامل المؤثرة على تحديد درجة استعداد القوات المسلحة للعملية الهجومية وتوقيتات الهجوم والكفاءة القتالية للقوات ، والأوضاع الداخلية في إسرائيل حتى نهاية عام ١٩٧٣ ، والظروف السياسية الدولية المؤثرة على خطة الهجوم .

وقد تم الاتفاق على أن أنسب توقيت للعملية الهجومية هو الفترة من ٧ — ١١ سبتمبر أو الفترة من ٥ — ١١ أكتوبر ١٩٧٣ مع أفضلية التوقيت الثاني . وترك البت في الاختيار للقيادة السياسية في كل من مصر وسوريا .

وقد استقر رأي السادات على أن أنسب يوم لبدء الهجوم هو يوم العاشر من رمضان الموافق ٦ أكتوبر . وفي السادس من سبتمبر أصدر القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية توجيهات القيادة العامة الاتحادية باستعداد القوات المسلحة المصرية والسورية لشن العملية الهجومية « بدر » في غضون خمسة أيام اعتباراً من أول ضوء الأول من أكتوبر ١٩٧٣ .

وقد سافر الفريق أول أحمد اسماعيل الى دمشق في الثالث من أكتوبر

— ٨٨ —

وبصحبته اللواء بها الدين نوفل لابلاغ السوريين توقيتات الهجوم (يوم ى ، سمعت س) . وقد حدث خلاف بشأنهما ، حسمه الرئيس حافظ الأسد بموافقته على وجهة النظر المصرية ، وتم الاتفاق على اللمسات النهائية للعملية الهجومية « بدر » على الجبهتين المصرية والسورية . وفي نفس اليوم اعتمد الرئيس حافظ الأسد العماية الهجومية الاستراتيجية « بدر » لتبدأ الساعة ١١.٥ يوم ١٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

القوات العربية والقوات الاسرائيلية :

أولا — القوات العربية :

١ — القوات المصرية :

كانت القوات البرية المصرية تتكون من : ٥ فرق مشاة ، ٣ فرق مشاة ميكانيكية وفرقتين مدرعتين ، ٤ ألوية مشاة مستقلة ، ولواء مظلي ، ولواءى اقتحام جوى ، ١٠٣ كتيبة مدفعية ميدان ، ٥ كتائب صواريخ تكتيكية أرض/أرض ، ١٥ كتيبة مقذونات موجهة مضادة للدبابات ، ٥ كتائب مدفعية مضادة للدبابات .

في حين كانت القوات البحرية تتألف من ٥ مدمرات ، ١٢ غواصة ، ١٩ زورق صواريخ ، ٦ زوارق طوربيد .

أما القوات الجوية فقد بلغت ٤٠٠ طائرة قتال ، ٦٠ طائرة هليكوبتر ، و ٣٥ طائرة نقل .

٢ — القوات السورية :

كانت القوات المسلحة السورية تتألف من : ٣ فرق مشاة ميكانيكية ، وفرقتين مدرعتين ، ٨ زوارق صواريخ ، ٨ زوارق طوربيد ، ٣٠٠ طائرة قتال ، ٤٨ طائرة هليكوبتر ، ٣٠٠ طائرة نقل .

ثانيا — القوات الاسرائيلية :

كانت القوات المسلحة الاسرائيلية في أكتوبر ١٩٧٣ تتكون من : ١٤ لواء مدرعا ، ٧ ألوية مشاة ميكانيكية ، ٦ ألوية مشاة ، ٤ ألوية مظلية ، ١١

— ٨٩ —

كتيبة نحال ، ٤٥ كتيبة مدفعية ميدان ١٢ ، كتيبة مدفعية مضادة للدبابات ،
٣ كتائب مقذوفات موجهة مضادة للدبابات .

أما القوات البحرية ، فكانت تتألف من مدمرة ، وثلاث غواصات ،
١٣ زورق صواريخ ، ٩ زورق طوربيد . في حين كانت القوات الجوية
تتكون من ٤٢٨ طائرة قتال ، ١٠٥ طائرة هليكوبتر ، ٦٠ طائرة نقل ،
٦ طائرات استطلاع الكتروني .

حجم القوات المصرية في جبهة القناة / سيناء :

كانت القوات المصرية في جبهة القناة / سيناء تتكون من الجيشين
الثالث والثاني الميدانيين .

وكان الجيش الثالث الميداني يتألف من الفرقتين ١٩ ، ٧ المشاة ،
والفرقة السادسة المشاة الميكانيكية والفرقة الرابعة المدرعة ، اللواء
١٣٠ المشاة الميكانيكي المستقل (برمائي) ، واللواء ٢٥ المدرع المستقل ،
ولواء مشاة فلسطيني ، والمجموعة ١٢٧ صاعقة ، على أن يدخل اللواء
الأول المشاة الميكانيكي من الفرقة السادسة المشاة الميكانيكية تحت قيادة
منطقة البحر الأحمر العسكرية بعد دمجها من منطقة رأس مسلة أثناء
العمليات للاستيلاء على رأس سدر والطور ، ثم التقدم في اتجاه شرم
الشيخ .

أما الجيش الثاني الميداني فكان يتكون من الفرقتين ١٦ ، ٢ ، ١٨
المشاة ، والفرقة ٢٣ المشاة الميكانيكية والفرقة ٢١ المدرعة ، واللواءين
٣٠ ، ١٣٥ المشاة المستقلين ، واللواء ١٥ المدرع المستقل ، واللواء ١٠
المشاة الميكانيكي من الفرقة الثالثة المشاة الميكانيكية ، والمجموعة ١٢٩
صاعقة وكتيبة مشاة كويتية .

حجم وأوضاع القوات الإسرائيلية في جبهة القناة / سيناء :

في بداية عام ١٩٧٢ وبناء على اقتراح الجنرال شامرون ، تم تخفيض
عدد المواقع الحصينة في خط بارليف من ثلاثين موقعا الى ستة عشر موقعا .

٩٠ -

وقد امتد على الشاطئ الشرقى للقناة من بورفؤاد شمالا الى بورتوفيق جنوبا على مواجهة ١٧٠ كيلومترا تقريبا .

وكانت القوات الاسرائيلية في جبهة القناة تتكون من مجموعة عمليات فوامها لواء مشاة احتياط ، وثلاثة ألوية مدرعة ، تدافع في نسقين واحتياطي . وكان النسق الأول يتكون من لواء مشاة احتياط ضعيف الكفاءة القتالية ، يحتل خط بارليف : بكتيبة في مواجهة الجيش الثالث تعاونها أربع كتائب مدفعية ميدان ، وكتيبة مدفعية مضادة للدبابات . وبكتيبتين في مواجهة الجيش الثاني نعاونهما ست كتائب مدفعية ميدان وكتيبة مدفعية مضادة للدبابات .

في حين كان النسق الثاني يتكون من ثلاث كتائب دبابات مدفوعة من الألوية المدرعة الثلاثة التي في الاحتياط ، وتتمركز على مسافة ٣ — ٥ كيلومتر عن النسق الأول ، ومجهز لها مواقع نيران على مسافة ٣٠٠ — ٥٠٠ متر من النقاط الحسنة . وكان في مواجهة الجيش الثاني كتيبتان متمركزتان في القطاعين الشمالي والأوسط في حين تتمركز الكتيبة الثالثة في القطاع الجنوبي في مواجهة الجيش الثالث . أما الاحتياط فكان مكونا من ثلاثة ألوية مدرعة عدا ثلاث كتائب ، تتمركز على مسافة من ٣٥ — ٤٥ كيلومترا من القناة وقد كان الاحتياطي العلم لجبهة سبنا مكونا من لواء مشاة وبكتيبتين متمركزان في منطقة الكيلومتر ١٦١ ورفح ، ولواء مدرع في منطقة نخل .

الاستعداد النهائي للهجوم :

رفعت درجة استعداد القوات المسلحة المصرية الى الحالة الكاملة اعتبارا من الساعة النابنة من صباح يوم أول أكتوبر . وقد أعلن آنذاك ان تلك الاجراءات فرضت لأغراض تدريب وتنفيذ مشروع استراتيجي تعبوي ، في حين استمرت القوات المسلحة في استكمال اجراءات التحضير للعملية الهجومية .

وقد تم تحديد الساعة السادسة من صباح يوم ٥ أكتوبر عام ١٩٧٣ لتكون وقت تمام استعداد القوات المسلحة المصرية للهجوم ، كما حددت القيادة العامة التوقيتات الرئيسية للعملية الهجومية .

- ٩١ -

وفي أول ضوء يوم ٦ أكتوبر فتحت عناصر المهندسين العسكريين الشفرات في موانعنا على الضفة لغربية ، وأتمت جميع القوات تحركاتها واتخذت أوضاعها القتالية . كذلك فقد عادت الجماعات الخاصة التي دفعت لأحباط تحضيرات العدو لاشغال سطح القناة بالوقتود الملتهب بعد أن قصت الخراطيم وسدت المواسير بالأسمنت وأغلقت المحابس والصنابير .

وعلى مستوى الدولة ، فقد رفعت درجة استعداد الدفاع المدني الى « الحالة ج » في الساعة الواحدة وأربعين دقيقة يوم ٦ أكتوبر ، ثم صدرت الأوامر بإيقاف حركة الطيران المدني والمساعدات الملاحية .

وفي مركز قيادة القوات المسلحة ، رفعت خرائط ووثائق المشروع التدريبي الاستراتيجي التبعوى وفتحت الخزائن الملفقة ونشرت الخرائط والوثائق الحقيقية ، ووصل رئيس الجمهورية الى المركز في الساعة الواحدة وخمس وأربعين دقيقة .

وقد تمت جميع الاجراءات في سرية تامة ، ولكن وقع حدثان كانا كافيين لكشف نية الهجوم العربي لو وجدا ما يستحقانه من دراسة فاحصة من أجهزة المخابرات الاسرائيلية .

أما الحدث الأول فهو عملية اجلاء الأسر السوفيتية من مصر وسوريا على وجه الاستعجال ، أما الحدث الثاني فكان أمر وزارة الطيران المدني بإيقاف حركة الطيران المدني في سماء مصر وإيقاف المساعدات الملاحية ظهر يوم ٥ أكتوبر ، وإن تداركت القيادة المهمة الموقف وأصدرت الأمر باستئناف حركة الطيران المدني بشكلها المعتاد .

الا أن الحدث الأول قوى اعتقاد القيادة الاسرائيلية بحتمية نشوب الحرب عندما وصلها تقرير بذلك من المخابرات الاسرائيلية في الرابعة من صباح السادس من أكتوبر . وبعد جدال صذر قرار بتعبئة ما بين ١٠٠ — ١٢٠ ألف جندي اسرائيلي وإعلان حالة الطوارئ . وفي نفس الوقت رفضت القيادة السياسية الاسرائيلية ممثلة في جولدا مائير رئيسة

— ٩٩ —

الوزراء وايجال آلون نائبها وموشى ديان وزير الدفاع فكرة الضربة الوقائية الجوية بهدف احباط التحضيرات الهجومية العربية واجبرل مصر وسوريا على ايقاف الهجوم المنتظر لعمالين هامين من احدهما سياسى والاخر استراتيجى .

وبالنسبة للعامل الأول ، فقد كانت الأحوال السيلسية الدولية تسير في غير صالح اسرائيل نتيجة تحديها المستمر لقرارات الأمم المتحدة والمجتمع الدولي ، لذلك خشيت اسرائيل أن تكون البادئة بالعدوان حتى لا تثير الراى العام ضدها .

اما بالنسبة للعامل الثانى فقد تمثل في توافر العمق الاستراتيجى لاسرائيل نتيجة انتصاراتها في حرب عام ١٩٦٧ ، مما يتيح لقواتها الفرصة لامتصاص أية ضربة عربية ضدها دون الاضرار بالكيان الاساسى للدولة، ويهيىء للأركان العامة الظروف المناسبة لتعبئة الاحتياطى والقيام بالضربات المضادة خلال ٤٨ ساعة لسحق الهجوم المعادى ودحره . وقد ولد هذا الموقف احساسا بالأمان لدى القيادة السياسية الاسرائيلية . كما لم يكن في مقدرة القوات الجوية الاسرائيلية تكرار الضربة الجوية المركزة التى وجهتها الى المطارات والقواعد الجوية المصرية صباح الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، بالإضافة الى أن امكاناتها لم تكن تمكنها من توجيه ضربة جوية الى مصر وسوريا في وقت واحد أو حتى في توقيتين متتابعين .

الاقترام :

اقتحام قناة السويس والاستيلاء على رؤوس الكبارى :

بدأ القتال في الساعة الثانية وخمس دقائق بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . باختراق طائراتنا خط الجبهة والبدء في تنفيذ الضربة الجوية المركزة المفاجئة بقوة ٢٢٠ طائرة ضد أهداف العدو في سيناء ، التى اشتملت على ثلاثة مطارات ، وعشرة مواقع صواريخ هوك المضادة للطائرات ، وثلاثة مراكز قيادة وسيطرة واعاقة الكترونية ، وموقعى مدفعية بعيدة المدى ، وثلاث مناطق شئون ادارية ، وموقع العدو الحصين شرق بورفؤاد .

وقد حققت الضربة الجوية التي استمرت خمس عشرة دقيقة نجاحا مذهلا ، وكانت خسائرها فيها محدودة اذ بلغت ثلاث طائرات مقاتلة واحدى عشرة طائرة مقاتلة قاذفة .

وفي نفس الوقت بدأ التمهيد النيرانى لمدة ٥٣ دقيقة من أكثر من الذى مدفع وهاون بالاضافة الى لواء صواريخ تكتيكية أرض/أرض ، ومع بدء التمهيد النيرانى عبرت المفرزتان البرمائيتان لواء ١٣٠ المشاة الميكانيكى المستقل البحيرات المرة الصفرى ، ووصلت المفرزة الأولى الى الشاطئ الشرقى للقناة فى الساعة الثالثة وخمس وعشرين دقيقة ، فى حين وصلت المفرزة الثانية فى الساعة الرابعة وخمس وعشرين دقيقة وذلك بهدف تعطيل احتياطات العدو من اتجاهى الجدى ومثلا ومنعها من التقدم غربا والتدخل فى عملية العبور . وقد تمكنت المفرزة الأولى من الاندفاع على طريق الجدى ووصلت الى عمق ٢١ كيلومترا شرقا ، ثم قتلت كتيبة دبابت من الاحتياطى التكتيكي لالعدو فى معركة تصادمية استمرت أربع ساعات ليلا ومنعتها من التقدم فى اتجاه القناة طول هذه ولكن بعد أن تكبدت خسائر جسيمة .

ونتيجة لتطور الموقف فقد كلفت المفرزة النانية بالاستيلاء على النقطة القوية للعدو شرق كبريت ، وقد نجحت فى تحقيق مهمتها بخسائر طفيفة .

كما عبرت مجموعات اقتناص الدبابات ومجموعات الصاعقة ووصلت الى الضفة الشرقية للقناة فى الساعة الثانية وخمس وعشرين دقيقة لمنع دبابات العدو من احتلال المصاطب فى الضفة الشرقية وضرب قوات العبور ، وكانت قد دفعت يوم ٥ أكتوبر جماعات من الصاعقة والمهندسين لقص خراطيم النابالم ، ونجحت فى مهمتها مما لم يمكن الاسرائيليين من اشتعال اللهب فوق سطح مياه القناة .

وفى الساعة الثانية وعشرين دقيقة بدأت الموجات الأولى لخمس فرق مشاة وقوات قطاع بورسعيد ومعها عناصر من المهندسين العسكريين فى اقتحام قناة السويس مستخدمة نحو ألف قارب اقتحام مطاط ، وقسم

- ٩٤ -

ارتفع أول أعلام مصر فوق رمال سيناء في الساعة الثانية وثلاثين دقيقة بسواعد رجال اللواء السابع المشاة من الجيش الثالث الميداني ، في حين ارتفعت بنود مصر في نطلق الجيش الثاني الميداني في الساعة الثانية وسبع وثلاثين دقيقة اثر عبور الموجة الاولى . وقد كانت النقطة القوية عند الكيلومتر ١٩ في قطاع بورسعيد أولى النقاط القوية التي سقطت في أيدي القوات المصرية وذلك في الساعة الثالثة والنصف .

وقد اندفعت الموجات الاولى من الفواصل بين المواقع الحصينة الى العمق لاقامة رؤوس الكبارى . وفي الفترة ما بين الساعة الثانية وأربعين دقيقة والساعة الثالثة يوم ٦ أكتوبر ، تم عبور الموجتين الثانية والثالثة ، اللتين قامتا بالالتفاف حول النقاط الحصينة وحصلها ثم مهاجمتها وتدمير تحصيناتها .

وتحت ستر عناصر المشاة وبران المدفعية ، عبرت مع الموجة الثانية الى الضفة الشرقية ، مجموعات فتح الممرات من المهندسين وشرعت في فتح الممرات اللازمة في الساتر الترابي على طول المواجهة مستخدمة مدافع المياه ، وقد نجحت في فتح أول ممر في نحو ساعة . وفي تلك الاثناء كانت وحدات أخرى من المهندسين تقوم باستطاد معدات المعديات والكبارى وتقيمها فوق مياه القناة ، أمام الممرات ، بينما اشتعلت معركة حامية بين الدبابات المصرية والأسلحة المضادة للدبابات في غرب القناة وأطلق اقتحام الدبابات شرقى القناة من جهة ، والدبابات الاسرائيلية التي كانت في التسق الثاني وأخذت تندفع الى القناة من جهة أخرى .

وقد تم اقامة المعديات والكبارى في الجيش الثاني في فترة من ست الى تسع ساعات ، وبدأ تدفق الدبابات والمعدات الثقيلة الى سيناء . بينما اصطدمت عملية فتح الممرات في الساتر الترابي واقامة الكبارى في قطاع الجيش الثالث بصلابة تربة الساتر الترابي ، التي جعلت عملية تجريف المياه شاقة ، وبتغييرات مناسب مياه القناة بفعل المد والجزر ، وبسرعة التيار العالية بالاضافة الى القصف المركز من مدفعية وطائرات العدو . وقد أدت هذه العوامل مجتمعة الى اقامة الكبارى في نطلق الجيش الثالث

- ٩٥ -

في نحو ست عشرة ساعة . وأخيرا نجح المهندسون في اقلية عشر كبرى ثقيلة وعشرة كبرى مشاة بالاضافة الى ٣١ معدية ، وقبل آخر ضوء يوم ٦ أكتوبر تم ابرار مجموعات من وحدات الصاعقة جوا في عمق سيناء وعلى الساحل الشرقي لخليج السويس ببهمة عرقلة تقدم احتياطات العدو من العمق ومنع قواته من الارتداد شرقا وارباك قيادات العدو .

وفي الساعة الخامسة والنصف من مساء ٦ أكتوبر أتمت الفرق المشاة الخمس وقوات قطاع بورسعيد اقتحام قناة السويس على مواجهة ١٧٠ كيلومترا ، وتمكنت من انشاء رعوس كبرى بعمق من ٣ - ٤ كيلومترات .

وفي الساعة التاسعة والنصف مساء كانت وحدات الدفاع الجوي المصري قد استطلت ٢٤ طائرة للعدو ، كما قامت القاذفات بتذف منطقة شرم الشيخ بالصواريخ في الساعة العاشرة وعشر دقائق مساء فأحدثت بها خسائر كبيرة .

وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، حولت قوات الصاعقة المصرية آبار ومنشآت البترول في أبي ذنيمة وسدر وأبي رديس الى شعلة من النيران ، كما هاجمت مواقع العدو على طول الساحل الشرقي لخليج السويس ونصبت الكمائن على الطرق وانزلت بالعدو خسائر كبيرة .

وقامت القوات البحرية بفرض الحصار البحري على باب المنجب وشاركت في فرض الحصار غواصتان ومدمرتان من البحرية المصرية ، بالاضافة الى زوارق طوربيد وزوارق مسلحة تابعة لبحرية اليمن الشمالية والجنوبية .

وقد بلغ من كفاءة التخطيط أنه لم تدخل أو تخرج سفينة واحدة من ميناء ايلات حتى توقيع اتفاقية فصل القوات (١) .

(١) الفريق مؤاد ذكرى : البحرية المصرية وحرب الغفران ، الاهرام ،

٨ أكتوبر ١٩٧٦ ،

— ٩٦ —

كما قامت القوات البحرية بمعاونة أعمال قتال القوات المصرية سواء المعاونة بالنيران أو حماية الجانِب الأيسر للقوات البرية المتقدمة بحذاء الساحل .

بالاضافة الى اغارتها بالنيران على الموانئ والمراسي والأهداف الساحلية الحيوية لاسرائيل بتسيديد الضربات اليها بالصواريخ والمدفعية ، وذلك في مناطق شرم الشيخ ورأس محمد ورأس سدر ورأس برون وشرقي بورفؤاد ومرمقة ههبا أربك قيادات اسرائيل العسكرية وكبدها بخسائر في الأفراد والمعدات .

وخلال ليلة ٧/٦ أكتوبر قامت القوات المصرية بتعزيز مواقعها شرق القناة بأعداد كبيرة من المدرعات والمدفعية والأسلحة الثقيلة ، كما صدت هجمات مضادة لاعدو خلال نفس الليلة .

وفي الساعة السادسة وخمس وأربعين دقيقة صباح يوم ٧ من أكتوبر قلم العدو بضربة جوية على المطارات المصرية مركزا على مطار بنى سويف فأستطعت له ثلاث طائرات بواسطة الصواريخ المضادة للطائرات ، وقد أسفرت الضربة الجوية عن تدمير ٤ طائرات مقاتلة مصرية .

عاود اعدو هجومه الجوى على مطارانا في نحو التاسعة صباحا فتصدت له قوائنا الجوية واستطعت له طائرتين .

وحتى الساعة الحادية عشرة صباحا ، كان قد تم تدمير ٣٣ طائرة اسرائيلية ، ٢٠٠ دبابة وسقوط نحو ٦٠٠ قتيل وجريح ، على حين نجحت تشكيلات المشاة المصرية في انشاء رعوس كبارى شرق القناة بعق ٤ — ٥ كيلومترات ومعها حوالى ١٠٠٠ دبابة ، واستولت على معظم نقط العدو القوية وحاصرت النقط الباقية بخسائر لا تتجاوز ثلاثمائة شهيد وعشرين دبابة .

وفي خلال الأربع والعشرين ساعة الأولى التى اعتبت نشوب الحرب ، أسندت قيادة القطاعات الثلاثة الاسرائيلية على جبهة القناة الى قادة الألوية المدرعة الثلاثة التى كانت في الاجتياح وتتبع الجنرال اليرت

مندلر قائد جبهة سيناء . وطوال لية ٧/٦ أكتوبر انهضت الدبيلات الاسرائيلية فى القيلم بالهجمات المضادة ضد رعوس الكبارى المصرية لمنع القوات المصرية من توسيعها وتعميقها ، ودعم المواقف الاسرائيلية ، واخلاء الجرحى والقتلى . وعندما تحركت فى اتجاه الضفة الشرقية واجهت نيرانا قاتلة .

وقد منيت القوات الاسرائيلية « بخسائر هائلة فى الرجال والمدرعات وخرجت من المعركة التى لم تتوقف ولم يبق لديها سوى قلة من الدبيلات القادرة على القتال » (١) .

وبنهاية يوم ٧ أكتوبر تمكنت الفرق المشاة من مد رعوس الكبارى الى عمق ٦ — ٨ كيلومترات ، كما نجحت الفرقة ١٨ المشاة فى تحرير القنطرة شرق خلال لية ٨/٧ أكتوبر .

وفى نفس الوقت كانت قوات الاحتياطى الاسرائيلى تتدفق على جبهة القتال فى سيناء . وقد تولى الجنرال ابراهام آدان قيادة القطاع الشمالى والجنرال شارون قيادة القطاع الاوسط ، فى حين تولى الجنرال البريت مندلر قيادة القطاع الجنوبى .

وكانت خطة الهجوم المضاد التى وضعها الجنرال اليمائر رئيس الاركان الاسرائيلى مساء يوم ٧ أكتوبر لتنفيذ فى صباح ٨ أكتوبر تقضى بقيام مجموعة عماليات الجنرال ابراهام آدان المكونة من ثلاثة الوية مدرعة بالهجوم على نطاق الجيش الثانى ، على أن تتمركز مجموعة عمليات الجنرال شارون المؤلفة من لواءين مدرعين ولواء مشاة ميكانيكى فى القطاع الاوسط بمهمة ايخاف تقدم القوات المصرية شرقا والعمل كاحتياط لمجموعة الجنرال آدان . وفى حالة نجاح آدان فى مهمته ، تقوم مجموعة عمليات شارون بالهجوم على الجيش الثالث ، أما فى حالة فشله فيتعين على مجموعة شارون تعزيز قوات الجنرال ابراهام آدان . فى حين تقوم

(١) موسى ديان ، قصة حيتي ، ترجمة الهيئة العامة للاستعلامات ، القسم الثانى ، ص ٥٢٣ .

مجموعة الجنرال مندler - لواءان مدرعان ولواء مشاة ميكانيكي - بإيقاف التقدم المصري شرقا والعمل كاحتياط لمجموعة عمليات شارون في حالة الهجوم على الجيش الثالث .

أما الخطة التفصيلية للهجوم المضاد فكانت تنص على قيام مجموعة عمليات آدان بلهجوم على الجيش الثاني من الشمال الى الجنوب بالقرب من الشاطئ الشرقي للقناة فيما بين القنطرة والدفرسوار على أن توجه الضربة الرئيسية للهجوم المضاد الى تطلق الفرقة الثانية المشاة بالفردان بقوة لواء مدرع مع قيام اللواعين الآخرين بهجمات ثلوية خداعية على الفرقتين ١٨ ، ١٦ المشاة . وفي حالة نجاح الهجوم المضاد ، يتم عبور مجموعتي آدان وشارون قناة السويس وإنشاء رأس كوبري بعمق ٢٠ كيلومترا والاستيلاء على مدينة السويس .

الهجوم المضاد الاسرائيلي يوم ٨ أكتوبر وفشله :

في نحو التسعة من صباح يوم ٨ من أكتوبر شن لواء مدرع من مجموعة عمليات آدان هجوما على اللواء الأيسر للفرقة الثانية المشاة ، الذي نجح في صد الهجوم بمعاونة وحدات فرعية من اللواء ٢٤ المدرع . غير أن كتيبة دبابات من اللواء الاسرائيلي قامت بهجمة مضادة على الجنب الأيمن للفرقة الثانية ، التي تمكنت من تدمير معظم دبابات الكتيبة . وقبل منتصف نهار ٨ من أكتوبر كان اللواء المدرع الاسرائيلي قد تكبد خسائر فادحة .

اعتقد الجنرال جونين قائد المنطقة الجنوبية أن خطة الهجوم على الجيش الثاني تنفذ بنجاح ، فأمر الجنرال شارون بالتحرك جنوبا للقيام بالهجوم المضاد على الجيش الثالث .

وفي نفس الوقت أمر الجنرال آدان قائد اللواء المدرع الذي يعمل في مواجهة الفرقة ١٨ المشاة بتحريك كتيبتى دبابات لتدعيم اللواء المدرع الذي يهاجم الفرقة الثانية المشاة في الفردان . ولكن قائد الفرقة الثانية المشاة أعد أرض قتل للمدربات الاسرائيلية داخل راس كوبري الفرقة بهدف جبار العدو فيها وتدميره .

وبعد منتصف نهار ٨ أكتوبر بقليل ، قامت كتبتنا الدبابات بالهجوم في نقطة الاتصال بين اللوامين الرابع ، ١٢٠ ، المشاة نسق أول الفرقة الثانية — كما توقع قائد الفرقة — وبمجرد دخول الدبابات الى أرض القتل انهالت عليها النيران من كل صوب فتم تدمير معظمها ، وأسر المقدم عسك ياجورى قائد احدى الكتيبتين . وفي نفس الوقت نجحت الفرقتان ١٨ ، ١٦ المشاة في صد هجمات العدو المضادة وتكبده خسائر جسيمة .

ونتيجة لذلك ، صدرت أوامر الجنرال آدان لقادة الألوية بالانسحاب شرقا في اتجاه الطريق العرضي رقم ٣ الممتد من بلوطة الى الطاسة واحتلال مواقع مجهزة في العمق . ونتيجة لهذا الفشل الذريع ، فقد تم تعيين الجنرال بارليف ممثلا شخصيا لرئيس الأركان في القيادة الجنوبية مع منحه الصلاحيات الكاملة للقيادة .

وبعد صد الهجوم المضاد الاسرائيلي طورت الفرق المشاة هجومها ووصلت رؤوس الكبارى الى عمق من ٨ — ١٠ كيلومترات .

الموقف الاسرائيلي بعد فشل الهجوم المضاد :

بعد فشل الهجوم المضاد الاسرائيلي يوم ٨ أكتوبر ، انضج لرئيس الأركان الاسرائيلي أنه لا يمكن القيام بالهجوم على الجبهتين المصرية والسورية في وقت واحد . لذلك قرر تحويل القوات الاسرائيلية في جبهة سيناء الى الدفاع والقيام بعملية اعادة التجميع استعدادا لشن الهجوم بعد تصفية الموقف على الجبهة السورية واخراج سوريا من الحرب . وحتى تتاح فرصة الهجوم تعمل القوات الاسرائيلية في سيناء على ايقاف تطويق الهجوم المصرى ومنع القوات المصرية من الوصول الى الطريق العرضي رقم ٣ على مسافة حوالى ٣٠ كيلومترا من القناة (١) . ويتم ذلك باستخدام الطيران والمدفعية بعيدة المدى وستلج المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات والهجمات المضادة المحلية بهدف تثبيت القوات المصرية . بيد أنه في الساعة

(١) جمال حماد ، للمرة الثانية سحقتنا الهجوم الاسرائيلي ، مجلة أكتوبر ، العدد ٤٩١ ، ٢٣ مارس ١٩٨٦ ، ص ٣٢ .

١٢٠

الثالثة من مساء التاسع من أكتوبر ، قامت طائرات ومدفعية العدو بقصف مركز على اللواء الثالث المشاة الميكانيكي من الفرقة ١٦ المشاة ، واللواء الأيمن من الفرقة الثانية المشاة . ثم بدأ الهجوم الرئيسى على الكتيبة اليمن من اللواء الثالث المشاة الميكانيكي بقوة اللواء ٦٠٠ المدرع الاحتياط عدا كتيبة ، والهجوم الثانوى الثقيل على الجنب الأيمن للفرقة الثانية المشاة ونقطة الاتصال بين الفرقتين بقوة كتيبة دبابة مدعمة بمشاة ميكانيكية . وقد تمكنت قوة الهجوم الرئيسى من اختراق المنطقة الدفاعية للكتيبة والاستيلاء على النقطة ٥٧ ذات الأهمية التكتيكية على حين نجحت كتيبة النسق الثانى فى الطالية فى صد اختراق العدو بالتعاون مع الاحتياطيات المضادة للدبابات ومدفعية الميدان ، إلا ان العدو ظل محتفظا بالنقطة ٥٧ .

وفى الساعة السادسة والرابع مساء شنت نحو خمسين دبابة للعدو هجوما على نقطة الاتصال بين اللواء ١٦ المشاة (فى اليمن) واللواء الثالث المشاة الميكانيكي (فى المنتصف) ، وتمكنت من أحداث اختراق بعمق ٣ كيلومترات . ولكن تم صد الاختراق وقفل الثغرة بإمكانات اللوائين والفرقة والجيش الثانى ، بعد أن تكبد كل من العدو واللواء الثالث خسائر فادحة . ثم تمكن اللواء الميكانيكي بمعاونة الفرقة — التى دعمته بأطقم اقتناص دبابات — من استرداد النقطة ٥٧ اثر هجوم ليلى صامت ليلة ١٠/٩ أكتوبر ، وعادت الأوضاع فى رأس كوبرى الفرقة ١٦ المشاة الى ما كانت عليه .

وعندما انجف نهار ٩ من أكتوبر شنت الطائرات الاسرائيلية غارات مكثفة على رادارات رأس رحى والسخنة وبلطيم وبورسعيد وعلى كتائب صواريخ الدفاع الجوى فى قطاع بورسعيد .

كلما نجح الجيش الثالث فى صد هجمات العدو المضادة المحدودة ، ثم دفع اللواء الاول المشاة الميكانيكي مفرزة قوية فى اتجاه الجنوب استولت على نقطة العدو القوية فى عيون موسى وعلى ستة مدافع ١٥٥ مم سليمة ومثبتة فى قواعد خرسانية داخل دشم قوية التحصين ،

١٩١٥

شُر أن اللواء الأول المشاة الميكانيكي لم يتمكن من تحقيق مهمته إلا من الاستيلاء على رأس مسلة بقوة سرية مشاة ميكانيكي يوم ١١ أكتوبر ، وذلك بسبب القذف الجوي المعادي وعدم استغلال سناعات الظلام ، حتى انت القيادة العامة مهمته في الاستيلاء على رأس سدر في نفس اليوم .

وبغروب شمس التاسع من أكتوبر ، كانت الفرقتان ١٩ ، ٧ المشاة قد شكلتا رأس كوبرى الجيش الثالث بعمق ١٠ - ١٢ كيلومترا ، في حين شكلت الفرقتان ١٦ ، ٢ المشاة رأس كوبرى الجيش الثاني . أما الفرقة ١٨ المشاة فقد عززت الخد المحدد لها على الاتجاه الشمالى أمام القنطرة شرق . وكانت تفصل بين الجيش الثالث والثاني ثغرة باتساع ٢٥ كيلومترا تشمل معظم المنطح المائى للبحيرات المرة ، التى اعتقد خطأ أنها مانع طبيعى ، لذلك لم تتخذ القيادة العامة للقوات المسلحة مسئولية تأمينها تحديدا واضحا دقيقا .

كما أخطأت قيادة الفرقة ١٦ المشاة خطأ فاحشا حين لم تهتم بتأمين الجنب الايمن للفرقة ، وقد تمثل ذلك فى ترك حصن الدفرسوار وحصن تل سلام بدون قوات ، مما هيا الفرصة للعدو للاستيلاء عليها ليلة ١٥/١٦ أكتوبر دون أن تراق له قطرة دماء واحدة ، ثم استخدمها فى عملية العبور الى الغرب .

أما على الجانب الاسرائيلى ، فقد انتهى مجلس الحرب فى الساعات الأولى من صباح العاشر من أكتوبر الى قرار بتركيز المجهود الرئيسى للقوات الاسرائيلية على الجبهة السورية . وقد استتبع ذلك قيام القوات الجوية الاسرائيلية بقذف أهداف استراتيجية فى عمق سوريا وبخاصة الاهداف الاقتصادية لاجبار سوريا على الاستسلام ، فى حين اقتصر الهدف الاسرائيلى فى الجبهة الجنوبية على تثبيت القوات المصرية ومنعها من تطوير هجومها شرقا .

— ١٠٢ —

الوقفات المتتالية :

توقفت القوات المصرية شرق القناة لمدة أربعة أيام فيما بين ١٠ ، ١٣ أكتوبر حيث تحولت الى تعزيز الخط المستولى عليه وتأمين رعوس الكبارى وصد الهجمات المضادة المحلية التى كانت تشنها وحدات فرعية من لواء مدرع احتياط .

وعندما انبلج صباح الحادى عشر من أكتوبر. تأكدت القيادة العامة الاتحادية من أن العدو مازال يقاتل قتالا تعطيليا على الجبهة المصرية بينما يركز مجهوده الرئيسى على الجبهة السورية .

وفي مساء نفس اليوم توصلت القيادة الجنوبية الاسرائيلية برئاسة حاييم بارليف الى أنه لا سبيل الى ترجيح كفتها وتجاوز مساوئ الحرب الثابتة التى فرضتها عليها القوات المصرية الا بعبور قناة السويس الى الغرب ، وانتهت الى أن منطقة الدفرسوار هى أصح مناطق العبور ، الا أن العقبة التى كانت تواجهها هى وجود قوات مدرعة مصرية بحجم كبير على الضفة الغربية للقناة .

وقد كان توقيت العبور الاسرائيلى مرهونا بتحرك معظم القوات المدرعة المصرية من غرب القناة الى شرقها . لذلك لم يتوصل مجلس الحرب الاسرائيلى الى قرار بشأن العبور التى عرضها الجنرال حليم بارليف يوم ١٢ أكتوبر مع وجود القوات المدرعة المصرية فى الغرب . ولم يعلن موافقته الا بعد تحرك وحدات من الفرقتين ٤ ، ٢١ المدرعتين الى الشرق . وفشل الهجوم المصرى يوم ١٤ أكتوبر . وقد ظل موقف العدو يوم ١٢ أكتوبر على ما هو عليه وما زالت مهمته تثبيت قواتنا لحين حشد التجميع الرئيسى والقيام بضربة مضادة قوية لانتزاع المبادرة بصفة نهائية .

وفي هذا اليوم ركز العدو مجهوده الجوى على وحدات صواريخ الدفاع الجوى وزاد عدد طلعاته الجوية لتصبح ٩٥ طلعة بقوة ٢٤٠ طائرة ، كما قام ليلا بنقل حوالى عشرين عربة نصف مجنزرة محملا عليها

— ١٠٣ —

صواريخ س س ١١ المضادة للدبابات فى طائرة هليكوبتر الى منطقة تقع خلف قواته المواجهة للفرقة الثانية المشاة مباشرة .

وقد صدر فى هذا اليوم امر القائد العام للقوات المسلحة بتطوير الهجوم شرقا اعتبارا من يوم ١٣ من اكتوبر ، ثم اجل الهجوم الى صباح ١٤ من اكتوبر .

وقد ابدى كل من الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان ، واللواءين سعد الدين مأمون ، عبد المنعم واصل قائدى الجيشين الثانى والثالث معارضته الشديدة لقرار تطوير الهجوم فى اتجاه المضائق وبينوا ما ينجم عنه من عواقب وخيمة ، غير أنهم اذعنوا بعد أن صرح اهم القائد العام بأنه قرار الرئيس السادات لتخفيف الضغط عن سوريا . وفى ليلة ١٣/١٢ من اكتوبر ، بدأ عبور وحدات الفرقة ٢١ المدرعة ، واللواء الثالث المدرع من الفرقة الرابعة المدرعة قناة السويس ، وأخذت القوات تستعد لتطوير الهجوم .

وقد حدث امر خطير فى الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم ١٣ من اكتوبر اذ قلمت طائرة استطلاع أمريكية من طراز لوكهيد SR - 71 - A برحلة استطلاع فوق الجبهة المصرية وشوهدت حركتها على شاشة الدفاع الجوى فى غرفة العمليات بالمركز الرئيسى ١٠٠٠ . دون أن تنتبه القيادة العامة الى هدفها الحقيقى .

الوقفه التعبويه فى الميزان :

كانت الخطة الأصلية تنضى بعدم تطوير الهجوم الى المضائق الا بعد انتهاء التفوق الجوى الاسرائيلى ، اما باستنزاف الطيران الاسرائيلى بواسطة عناصر الدفاع الجوى المصرى واما بتوفير غطاء صاروخى متحرك لحماية القوات اثناء الهجوم .

وقد ناقشت القيادة المصرية من الوقفه التعبويه ، وكان حديث الفريق أول احمد اسماعيل المنشور فى أهرام ١١ نوفمبر سنة ١٩٧٣ انما يستهدف ذلك . وقد كان مما ذكر أن الوقفه التعبويه لها أهداف تخدم

١٠.٤.٨

الخطّة الهجومية المصرية لتحرير سيناء ومن أهمها : ضمان ثبات وتأمين رؤوس الكبارى واتخاذها قاعدة قوية تستند اليها القوات عند تطوير هجومها ، وتحقيق الدفاع الجوى عن رؤوس الكبارى واستنزاف طائرات العدو . بالإضافة الى ضمان تحقيق الاتزان الاستراتيجى فى المسرح بفضل وجود الأساق الثانية للجيشين الميدانيين واحتياطيات القيادة العلة غرب قناة السويس ، واعادة تنظيم وتجميع القوات فى مناطق رؤوس الكبارى ، واستكمال الامداد الادارى والفنى استعدادا لتطويع الهجوم شرقا .

بينما أثرت الوقفة التعبوية عاصفة من الانتقادات ووصفت بأنها نكوص عن استغلال النجاح وتسليم للمباداة الى العدو . وقد اعترضت القيادة السورية عليها فى ذلك الوقت قائلة أنها تخلف ما اتفق عليه فى مؤتمر تنظيم التعاون الذى تم يوم ٧ يونية سنة ١٩٧٣ ، حيث كان الاتفاق يقضى أولا بوصول انقوات المصرية الى شرق المضائق ، والقوات السورية الى نهر الأردن وبحيرة طبرية ثم اجراء الوقفة التعبوية .

كما استولت الدهشة على القادة السوفييت لعدم استغلال المصريين النجاح الذى احرزوه للاستيلاء على مضائق سيناء الجبلية بوصفها خط الدفاع الاستراتيجى من مصر ، ولتخفيف الضغط عن الجبهة السورية .

لقد اوردت مجلة « تايم » ان المصريين فشلوا فى اقتناص الفرصة المتاحة لهم بعد العبور للتقدم الى ممر مثلا . وطرح حاييم هرتزوج ، المعلق الاسرائيلى ، بعد الحرب هذا التساؤل « لماذا لم يتقدم المصريون فى الأيام الاولى للقتال ؟ » .

وفعلا لو تقدمت الفرق المشاة ليلا ابتداء من مساء ٩ أكتوبر الأمتها الاستيلاء على الممرات الجبلية فى يومى قتال بالتعاون مع قوات الابرار الجوى ، حيث كانت تبعد عن رؤوس الكبارى بمسافة من ٢٠ — ٣٥ كيلومترا . وبعد الاستيلاء على المضائق كان يمكن تنظيم الدفاع شرق القناة بالأساق الاولى والثانية للجيشين الميدانيين مع تمركز احتياطيات الجيشين غرب القناة ، وبذلك يمكن تحقيق الاتزان والعمق فى الدفاع والوقاية

القناة

للقوات لاسيما بعد انتقال بعض كتائب صواريخ الدفاع الجوي الى شرق القناة .

علما بان الخبراء العسكريين العالميين اجمعوا على ان الطيران الاسرائيلي لا يمكنه تقديم الدعم المطلوب لقواته العاملة على جبهتين في وقت واحد حتى ولو كان قد استعوض جميع خسائره .

ولما كان من المتوقع تركيز الطيران الاسرائيلي على الجبهة السورية ، فقد بات من المنتظر الا يعمل على الجبهة المصرية اكثر من ٢٥٪ من قوة الطيران السراييلي ، اى حوالى ١١٠ طائرة قتال في مواجهة نحو ٤٠٠ طائرة قتال مصرية . وعلى الرغم من تفوق الطائرات الاسرائيلية في مدى العمل وقوة التسليح ، فمن قرب منطقة المضائق من القناة يجعلنا نسقط عامل التفوق في المدى ، اما التفوق في التسليح فكان يمكن مجابهته بالتفوق العددي في الطائرات ووفرة وسائل الدفاع الجوي من المدفعية والصواريخ الفردي سام ٧ ، بالإضافة الى وجود لواء صواريخ سام ٦ المتحركة . ولا ريب ان الحذر الزائد للقيادة المصرية هو الذى ادى الى ذلك الموقف . وليس ادل على صدق قولنا من الشكوى الملحة للجنرال جونين قائد القيادة الجنوبية بسبب الغياب الملحوظ للطيران الاسرائيلي عن الجبهة ايام ٧ ، ٨ ، ٩ اكتوبر مما ادى الى اخفاق الهجمات المضادة الاسرائيلية .

لقد اضعفت القيادة المصرية مرساة موانية ثمينة ، فلو كان قد تم فعلا الاستيلاء على المضائق اجبر العدو على الانسحاب والدفاع على الخط : العريش - جبل لبنى - ممتنى - جبل خرم - جبل المطل - التمد ، على مسافة من ٤٥ - ٥٠ كيلومترا من حدود مصر الشرقية ، فضلا عن تشييت مجهود العدو الجوي واحتياطيه الاستراتيجى بين الجبهتين المصرية والسورية .

وقد قيل انه كان يمكن على اقل تقدير الاستيلاء على مصر مثلا ومضيق النجدي ، وعلى الطريق المرضى رقم ٣ من العائنة الى بالوظة لحرمان

— ١٠٩ —

العدو من المناورة العرضية فضلا عن ارغلم العدو على القتال على جبهتين .

ولكى يتضح الموقف ونصل الى الحكم السليم ، فلابد لنا من ان نستعرض الأعمال القتالية على الجبهة السورية .

الموقف على الجبهة السورية :

بدأ الهجوم السوري في الساعة الثانية وخمس دقائق بعد ظهر يوم ٦ من أكتوبر سنة ١٩٧٣ بضربة جوية مركزة وتمهيد نيرانى قوى من المدفعية والصواريخ . وفى نحو الساعة الثالثة بعد الظهر كانت الفرق المشاة الميكانيكية السابعة والتاسعة والخامسة تخترق المواقع الاسرائيلية في قطاعين رئيسيين : أحدهما شمال القنيطرة في مواجهة اللواء السابع المدرع ، والآخر جنوبها في مواجهة اللواء المدرع باراك ، اللذين كانا يضمنان ١٧٧ دبابة وتساونها أربع كتائب مدفعية . وبحلول أول ضوء يوم ٧ أكتوبر ، كان السوريون قد نجحوا في اختراق الجبهة على مواجهة ٣٠ كيلومترا وبعمق ما بين ١٢ — ٢٠ كيلومترا ، ووصات الفرقة الخامسة المشاة الميكانيكية في القطاع الجنوبي الى منتصف الطريق الى نهر الأردن .

وابتداء من الساعة السادسة من صباح ٧ من أكتوبر ، ركزت القوات الجوية الاسرائيلية هجماتها على الجبهة السورية بهدف ايقاف تقدم القوات السورية . ومنذ منتصف نهار ٨ من أكتوبر تحول ميزان القوى الى جانب اسرائيل ، بعد ان بدأت ضربتها المضادة بثلاث مجموعات عمليات تضم ستة ألوية مدرعة وثلاثة ألوية مشاة ميكانيكية ، ضد القوات السورية التي خسرت نصف دباباتها وابتعدت عن حماية مظلة صواريخ الدفاع الجوي .

وقد تمكنت القوات الاسرائيلية خلال يومي ٩ ، ١٠ أكتوبر من استرداد الأراضي التي فقدتها في يومي ٦ ، ٧ أكتوبر ووصلت الى خط وقف إطلاق النار لعام ١٩٦٧ .

وفي صباح ١١ من أكتوبر ، أمرت القيادة الاسرائيلية قواتها باستئناف

- ١٠٧ -

الهجوم والتقدم نحو دمشق وتهديدها بشكل يجبر السوريين على طلب
الوقف القتال .

ولذلك انتقل المجهود الرئيسى للقوات الاسرائيلية من القطاع الجنوبى
الى القطاع الشمالى الذى هو الممر الطرق الى دمشق . وقد تراجعت
القوات السورية فى القطاع الشمالى خلال يوم ١١ من أكتوبر الى الخط
الدفاعى الثانى ، وتراجعت الفرقة الخامسة المشاة الميكانيكية نحو الجنوب
الشرقى عدة كيلومترات ، فى حين كانت الفرقة التاسعة الميكانيكية متمركزة
حول سعسع ، وهى مدينة تقع على مسافة ٤٠ كيلومترا من دمشق ،
ونتيجة لأوضاع القوات السورية ، فقد أصبحت هناك ثغرة بعرض ٢٠
كيلومترا بين الجانب الأيسر للفرقة التاسعة المشاة الميكانيكية ، والجانب
الأيمن للفرقة الخامسة المشاة الميكانيكية ، نفذت منها ثلاثة ألوية مدرعة
اسرائيلية متجهة الى الكسوة فدمشق ، بإذلة أقصى جهودها لتوسيع
الثغرة فى اتجاه الشرق . الا أن عمق المواقع السورية وعنف مقاومتها
واشتراك الفرقة الثالثة المدرعة - الاحتياطى الاستراتيجى العام للقيادة
السورية - فى القتال ووصول اللوامين المدرعين ١٢ العراقى ، ٤٠
الأردنى يوم ١١ من أكتوبر واشتباكهما مع القوات الاسرائيلية ، أدت الى
اخفاق الهجوم الاسرائيلى . وفى يوم ١٣ أكتوبر ، كتلت القوات الاسرائيلية
قد استنفدت كل طاقتها ولم تعد قادرة على الاستمرار فى الهجوم بعد أن
تكبدت خسائر جسيمة فى الأرواح والمعدات ، لذلك فقد تحولت الى أوضاع
الدفاع وأخذت فى تحسين مواقعها .

يتضح من سير القتال أن العدو ثبت الجبهة المصرية بقوات قليلة
وحشد معظم قواته البرية والجوية على الجبهة السورية ، كما ركزت
بجهود سلاحه البحرى أمام السواحل السورية تعاون طائرات الهليكوبتر
المجهزة بصواريخ جو بحر خلال يومى ١١ ، ١٢ أكتوبر بهدف أحداث أكبر
خسائر ممكنة بالقوات البحرية السورية مع القيام بعمليات خاصة على
أهداف بترولية على الساحل .

١٠٠

وقد كان هذا الموقف يحتم استمرار هجوم القوات المصرية اعتباراً من مساء ٩ أكتوبر للاستيلاء على خط المضائق لتخفيف الضغط على الجبهة السورية وإجبار العدو على القتال على جبهتين .

الهجوم المصري يوم ١٤ من أكتوبر سنة ١٩٧٣ :

أخذت سوريا تضغط بشدة على مصر اعتباراً من ٩ أكتوبر لتطوير الهجوم شرقاً ، وتوالت إشارات القيادة السورية على القيادة الاتحادية متضمنة كلمة واحدة هي متى . . ؟ وقد أفشى الحاح سوريا المستمر إلى اضطرار السادات إلى تلبية طلبها ، فاتخذ قراراً على مسؤوليته مساء يوم ١٢ أكتوبر بتطوير الهجوم في اتجاه المضائق في صباح يوم ١٣ من أكتوبر ثم أجل الهجوم إلى صباح اليوم التالي .

ولكن هل كان توقيت قرار تطوير الهجوم مناسباً ؟

إذا تتبعنا أعمال القتال على الجبهتين الشمالية والجنوبية لوجدنا أن العدو حسم الموقف لصالحه على الجبهة الشمالية يوم ١٣ أكتوبر ، ثم تحول القتال إلى معركة دفاعية ثابتة . ويقول موشي ديان « في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ١١ من أكتوبر بدأت قواتنا البرية هجومها . . . وواصلت شق طريقها إلى الأمام طوال اليوم التالي بأكمله وجزءاً من اليوم الذي يليه وقضت يوم ١٣ من أكتوبر في تحسين مواقعها . وباستثناء القتال الذي دار من أجل الاستيلاء على المواقع العسكرية فوق جبل الشيخ ، التي استولينا عليها في آخر لحظة تقريباً بعد ذلك بأسبوع ونصف انتهت عملياتنا على الجبهة السورية وأقيم خط دفاع جديد » (١) .

أما على الجبهة الجنوبية ، فقد كان العدو يحتفظ بستة ألوية مدرعة ولواء مشاة ميكانيكيين مما جعل له التفوق على القوات المخصصة لتطوير الهجوم .

يتضح من ذلك أن قرار تطوير الهجوم كان قد فات أوانه ، فهو لم

- ١١٠ -

يكن يفيد الجبهة السورية بعد أن حسم القتال فيها لصالح العدو ، الذي لم يكن بحاجة الى سحب قوات منها ، حيث كانت قواته على الجبهة الجنوبية قادرة على صد الهجوم المصرى المرتقب . ولهذا فقد كانت لهذا القرار عواقب وخيمة ، كانت بمثابة نقطة تحول فى الحرب لصالح العدو . وبعد أن فرغ العدو من الجبهة السورية ، قام بسحب أربعة ألوية مدرعة منها وأصبح له على الجبهة المصرية عشرة ألوية مدرعة يوم ١٩ أكتوبر .

كانت الخطة الهجومية المصرية تقضى بتطوير الهجوم شرقا بجزء من القوات المدرعة والميكانيكية للوصول الى المداخل الغربية لسلسلة المضائق الجبلية ، وذلك باستخدام مفارز قوية من القوات المدرعة والميكانيكية من خارج التكوين الاصلى للفرق المشاة الخمس . بدأت المفارز المصرية الهجوم فى الساعة السادسة والنصف من صباح ١٤ من أكتوبر بعد تنفيذ ضربة جوية وقصبة نيران مركزة بالدفعية والصواريخ التكتيكية ارض / ارض متوسطة المدى على الاهداف المعادية لمدة ١٥ دقيقة . فقام الجيش الثالث الميدانى بدفع اللواء الثالث المدرع من الفرقة الرابعة المدرعة للاستيلاء على المدخل الغربى لمر متلا وتأمينه ، واللواء ١١ المشاة الميكانيكية من الفرقة السابعة المشاة وكتيبة دبابات من اللواء ٢٥ المدرع المستقل للاستيلاء على تقاطع الطريق العرضى رقم ٣ مع طريق الجدى . كما دفع الجيش الثانى الميدانى الفرقة ٢١ المدرعة فى اتجاه الطاسة للاستيلاء على تقاطع الطريق العرضى رقم ٣ مع الطريق الاوسط ، واللواء ١٥ المدرع المستقل فى اتجاه بالوطة للاستيلاء على تقاطع الطريق العرضى رقم ٣ مع الطريق الشمالى .

تقدمت القوات المهاجمة بنجاح حتى الساعة السابعة والنصف صباحا والعدو ينسحب امامها ، مستدرجا اياها الى ارض قتل اختارها بدقة وعناية . فى حين شنت الطائرات الاسرائيلية من الساعة السابعة والنصف حتى العاشرة صباحا ثلاث هجمات جوية ، اثنتان منها على القوات المصرية فى الشرق والثالثة على مطار الصالحية ، اسقطت فى خلالها نحو عشرين طائرة . وفى نفس الوقت تعرضت المفارز المتقدمة لنيران كثيفة من المدفعية

- ١٦٥ -

والدبابات المتخذة وستائر صواريخ س س ١١ المضادة للدبابات ، بالإضافة الى طائرات الهليكوبتر المسلحة بهذه الصواريخ التي استخدمها العدو بنجاح في الجبهة السورية . ونتيجة لتعثر المفارز ، فقد قامت الطائرات المصرية بضرب المقاومات التي تعترضها مما ساعدها على التقدم ولكن ببطء . بيد أن هذه المفارز لم تتمكن من احراز أى نجاح في الفترة من الساعة الواحدة الى الساعة الرابعة بعد الظهر ، وتكدت خسائر جسيمة في الدبابات بلغت نحو مائتي دبابة ، منها ١٢٢ دبابة تحملتها مفرزتا الجيش الثنى الميداني . ولما كثرت هذه المفارز غير قادرة على التمسك بالخطوط التي وصلت اليها فقد صدرت اليها الأوامر بالارتداد الى رعوس الكبارى قبل أول ضوء يوم ١٥ أكتوبر .

لقد كان تنفيذ الهجوم بقوات مدرعة وميكانيكية على مواقع دفاعية مجهزة بها عدد كبير من الأسلحة المضادة للدبابات من الخطورة بمكان . واذا كان لابد من تطوير الهجوم ، فقد كان من الأجدى أن تقوم الأنساق الأولى للفرق المشاة بالهجوم الليلي على خط الدفاع الثانى للعدو ليلة ١٣/١٤ من أكتوبر وتدمر قواته وأسلحته ثم تستغل القوات المدرعة والميكانيكية النجاح في أول ضوء يوم ١٤ من أكتوبر . ثم تتقدم الفرق المشاة وتقوم بتعزيز الأراضى المكتسبة ، وبعدها يعاد تجميع القوات المدرعة ، التي دفعت من الغرب ، في رعوس الكبارى تمهيدا لاعادة تمركزها غرب القناة

وعلى أية حال ، فقد أسفر الهجوم المصرى يوم ١٤ من أكتوبر عن نتيجتين هامتين هما : دفع الفرقة ٢١ المدرعة واللواء الثالث المدرع من الفرقة الرابعة المدرعة الى شرق القناة ، وثغرة الدفرسوار .

ثغرة الدفرسوار :

بدأت الولايات المتحدة اعتبارا من يوم ١٠ أكتوبر في امداد اسرائيل بالأسلحة التي كانت تحملها طائرات شركة العمل الاسرائيلية من الأراضى الأمريكية ، وشيئا فشيئا ازداد الدور الأمريكى وصارت الطائرات الأمريكية تنقل الأسلحة الى جزير الأزور وسط المحيط الأطلسي ، ثم تقوم طائراتها

العمال بنقلها الى اسرائيل ، وذلك رداً على الجسر السوفييتى الى مصر وسوريا ، الذى بدأ بعد ثلاثة أيام من الحرب حيث قلم الاتحاد السوفييتى بتنفيذ ٩٠٠ رحلة طيران نقل خلالها خمسة عشر ألف طن من المعدات الحربية . ثم تعاضد الدور الأمريكى حين قررت الولايات المتحدة يوم ١٣ من أكتوبر اقامة جسر جوى على نطاق شامل يؤازره جسر بحرى الى مطارات وموانئ العدو فى سيناء واسرائيل لنقل أحدث ما تنتجه ترسانة الأسلحة الأمريكية ، فاستعوض خسائره واحتفظ باحتياطى منها . كما قدمت الولايات المتحدة الى اسرائيل المعلومات المستقاة من أقمارها الصناعية وطائرات استطلاعها التى اكتشفت ثغرة بين الجيشين الثانى والثالث عرضها ٢٥ كيلومترا .

وكانت لدى اسرائيل خطة معدة مسبقا للعبور من نقطة التقاء القناة بالبحيرات المرة الكبرى ، غير أن الظروف لم تكن مواتية لتنفيذها بسبب الانتصارات المصرية ، وحرص اسرائيل على تجنب المزيد من الخسائر ، ووجود الانساق الثانية واحتياطيات الجيشين الثانى والثالث غرب القناة . كذلك فإن التخطيط لحرب أكتوبر تضمن احتمال عبور العدو الى غرب القناة واحداث ثغرة فى منطقة الدفرسوار ، ووضعت خطة تفصيلية لتصفيتها تعتمد على تركيز المدفعية والطيران على القوة المعادية وحصرها ومنعها من الانتشار ثم دمرها بواسطة القوات المدرعة والميكانيكية الموجودة فى الغرب . وبدفع الفرقة ٢١ المدرعة واخفاق الهجوم المصرى يوم ١٤ أكتوبر ، واستعاض اسرائيل خسائرها وتزويدها بأسلحة أمريكية متطورة ، واغفال القيادة العامة المصرية دفع قوة مدرعة الى الجيش الثانى لتحل محل الفرقة ٢١ المدرعة ، فقد أصبحت الظروف مهيأة أمام اسرائيل لتنفيذ عملية « الغزالة » .

وقد بدأ العدو فى التحضير لهذه العملية اعتبارا من يوم ١٣ أكتوبر . ويقول موشى ديان « بعد الخاتمة الناجحة لهجومنا المضاد العلم على الجبهة

- 353 -

الشمالية في يوم ١٣ من أكتوبر انتقل مركز النقل العسكري الى الجنوب « (١) » .

شرعت الأركان العامة الاسرائيلية في ١٣ أكتوبر في حشد قوات مدرعة وميكانيكية في مواجهة رعوس الكبارى ، وابتداء من صباح ١٥ أكتوبر كان العدو قد تمكن من نقل معظم مجهوده الجوى الى الجبهة المصرية بعد ان اطمأن على موقفه في الجبهة السورية . ومنذ الساعة صباحاً يهجم المطارات المصرية بتركيز شديد ، كما علوت طائرة الاستطلاع SR - 71 - A رحلتها الاستطلاعية ، التي تحقق منها العدو من خلو منطقة الجيش الثانى غرب القناة من الدبابات تقريبا . وقد كان من المتوقع ان تكون هذه الطلعة بمثابة انذار للقيادة المصرية فتتدارك الموقف وتسارع الى تكوين احتياطي مدرع للجيش الثانى الميدانى ، ولكنها اغفلت ذلك تماما ، وبذا أصبحت الظروف مواتية أمام الجنرال حنايم بارليف — قائد القيادة الجنوبية الاسرائيلية — لتنفيذ خطة العبور الى الضفة الغربية للقناة .

كانت الخطة الاسرائيلية تتلخص في تثبيت رعوس الكبارى بهجمات مضادة مستمرة وخداع القيادة المصرية عن اتجاه الهجوم الرئيسى ، وتظهر محور الطاسة — تل سدم ، ومحور طرطور اللذين سوف تتحرك عليهما القوات والمعدات المخصصة للعبور ، ثم تركيز الهجوم على الجانب الايمن للجيش الثانى الميدانى (اللواء ١٦ المشاة من الفرقة ١٦ المشاة) بهدف فتح طريق الى القناة تعبر من خلاله القوات الاسرائيلية بعد اقامة رأس كوبرى على ضفتى القناة فى الدفرسوار وتأمينه . ويقول موسى ديان « في يوم ١٤ من أكتوبر أصدرت القيادة الجنوبية أمراً بالعبور ، وتقرر ان يبدأ فى الساعة السابعة من مساء اليوم التالى وأن يكون موقع العبور هو الدفرسوار شمال البحيرات المرة مباشرة ، وكان على فرقتى ايريك وبرين ان تعبدا ، وتقوم فرقتان أخريتان باحتواء العدو على الضفة الشرقية . وكان على فرقة ايريك تأمين ممر عرضه ميلان ونصف الميل ، وذلك بالاستيلاء على طريق هام وكذا على قطعة ارض تعرف باسم

(١) نفس المصدر ، ص ٥٧٥ .

المزرعة الصينية . وكان على لواء مظلات تسانده المدرعات ، بقيادة
البريجادير جنرال داني مات ، أن يقوم بالعبور وتأمين رأس جسر على
الضفة الغربية للقناة بحيث يتم في الصباح مد جسرين . وتتقدم فرقة ايريك
للقيام بالعبور أولا لتطهير المنطقة وتأمين رعوس الجسور على كلا الضفتين ،
ثم تعبر الفرقة التي يقودها برن من خلالها وتتقدم في الضفة الغربية
جنوبا في اتجاه خليج السويس والاتجاه نحو الغرب (١) . ومن هنا يتضح
أن نجاح عملية العبور كان يتوقف على نجاح الاسرائيليين في اقامة رأس
كوبرى على ضفتى القناة وتأمينه من الشرق والغرب مما يحتم تدمير اللواء
١٦ المشاة أو إجباره على الارتداد شمالا .

كان العبء الرئيسى للعبور يقع على مجموعة عمليات الجنرال
شارون ، فقد كان على لواء مدرع عدا كتيبة مدرعة أن يقوم في الخامسة
من مساء ١٥ أكتوبر بهجمات خداعية على شمال ووسط رأس كوبرى
الفرقة ١٦ المشاة لتثبيتها وجذب انتباهها هي والفرقة ٢١ المدرعة الى
المحور الاوسط ، ولخداع القيادة المصرية عن منطقة العبور في
الدفرسوار .

كما يتم لواء مدرع آخر مدعم بكتيبة دبابات وكتيبتى مشاة ميكانيكيتين
وكتيبة استطلاع مجموعة اعلميت (الفرقة) في السادسة من مساء يوم
١٥ أكتوبر بحركة التفاف جنوب محور الطاسة — تل سلام للوصول الى
نقطة العبور في الدفرسوار بمهمة تطهير محور الطاسة — تل سلام ومحور
طرطور ، ومهاجمة اللواء ١٦ المشاة وإجباره على الارتداد شمالا ،
والاستيلاء على المزرعة الصينية (قرية الجلاء) ، وخداع القيادة المصرية
عن اتجاه عملية عبور القناة ، وتأمين منطقة العبور .

وبعد نجاح اللواء المدرع في تحقيق مهامه ، يعبر الى الضفة الغربية
على الكبارى التى سيتم تركيبها ويسلم مسئولية تأمين رأس الكوبرى
شرق القناة الى اللواء المدرع السابق ذكره . ويقوم لواء مدرع ثالث
بتخصيص كتيبة مدرعة لجر اجزاء الكبارى الى منطقة الدفرسوار ، ثم

تخصيص كتيبة مدرعة أخرى للعبور الى الضفة الغربية على مصدات متحركة عقب عبور لواء المظلات قناة السويس في قوارب المطاط .

وأخيرا يقوم لواء المظلات بقيادة داني مات ، والمدعم بسرية دبابات بالتقدم على محور الطاسة - تل سلام الى نقطة العبور في الدرسوار ، والعبور الى الضفة الغربية للقناة ، على أن تقوم كتيبة دبابات بتأمين طريق تحركه الى نقطة العبور .

بدأ العدو الهجوم في نحو الساعة من مساء ١٥ أكتوبر ، وفي حوالي الساعة الحادية عشرة مساء تمكنت ١٥ دبابة معادية من اختراق دفاعات اللواء ١٦ المشاة بعمق أربعة كيلومترات ووصلت الى منطقة قرية الجلاء ، ولكن تم إيقافها وتدمير معظمها . كما دفع العدو في نفس الوقت عشرين دبابة لتهاجم الجانب الأيسر للواء بهدف تدمير بعض كتائب صواريخ الدفاع الجوي التي تم انتقالها الى شرق القناة ، غير أنه أخفق وخسر معظم دباباته . وبعد نحو أربع ساعات عاود الإسرائيليون الهجوم بقوة أربعين دبابة على نفس اللواء ، الذي نجح في صد الهجوم بمعاونة الفرقة ٢١ المدرعة . بيد أنه في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، استولى شارون على جزء من خط القناة الذي سيعبر منه ، ولكن تمكنت القوات المصرية من إغلاق الطريق المؤدى اليه . وعلى الرغم من ذلك فقد أسرع شارون ومعه مائتا جندي بالعبور الى الضفة الغربية للقناة ، وظل ساعتين معزولا حتى وصلته قيادة لواء المظلات في نحو الثالثة من صباح يوم ١٦ أكتوبر ثم توالى عبور باقي اللواء حتى الخامسة صباحا . ولم تواجه القوة الاسرائيلية أية مقاومة مصرية بل وجدت نفسها في منطقة يسردها الهدوء التام . ومع مطلع الفجر بدأت المعديات تنقل دبابات العدو بأعداد قليلة الى الضفة الغربية للقناة .

وفي التاسعة من صباح يوم ١٦ أكتوبر كان قد تم عبور حوالي ثلاثين دبابة اسرائيلية الى الغرب وانتشرت في شكل مروحة وتمكنت من تدمير عدد من قواعد صواريخ الدفاع الجوي فأحدثت شغرة في جهاز الدفاع

الجوى ، اتاحت للطائرات الاسرائيلية حرية العمل لأول مرة فى هذه المنطقة .

وقد دفعت قيادة الجيش الثانى فى نحو الساعة الثالثة مساء كتيبة مشاة كويتية مدعمة بالدبابات لاحتلال مطار الدفرسوار وتأمين الضفة الغربية للقناة فى تلك المنطقة ، غير أنها فشلت وتكبدت خسائر جسيمة . وحتى ذلك الوقت ، لم تفتن القيادة المصرية الى طبيعة واهداف عمالية العدو فى منطقة الدفرسوار وظنت أنها مجرد اغارة عادية .

أما الاسرائيليون ، فقد استمروا فى تنفيذ خططهم وحاولوا فتح ممر يدفعون من خلاله بقوات اضافية لدعم اللواء المظلى ، ولكنهم فشلوا بعد نزيف هائل من الدماء . الا ان القوات الاسرائيلية واصلت ضغطها على الجانب الايمن لرأس كوبرى الجيش الثانى حتى تمكنت من اختراقه فى نحو الساعة الثالثة مساء وسيطرت على المنطقة شرقى الدفرسوار وشمالا حتى قرية الجلاء التى ظلت صامدة فى وجه الهجمات الاسرائيلية .

وبعد مشاورات اجراها القادة الاسرائيليون مع قيادة الجبهة ، تقرر شن هجوم ليلى على قرية الجلاء بقوة لواء مشاة ، فتم نقل اواء مظلى جوا من رأس سدر بجنوب سيناء الى منطقة القتال . كما قلمت القيادة الاسرائيلية بدفع اللواء المدرع المتمركز فى المليز الى رأس كوبرى الفرقة ١٦ المشاة حوالى الساعة الرابعة مساء ليكون على مقربة من ساحة العبور ، وبذلك اصبح أمام مواجهة الفرقة ١٦ المشاة اربعة ألوية مدرعة اسرائيلية . ومنذ ذلك الحين أخذت مدفعية الجيش الثانى تطلق نيرانها بشدة فى اتجاه رأس الكوبرى الاسرائيلى .

وكان قد حضر الى مصر فى صباح السادس عشر من أكتوبر اليكسى كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى ، وكانت أهم أهداف زيارته ايجاد وسيلة لوقف اطلاق النار . وقد قدم لكوسيجين مشروعا من اربع نقاط هى : وقف اطلاق النار حيث تقف القوات المتصارعة ، وانسحاب اسرائيل الى حدود ٥ يونية ١٩٦٧ ، وانهاء حالة الحرب ، وضمها كل من

الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي لاسلام في الشرق الأوسط .

وفي نفس اليوم ألقى أنور السادات خطابا أمام مجاس الشعب أكد فيه على شرط الانسحاب من الأراضي المحتلة مقابل إنهاء حالة الحرب . وقد كانت كل هذه التحلورات تنذر بقرب صدور قرار وقف إطلاق النار ، لذا فتتد أسرعت القيادة الاسرائيلية الى دفع اللواء المظلي بقيادة العقيد عوزي مليري الى المعركة ، بيد أنه منى بخسائر فادحة ، ولكنه نجح في شغل قوات اللواء ١٦ المشاة . وقد استغل الجنرال ابراهام آدان هذه الفرصة ودفع قافلة معديات البانتون على طريق الطامة — تل سلام الى حصن تل سلام على شاطئ البحر المرة الكبرى . وقد تمكن المهندسون العسكريون الاسرائيليون من اقامة جسر المعديات قبيل الساعة الرابعة من مساء يوم ١٧ من أكتوبر ، وأصبح جاهزا لعبور مجموعة العمليات رقم ١٦٢ بقيادة آدان . ومنذ صباح ١٧ من أكتوبر أخذت مدفعية الجيش الثاني تصب نيرانها بشدة على الكوبرى الاسرائيلي وعلى ساحة العبور وجسر المعديات بعد أن فطنت القيادة المصرية الى الهدف الحقيقي للعملية الاسرائيلية . وعلى الرغم من شدة نيران المدفعية المصرية ، فلم يتوقف الاسرائيليون عن العمل في اقامة جسر المعديات . ولتأمين عملية اقامة الجسر ومنع أية قوة مصرية من التدخل ، فقد قلمت الطائرات الاسرائيلية بغارات كثيفة على اللواء ١٦ المشاة ووحدات الفرقة ٢١ المدرعة شمال قرية الجلاء . وفي نفس الوقت كانت القوارب المطلية والأطواف العائمة تنطلق من شاطئ القناة الشرقى حاملة الأفراد والمعدات في سباق مع الزمن لدعم رأس الكوبرى الاسرائيلي غرب القناة . وفي نحو الساعة العاشرة من مساء ١٧ من أكتوبر وصلت مقدمة مجموعة العمليات ١٦٢ بقيادة الجنرال آدان الى جسر المعديات ، واندفعت الدبابات على الجسر الى الضفة الغربية للقناة ، ولكن لم يعبر منها سوى ثلاث دبابات ، منها دبابة القيادة للجنرال آدان . فقد انهمرت قذائف مدفعية الجيش الثاني على جسر المعديات وساحتي الابحار والابرار ، مما أدى الى فتح فجوة في الجسر عطلت عبور مجموعة العمليات وأفضت الى تكديس الدبابات والعربات في منطقة العبور . وانتقلا الموقف ، فقد أصدر الجنرال آدان (برن) أوامره

بالاسمرار في نقل الدبابات الى الشاطئ الغربي فوق المعديات المتحركة حتى يتم اصلاح كوبرى المعديات . ولم تكد تمضى ساعة حتى تم اصلاحه باستخدام دبابة كوبرى في مكان الفجوة .

وفي الساعة الرابعة من صباح ١٨ أكتوبر ، كانت المجموعة ١٦٢ عمليات قد وصلت الى رأس الكوبرى غرب القناة الممتد بين قناة السويس شرقا وترعة السويس الحلوة غربا ، وما بين سرايوم شمالا وأبى سلطان جنوبا ، في حين كان لواء مدرع من مجموعة عمليات الجنرال شارون قد أتم عبور القناة الى الغرب قبيل مجموعة عمليات الجنرال آدان . وبذلك أصبح للعدو في منطقة رأس الكوبرى غرب القناة مجموعتا عمليات : الاولى بقيادة الجنرال شارون وتتألف من لواء مدرع ولواء مثلى ، والثانية بقيادة الجنرال آدان وتتكون من لواعين مدرعين .

كما أصدر شارون أوامره الى لواء مدرع من مجموعة عملياته — كان موجودا شرق القناة — باهجوم على قرية الجلاء من الخلف ، التي لم تلبث أن سقطت في يد العدو في نحو الساعة العاشرة من مساء يوم ١٧ من أكتوبر ، بعد أن وصل اللواء ١٦ المشاة ووحدات من الفرقة ٢١ المدرعة الى درجة خطيرة من الانهك والاستنزاف نتيجة المعارك وعدم دعمها بقوات اضافية . وبعد أن حقق اللواء المدرع الاسرائيلى مهمته ، قام بالضغط شمالا لتوسيع رأس الكوبرى الى مسافة نحو خمسة كيلومترات .

وهكذا استفحل أمر الثغرة ، على حين كان يمكن القضاء عليها يوم ١٦ من أكتوبر بقوة لا تزيد على لواء مدرع ، فقد ظل لواء المظلات الاسرائيلى المدعم بتلاثين دبابة لمدة ٣٦ ساعة غرب القناة دون أن تلحق به أية قوة اسرائيلية .

ومما زاد الأمر سوءا ، نجاح العدو قبيل منتصف ليلة ١٩/١٨ أكتوبر في اقامة كوبرى سابق التركيب في مكان يبعد نحو مائتى متر شمال جسر معديات البونتون بنحو ثلاثمائة متر في حوالى الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم ١٩ من أكتوبر .

التخطيط المصرى للهجوم المضاد وفشله :

ظهر فى القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية مساء يوم ١٦ من أكتوبر رأى للتعمل مع الثفرة فى الدفرسوار فى صباح اليوم التالى . الرأى الأول للفريق أول أحمد اسماعيل ويرتكز على استغلال التفوق المصرى شرق القناة فى القيام بالهجوم الرئيسى من الشرق لاجل ثفرة الاختراق بواسطة الفرقة ٢١ المدرعة واللواء ٢٥ المدرع المستقل ، فى حين يوجه اللواء ١١٦ المشاة الميكانيكى ضربة ثانوية من الغرب . بينما كان رأى الفريق سعد الشاذلى توجيه الهجوم الرئيسى الى الثفرة من غرب القناة لاجلها بواسطة لواءين مدرعين يسحبان من الجيش الثالث شرق القناة ، ويقومان بالهجوم على الثفرة من الجنوب الى الشمال الشرقى ، على أن يقوم اللواء ١١٦ المشاة الميكانيكى بالهجوم من الغرب الى الشرق . وفى نفس الوقت تقوم الفرقة ٢١ المدرعة بتوجيه ضربة من مواضعها شرق القناة فى اتجاه الجنوب بهدف اغلاق الطريق المؤدى الى الثفرة من الشرق .

كانت فرصة نجاح الهجوم من غرب القناة بلواءين مدرعين كبيرة حيث كان العدو لا يمتلك سوى ثلاثين دبابة فى الغرب وهى تعادل قوة كتيبة دبابات كان من المنتظر أن تواجه ست كتائب دبابات فى اللواءين المدرعين بالإضافة الى كتيبة دبابات اللواء ١١٦ المشاة الميكانيكى . على حين كانت فرصة نجاح الهجوم المضاد من شرق القناة ضعيفة نظرا لوجود أربعة ألوية مدرعة اسرائيلية فى مواجهة ثفرة الاختراق من الشرق .

تمسك الفريق أول أحمد اسماعيل بمعارضته الشديدة لسحب أية قوات من انشرق مما أدى الى نشوب خلاف فى الرأى بين القائد العام ورئيس الأركان .

وعندما وصل السادات الى المركز رقم ١٠ مساء يوم ١٦ من أكتوبر ، حاول الشاذلى الاستعانة به لتدعيم وجهة نظره ، ولكن السادات رفض رأيه بعنف وثار فى وجهه مهددا اياه بالمحاكمة اذا اثار سحب أية قوات من الشرق مرة أخرى .

— ١١٩ —

وعلى هذا الأسس ، صدر قرار القائد العام مساء نفس اليوم متضمنا ما يلي :

١ — دفع اللواء ٢٥ المدرع المستقل في أول ضوء يوم ١٧ من أكتوبر من رأس كوبرى الجيش الثالث الى رأس كوبرى الفرقة ١٦ المشاة لمهاجمة العدو في رأس الكوبرى شرق القناة بالتعاون مع الفرقة ٢١ المدرعة التى تقوم بالهجوم من الشمال الى الجنوب .

٢ — قيام اللواء ١١٦ المشاة الميكانيكى من الفرقة ٢٣ المشاة الميكانيكية بالقضاء على العدو غرب القناة والاستيلاء على الساتر الترابى والمصاطب وتأمين منطقة الدفرسوار ، بالتعاون مع الكتيبة ٧٣ صاعقة والكتيبة ٨٥ مظلات المدعمة بكنية دبابت من اللواء ٢٣ المدرع .

٣ — تحرك اللواء ٢٣ المدرع من الفرقة الثالثة المشاة الميكانيكية من المنطقة العسكرية المركزية ليلة ١٦/١٧ أكتوبر للتمركز مكان اللواء ١١٦ مشاة الميكانيكى في منطقة استراحة عثمان أحمد عثمان .

وقد استتبع هذا القرار صدور الأوامر الى اللواء ٢٧ المدرع من قوات الحرس الجمهورى بالاستعداد لتتحرك والتمركز محل اللواء ٢٣ المدرع مع تلقيه الخطة الدفاعية شرق القاهرة .

اعترض اللواء أ.ح عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث على دفع اللواء ٢٥ المدرع بعرض الجبهة وفي ظل تفوق جوى معاد وفي وجود أعداد كبيرة من دبابات العدو على طريق تحرك اللواء ، الا أن الفريق أول أحمد اسماعيل أجبره على تنفيذ الأمر .

بدأ اللواء المشاة الميكانيكى الهجوم المضاد بعد منتصف نهار السابع عشر من أكتوبر غير أنه فشل في تحقيق مهمته بسبب عنف غارات العدو الجوية وشدة نيران المدفعية ، واجبر على الانسحاب ، وانتهى الأمر به الى احلال موقعين دفاعيين : أحدهما رئيسى في منطقة غرب تقاطع طريق المعاهدة مع وصلة أبو سلطان ، والآخر ثانوى غرب طريق المعاهدة مع

— ١٢٠ —

وصلت سرابيوم . في حين وقعت كتيبة الدبابات ، أثناء تحركها من منطقة
مركز اللواء ٢٣ المدرع إلى الدفرسوار ، في خمين إسرائيل دمرها تماما .
أما الكتيبة ٨٥ مظلات قد تمكن العدو من تمييزها في مطار الدفرسوار ،
وأوقع بها خسائر جسيمة وأجبرها على الانسحاب إلى أسسراخه عثمان
أحمد عثمان . كما لم يتمكن الكتيبة ٧٣ مساءة من تأمين مطار الدفرسوار
وأردت إلى الخلف تحت ضغط العدو ، واحتلت موقعا دقمايا في منطقة
شرق معسكر أبو سلطان حيث حاصرها العدو . ويرجع السبب الرئيسي
في اخفاق هذه القوات إلى عدم الملمها بموقف العدو .

وعلى الضفة الشرقية للقناة ، فقد تمكن العدو من تدمير اللواء
٢٥ المدرع تدميرا تليا بعد ان وقع في أرض قتل أعدائها له المجموعة ١٦٢
عمليات بقيادة الجنرال إبراهيم آدان جنوب الخلد كتيب الحبيبي . ول
سلام على مسافة نحو سبعة كيلومترات من الدفرسوار . بعدما لم تمكن
الفرقة المدرعة من الوصول إلى الدفرسوار .

وعلى اثر فشل الهجوم المضاد يوم ١٧ من أكتوبر ، وضعت القيادة
العلمية للقوات المسلحة المصرية في نحو الساعة الخامسة من مساء نفس
اليوم خطة لتصفية الثغرة شرق وغرب القناة ، نفذ في اول يوم ١٨
من أكتوبر ، وتقضى الخطة بوجه علم بما يأتي :

١ - على الضفة الغربية للقناة :

— يقوم اللواء ٢٣ المدرع عدا كتيبة دبلات بهجوم مضاد على العدو
في منطقة الدفرسوار بهمة تدمير قوائه واسلحه والاسلحاء على المسار
الترابي والمصاطب إلى مسافة ٥ كم شمال الدفرسوار .

— يؤمن دفع اللواء ٢٣ المدرع للأشسناك بواسطة اللواء ١١٦
المشاة الميكانيكي ، وبواسطة ضربة جوية لده ١٠ دقائق يعقبها قصفه
نيران مركزة لمدة ١٠ دقائق من مدفعية الفرقة ٢٣ المشاة الميكانيكية .

— يقوم اللواء ١٨٢ مظلات عدا الكتيبة ٨٥ مظلات بالانسحاب على
المسار الترابي والمصاطب من جبل مريم شمالا إلى مدخله النخ جنوبا .

— ١٢١ —

ثم يستخدم المصاطب لمعاونة الفرقتين ١٦ المشاة ، ٢١ المدرعة بالنيران في تحقيق مهامها ، لمنع العدو من العبور الى الغرب .

وقد عين العميد ا. ح احمد عبود الزمر قائد الفرقة ٢٣ المشاة الميكانيكية لقيادة هذه القوات .

٢ — على الضفة الشرقية للقناة :

تقوم وحدات من الفرقتين ١٦ المشاة ، ٢١ المدرعة بالهجوم المضاد على قرية الجلاء والنقطة القوية في الدفرسوار. بمهمة تدمير العدو واغلاق الطريق المؤدى الى سلحة العبور ، واستعادة الاوضاع الدفاعية في رأس كوبرى الفرقة ١٦ المشاة .

وام يكند ينتصف الليل حتى صدرت اوامر القيادة العامة بدفع اللواء ٣٥ المدرع الى شرق القاهرة ووضعه تحت قيادة الفرقة الثالثة المشاة الميكانيكية اعتبارا من اول ضوء يوم ١٨ من أكتوبر .

بدأ اللواء ٢٣ المدرع عداا كتيبة دبابات وكتيبة مشاة ميكانيكية وكتيبة مدفعية التحرك على محور وصلة ابي سلطان للقيام بالهجوم المضاد في الساعة السابعة من صباح ١٨ من أكتوبر .

وقد تمكنت عناصر الاستطلاع الاسرائيلية من رصد تشكيل قتال اللواء ٢٣ المدرع ، ومواقع اللواء ١١٦ المشاة الميكانيكي ، ومراكز القيادة ومراكز ملاحظة المدفعية ، فصبت عليها مدفعية العدو الثقيلة ، من مرابض نيرانها شرق القناة ، وابلا من النيران بالاضافة الى غارات العدو الجوية العنيفة مما أحدث بها خسائر جسيمة ، وجعل قائد الجيش الثانى يطلب من القيادة العامة طلعة جوية لتوفير الحماية الجوية اللواء ٢٣ المدرع .

أعد لواء مدرع اسرائيلى من المجموعة ١٦٢ عمليات أرض قتل من المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات وبعض الدبابات ، مستغلا النقاط القوية فى السائر الترابى شرق المعاهدة وغرب ترعة السويس ، وقامت فيها عناصر اللواء ٢٣ المدرع التى فوجئت بوابل من النيران من المواجهة ومن الجانب .

وانجالت المعركة عن تدمير جميع دبابات اللواء فيما عدا ثمانى دبابات انضمت على الموقع الرئيسى فى منطقة تقاطع طريقى المعاهدة - ابنى سلطان . ويرجع السبب الى المعلومات غير الصحيحة التى تلقاها قائد اللواء ٢٣ المدرع عن قوة واوضاع العدو . والا فكيف يقوم لواء مدرع عدا كتيبة دبابات (٦٣ دبابة) وعدا كتيبة مشاة ميكانيكية وكتيبة مدفعية ميدان بالهجوم المضاد على عدو يمتلك ثلاثة ألوية مدرعة (بها ٣٣٣ دبابة طبقا للتفليم) فى ثغرة الاختراق غرب القناة ؟ . لقد كان القصور الشديد فى المعلومات عن العدو ، السبب الرئيسى فى اخفاق الهجمات المضادة .

أما اللواء الآخر من مجموعة العمليات رقم ١٦٢ ، فقد استولى على الموقع الدفاعى الثانوى غرب تقاطع طريق المعاهدة مع وصلة سرايوم ، الذى كانت تدافع عنه سرية مشاة ميكانيكية . وعندما اقترب من الموقع الدفاعى الرئيسى ، الذى كانت تحتله كتيبة مشاة ميكانيكية عدا سرية من اللواء ١١٦ المشاة الميكانيكى ، تعرض الى نيران قوية مركزة فأنحرف فى اتجاه الغرب ، ثم اتجه جنوبا على طريق المعاهدة متفاديا الموقع . وفى الساعة الرابعة من مساء يوم ١٨ من أكتوبر كان كل من اللواء ١١٦ المشاة الميكانيكى واللواء ٢٣ المدرع قد فقد قيمته كقوة مقاتلة .

أما اللواء ١٨٢ مظلات عدا كتيبة ، فقد نجحت منه الكتيبة ٨٩ مظلات فى الاستيلاء على جميع المصاطب غرب القناة من جبل مريم شمالا الى مصطبة الضخ جنوبا ، غير أن العدو قام بهجوم مضاد استولى على المصطبة . وقد تقدمت الكتيبة ٨١ مظلات من اللواء من نفيشة الى سرايوم حيث كلفت بتأمين المعابر والكوبرى الببلى ، فى حين انضمت الكتيبة ٨٥ مظلات الى وحدتها الأصلية ، اللواء ١٨٢ مظلات .

وعلى الضفة الشرقية للقناة ، أخفق الهجوم المضاد الذى قامت به كتيبة مشاة ميكانيكية من اللواء ١٨ الميكانيكى من الفرقة ٢١ المدرعة ، واللواء الاول المدرع من الفرقة ٢١ المدرعة والدعم بكتيبتى دبابات من

- ١٢٣ -

الفرقة ١٦ المشاة واللواء ٢٤ المدرع من الفرقة ٢٣ المشاة الميكانيكية ، وذلك بسبب كثافة دبابات العدو وشدة نيران المدفعية وعنف الغارات الجوية وفشل الهجوم المضاد على الضفة الغربية للقناة ، الذي كان من مهامه تأمين الجانب الأيمن للواء الأول المدرع . وقد استغل العدو الموقف وركز هجومه على الجانب الأيمن لرأس الكوبرى الموحد (من الفرقتين ١٦ المشاة ، ٢١ المدرعة) ، فأصدر قائد الجيش الثانى الميدانى أمرا الى قائد اللواء ٢٤ المدرع الذى كان متمركزا فى الاسماعيلية شرق بالانضمام الى رأس الكوبرى الموحد (١) . وقد وصل اللواء بعد مشقة واشترك مع الفرقة ٢١ المدرعة فى صد دبابات العدو .

وعلى الرغم من بسالة هذه القوات وما أحدثته من خسائر جسيمة بالعدو ، فقد واصل تقدمه شمالا من قرية الجلاء فى اتجاه مدق السواحل مما أجبر قوات الهجوم المضاد على التحول الى تنفيذ مهمة دفاعية هى صد اختراق العدو لرأس الكوبرى الموحد .

يتضح من ذلك أن القيادة المصرية أضاعت وقتا ثميناً ، لو كانت قد أحسنت استغلاله لأفسدت خطة العبور الاسرائيلية وغيّرت نتيجة الحرب . وكان ذلك راجعاً فى المقام الأول الى استجابة القيادة المصرية الى خطة الخداع الاسرائيلية وعدم تقديرها السليم لطبيعة أعمال العدو . بل ان القيادة المصرية ، عندما فطنت الى حقيقة أهداف العدو وخطورتها ، لم تحسن استخدام مآذيتها من قوات للقضاء على قوات رأس الكوبرى الاسرائيلى . فقد دفعت اللواء ٢٣ المدرع بعد تمزيقه للقيام بالهجوم المضاد صباح يوم ١٨ من أكتوبر عندما كان العدو يمتلك تفوقا ساحقا فى المدرعات مما أدى الى تدمير هذا اللواء . ولو كان قد دفع صباح يوم ١٧ من أكتوبر لتفريت نتيجة المعركة تماما . ويقول كتاب مجموعة الصائدى تايمز « نظرة نافذة فى حرب الشرق الأوسط » : ان خطة العبور الاسرائيلية كانت

(١) جمال حماد ، بعد الثغرة : المحاولات المصرية لاستعادة التوازن ، مجلة أكتوبر ، العدد ٥١٨ ، ٢٨ سبتمبر ١٩٨٦ ، ص ٣٢ .

— ١٢٤ —

تعد منهلرة في صباح يوم ١٦ من أكتوبر « لولا غفلة الجانب المصرى وجنون ثسلرون » .

وكان يجب على القيادة المصرية ، بعد أن تنبهت الى خطورة الثغرة صباح السابع عشر من أكتوبر ، أن تتخذ اجراء سريعا حاسما لتصفيتها ، مما كان يستلزم حشد كافة المدرعات المتيسرة شرق وغرب القناة — ماعدا دبابات التعاون الوثيق ضمن تنظيم الفرق المشاة — بالاضافة الى الألوية المشاة الميكانيكية المتيسرة ، وتشن ضربتين مضادتين من شرق وغرب القناة يوم ١٨ من أكتوبر . ولو كانت قد فعلت ذلك لتوافرت لديها ثمانية ألوية مدرعة (أربعة ألوية مدرعة من الفرقتين ٤ ، ٢١ المدرعتين ، ولواءان مدرعان من الفرقتين ٦ ، ٢٣ المشاة الميكانيكيتين ، واللواء ١٥ المدرع واللواء ٢٣ المدرع) ، أربعة ألوية مشاة ميكانيكية (لواءان من الفرقتين ٤ ، ٢١ المدرعتين ، ولواءان من الفرقة ٢٣ المشاة الميكانيكية) حيث كان اللواء الأول المشاة الميكانيكى ، واللواء ١١٣ المشاة الميكانيكى من الفرقة السادسة المشاة الميكانيكية فى عيون موسى ورأس مسلة شرق القناة ، وبير عديب ووادى حجل غرب القناة . وبذلك كان يمكن تحقيق التفوق فى الحشد على العدو ، الذى كان له فى منطقة الثغرة شرق وغرب القناة ستة ألوية مدرعة ولواءان من المشاة . ولم يكن هذا الحشد المصرى ليقطل من القدرة القتالية الفرق المشاة الخمس شرق القناة ، فقد كانت كل فرقة مشاة بإمكاناتها الذاتية قادرة على صد مجموعة عمليات العدو مكونة من لواءين مدرعين ولواء مشاة ميكانيكى .

ولكن القيادة العامة للقوات المسلحة ارتكبت أخطاء لم ينكرها الفريق أول أحمد اسماعيل ، وإنما اعترف بها بقوله « لقد وقعنا نحن فى أخطاء » ، ومن هذه الأخطاء ، الدفع المتتالى للقوات للقيام بالهجوم المضاد دون مراعاة مبدأ الحشد أو تكليفها بمهام تفوق طاقتها . كذلك سلخ اللواءين ٢٢ ، ٢٤ المدرعين من الفرقتين ٦ ، ٢٣ المشاة الميكانيكيتين ، واللواء ١٤ المدرع من الفرقة ٢١ المدرعة فى المرحلة الابتدائية من العملية الهجومية ودعم الفرق المشاة بها — نتيجة الحذر الزائد — مما كبدها

- ١٤٥ -

بعض الخسائر وقيد خفة حركتها ، وكان يجب أن تظل ضمن تشكيلاتها الأساسية . بالإضافة الى تشتيت وحدات الفرقة السادسة المشاة الميكانيكية تبين أربعة اتجاهات : قيادة الفرقة ووحداتها الفرعية في الجفرا ، واللواء الأول المشاة الميكانيكي ولواء مدفعية الفرقة في رأس ميلة ، واللواء ١١٣ المشاة الميكانيكي في بير عديب ووادي حجل ، واللواء ٢٢ المدرع شرق القناة تحت قيادة الفرقة ١٩ المشاة منذ بداية الحرب ، فضلا عن تكليف اللواء الأول المشاة الميكانيكي بمهمة مبتورة لا نخدم الاتجاه الرئيسي للهجوم . كذلك امتدت يد التشتيت الى الفرقة الرابعة المدرعة حيث كانت قيادة الفرقة واللواء الثاني المدرع في الجفرا ، واللواء الثالث المدرع شرق القناة اعتبارا من ١٣ أكتوبر ، واللواء السادس المشاة الميكانيكي في منطقة الكيلومتر ١٠.٩ طريق القاهرة - السويس لتأمين الموقع المتوسط للجيش الثالث ، ولواء مدفعية الفرقة شرق القناة ملحقا على الفرقة السابعة المشاة . بالإضافة الى سحب بعض كتائب المدرعات الموجهة المضادة للدبابات من الفرق الموجودة غرب القناة لتدعيم فرق المشاة الموجودة في الشرق .

وعلى المستوى الاستراتيجي ، فقد أساءت القيادة العامة استخدام الفرقة الثالثة المشاة الميكانيكية ، التشكيل الرئيسي في الاحتياطي الاستراتيجي ، إذ وضعت اللواء العاشر المشاة الميكانيكي من الفرقة تحت قيادة الجيش الثاني التي كلفته بمهمة تأمين مؤخرة الفرقة ١٨ المشاة في منطقة القنطرة غرب منذ بداية الحرب ، ودقعت اللواء ٢٣ المدرع الى الجيش الثاني ليلة ١٦/١٧ أكتوبر ، وبذا لم يتبق من الفرقة سوى لواء مشاة ميكانيكي ، مما لم يمكن القيادة العامة من القيام بالضربة المضادة عندما دعت الحاجة . بالإضافة الى اغفال استخدام اللواء الثاني المدرع في القيام بالهجوم المضاد يوم ١٨ من أكتوبر بالتعاون مع اللواء ٢٣ المدرع . كذلك انفلتت تلك القيادة مبدا الامن الاستراتيجي ، مما كان يجب دفع احتياطي مدرع الى الجيش الثاني بعد عبور الفرقة ٢١

— ١٣٤ —

المدرعة الى الشرق ، او ان تحل الفرقة ٢٣ المشاة الميكانيكية محلها وتنفذ مهامها . ولو كان قد تم ذلك لما حدثت الثغرة في الدفوسوار .

اما على الجانب الاسرائيلي ، فقد تقرر ان تقوم مجموعة عمليات الجنرال كلمان ملجن — التي كانت مسئولة عن تأمين رأس الكوبرى في الخطة الأصلية — بالتقدم جنوبا غرب مجموعة عمليات الجنرال آدان في اتجاه السويس ، وأن تبقى مجموعة عمليات شارون في منطقة رأس الكوبرى للاندفاع شمالا في اتجاه الاسماعيلية .

تفاهم الموقف ووصول السادات الى مركز القيادة الرئيسي :

أخذت أعداد كبيرة من الدبابات الاسرائيلية منذ صباح ١٨ من أكتوبر في التسرب غرب القناة مهاجمة المناطق الادارية وقواعد صواريخ الدفاع الجوي ، فدمرت بعضها مما مكن الجنرال أبراهام آدان في صباح ١٩ من أكتوبر من القيام بهجوم شامل في اتجاهى الجنوب والغرب . وقد هاجمت القوات الجوية المصرية خلال يوم ١٨ من أكتوبر رأس الكوبرى الاسرائيلي غرب القناة وركزت هجماتها على جسر معديات البوتون شمال البحيرة المرة الكبرى ، حيث نشبت معركة جوية بين الطائرات المصرية والاسرائيلية ، أسقط فيها عدد كبير لكلا الجانبين . وازاء تدهور الموقف على الجبهة المصرية ، فقد وصل الرئيس الراحل أنور السادات الى مركز القيادة الرئيسى (المركز ١٠) في نحو الساعة الثانية الا ربعا من بعد ظهر يوم ١٨ من أكتوبر واستمع الى تقرير عن الموقف من القائد العام ، ثم أصدر أوامره بضرب مطار العريش حيث اتضح أنه المركز الرئيسى للإمداد الاسرائيلى ، وبتحرك رئيس الأركان الى الجيش الثانى للعمل على رفع الروح المعنوية للقوات والسيطرة على الموقف .

ولواجهة الموقف الجديد ، فقد قرر قائد الجيش الثانى سحب اللواء ١٥ المدرع المستقلا من الشرق وتمركزه شمال ترعة الاسماعيلية للعمل كاحتياط للجيش ، ولكن القائد العام ام يصدق على قراره ، وظل اللواء ١٥ المدرع شرق القناة . كما تقرر أن يقوم اللواء ١٨٢ مخلي بالاندفاع عن

- ١٢٧ -

الضفة الغربية جنوب ترعة الاسماعيلية وتأمين مؤخرة الفرقتين ١٦ المشاة ، ٢١ المدرعة . في حين يحتل اللواء ١١٨ المشاة الميكانيكي من الفرقة ٢٣ المشاة الميكانيكية قطاعا دفاعيا على طول ترعة الاسماعيلية لمنع العدو من التقدم شمالا في اتجاه مدينة الاسماعيلية .

وفي نفس اليوم ، صدرت أوامر القيادة العامة بانضمام اللواء ٣ المدرع الموجود شرق القناة الى تشكيله الاصلى - الفرقة الرابعة المدرعة - في منطقة الجفرا غرب القناة مساء يوم ١٩ من أكتوبر . كذلك قيلم الفرقة الرابعة المدرعة اعتبارا من يوم ١٨ من أكتوبر بالدفاع عن النطاق الدفاعي الثاني (التبعوى) للجيشين الثاني والثالث من ترعة الاسماعيلية شمالا الى جبل عتاقة جنوبا ، وحتى يتسنى القيام بهجوم عام اسرائيلي في اتجاه الجنوب على الضفة الغربية للقناة يوم ١٩ من أكتوبر ، فقد عبر لواء مدرع اسرائيلي تابع لمجموعة عمليات الجنرال آدان الى الضفة الغربية فجر يوم ١٩ من أكتوبر ، واصبحت المجموعة تتكون من ثلاثة ألوية مدرعة . كما عبر لواء مدرع آخر الى الغرب وانضم الى مجموعة العمليات ١٤٣ بقيادة الجنرال شارون ، التي أصبحت تتكون من لواءين مدرعين واواء مظلي . وكانت قد عبرت الى الغرب في ليلة ١٨/١٩ من أكتوبر مجموعة العمليات رقم ٢٥٢ بقيادة الجنرال كلمان ماجن وكانت تتكون من لواءين مدرعين ولواء مشاة ميكانيكي . وبذلك أصبحت القوات الاسرائيلية غرب القناة يوم ١٩ من أكتوبر تتكون من ثلاث مجموعات عمليات تضم سبعة ألوية مدرعة ولواء مشاة ميكانيكي ولواء مظلي بالاضافة الى عناصر الدعم ، أي أكثر من ٨٠٠ دبابة وثلاثين ألف مقاتل .

ولواجهة هذا الموقف ، فقد قررت القيادة العامة فيبها منتصف نهار ١٩ من أكتوبر سحب اللواء ١١٣ المشاة الميكانيكي من الفرقة السادسة المشاة الميكانيكية من قطاع بير عديب وتمركزه على النطاق الدفاعي الثاني للجيش الثالث ، على أن يحل محله فوج مشاة مغربي يوم ٢٠ من

— ١٢٨ —

أكتوبر . كما كانت الفرقة الثالثة المشاة الميكانيكية عدا لواء مشاة ميكانيكي ولواء مدرع بالإضافة الى اللواء ٣٥ المدرع عدا كتيبة ، ولواء مشاة سموداني وكتيبة مشاة كويتية ، وكتيبة دفاع اقليمي ، ووحدات فرعية مشككة من المنشآت التعاميمية قد احتلت منذ صباح ١٩ من أكتوبر المحيط الخارجي شرق القاهرة للدفاع عنها .

وفي الساعات الأولى من صباح ٢٠ من أكتوبر ، وصل اللواء ١٧٠ المظلي عدا كتيبة الى النطاق التعبوي للجيش الثاني واحتل قطاعا دفاعيا بيهمة حصر العدو ومنعه من الانتشار .

وعلى الرغم من وجود سبعة ألوية مدرعة اسرائيلية في شفرة الاختراق غرب القناة ، فضلا عن وجود ثلاثة ألوية مدرعة في الشرق ، فقد خصصت القيادة العامة للفرقة الرابعة المدرعة المدعمة بلواء مدرع من الحرس الجمهوري يوم ٢٠ من أكتوبر مهمة القيام بالضربة المضادة من الخط ام كتيب — والى العشرة في اتجاه الدفرسوار بمهمة تدمير العدو في شفرة الاختراق غرب القناة واستعادة الأوضاع الى ما كانت عليه ، وحددت وقت تمام الاستعداد ليكون الساعة السادسة من مساء يوم ٢٠ من أكتوبر . الا ان القيادة العامة فعلت خيرا بلغائها المهمة يوم ٢١ من أكتوبر حيث كان تنفيذها سوف يؤدي الى كارثة محققة .

[illegible]

— ١٣٠ —

محاولة الاسرائيليين الاستيلاء على الاسماعيلية والسويس :

تقدم القوات الاسرائيلية شمالا في اتجاه الاسماعيلية :

كانت المهمة الاساسية للقوات الاسرائيلية غرب القناة هي حصار الجيش الثانى والثالث ثم الضغط عليهما في مرحلة تالية من الشرق والغرب لاجبارهما على التسليم .

وقد كلفت مجموعة عمليات الجفرال شارون ، التى كانت صباح يوم ٢٠ أكتوبر تتكون من لواءين مدرعين ولواء مظلى ، بالاستيلاء على مدينة الاسماعيلية بهدف عزل الجيش الثانى عن قواعد امداده فى الدلتا والقاهرة تمهيدا لاستكمال حافة الحصار حوله .

واتحقيق تلك المهمة ، فقد قلمت الطائرات الاسرائيلية منذ صباح يوم ٢٠ من أكتوبر بغارات عنيفة على مدن الاسماعيلية وبورسعيد وبورفؤاد مركزة مجهودها الرئيسى على وسائل الدافع الجوى وبخاصة الصواريخ ثم مواقع القوات .

كانت القوات المصرية المدافعة عن الاسماعيلية تتكون من اللواء ١١٨ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكية ، واللواء ١٨٢ مظلى ، الذى احتلت كتيبة منه يوم ٢١ من أكتوبر موقع جبل مريم وهو آخر موقع يصلح للدفاع عن الاسماعيلية ، وكتيبتى صاعقة من المجموعة ١٣٩ صاعقة اللتين كلفتا بالقيام بأعمال الكمان على طرق تقدم العدو الى الاسماعيلية . وتعاون هذه القوات مدفعية الجيش الثانى الميدانى .

وفى صباح يوم ٢١ من أكتوبر استولت قوات شارون على تبة الشيخ حنيديق وأصبحت على بعد نحو عشرة كيلومترات من الاسماعيلية . وقد اضطرت تلك القوات — بسبب طبيعة الأرض الزراعية وأوضاع القوات المصرية — الى التقدم شمالا على الطريق الترابى شرق ترعة السويس وطريق المعاهدة ، الا أن القوات المدافعة بمعاونة نيران المدفعية الكثيفة نجحت في إيقاف تقدمها .

وفي صباح يوم ٢٢ من أكتوبر ركز العدو هجومه على مواقع قواتنا ومواقع سوارىخ الدفاع الجوى في نطاق الجيش الثانى التى أصبحت غير صالحة للعمل ، ثم تقدمت مفارز مختلطة من المشاة والدبابات على طريق المعاهدة والطريق الصحراوى ولكنها أجبرت على الانسحاب بتأثير نيران القوات المدافعة . وقد حاول العدو عند الظهر التقدم على طريق ترعة السويس وطريق المعاهدة ومحور نفيشة غير أن قوات الصاعقة أوقفت تقدمه وكبدته خسائر جسيمة .

جدد العدو الهجوم في نحو السادسة مساء على محورى ترعة السويس ونفيشة ولكنه فشل أيضا مما أجبره على إيقاف محاولاته مكتفيا بقصف مواقع الصاعقة بنيران المدفعية الى أن حل موعد وقف إطلاق النار في الساعة السادسة واثنين وخمسين دقيقة من مساء يوم ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٧٣ . وهكذا تحطمت أحلام العدو أمام الاسماعيلية .

تقدم القوات الاسرائيلية جنوبا في اتجاه السويس :

لم تستطع القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية أن تمد بصرها على طول جبهة القتال وظل تفكيرها محصورا في نطاق الجيش الثانى خلال أيام ١٦ ، ١٧ ، ١٨ أكتوبر . لذا لم تشرك بعض وحدات الجيش الثالث المتمركزة غرب القناة في الهجمات المضادة على العدو في ثفرة الاختراق بالدفرسوار . كما أنها لم تأمر قيادة الجيش الثالث — بعد فشل الهجوم المضاد يوم ١٨ من أكتوبر — باحتلال بعض قواتها للهيئات الهامة الحاكمة في نطاق الجيش غرب القناة ، اذ كان المتوقع ، بعد أن رسخ العدو أقدامه في الدفرسوار ، أن تتقدم قواته صوب السويس حيث الأرض صالحة لعمل المدرعات . كذلك فان قيادة الجيش الثالث ارتكبت خطأ جسيما عندما اعتقدت أن القتال الدائر في الدفرسوار يومى ١٧ ، ١٨ أكتوبر لا يعنيها في شيء ، فلم تقم بالتأمين الفعال للجانب الأيسر للجيش ، اذ لم ترسل سوى كتيبة مشاة ميكانيكية من اللواء السادس المشاة الميكانيكى الى منطقة كسفريت لهذا الغرض . كما لم تخصص بعض قواتها لاحتلال الهيئات الحاكمة في نطاق الجيش مما ادى الى سبق العدو الى اجتلالها

— ١٣٢ —

ثم المحاولات المصرية الفاشلة لاستردادها برغم الخسائر الكبيرة في الأسلحة والأفراد ، وتأثير ذلك على سير القتال .

كانت قوات الجيش الثالث غرب القناة صباح يوم ١٩ من أكتوبر تتألف من اللواء ١١٣ المشاة الميكانيكي من الفرقة السادسة المشاة الميكانيكية ، واللواء السادس المشاة الميكانيكي ، واللواء الثاني المدرع من الفرقة الرابعة المدرعة ، بينما كان العدو — غرب القناة — ثلاث مجموعات عمليات مدرعة ، خصص منها مجموعتا عمليات الجنرال آدان وكلمان ماجن للعمل على المحور الجنوبي في اتجاه السويس .

واعتباراً من صباح يوم ١٩ من أكتوبر اندفعت مجموعة عمليات الجنرال آدان جنوباً على طريق المعاهدة متفادية مراكز المقاومة المصرية ومستخدمة أساليب الحرب الخاطفة بهدف الاستيلاء على السويس في أسرع وقت ممكن . وفي اتجاه الغرب والجنوب كانت تتحرك مجموعة عمليات الجنرال ماجن لحماية الجنب الأيمن ومؤخرة مجموعة عمليات آدان بالانسافاة الى قطع الطريق رقم ١٢ — طريق القاهرة السويس الشمالي — ثم طريق القاهرة — السويس الرئيسي ، وبذلك يتم حصار مدينة السويس والجيش الثالث الميداني .

نجح لواء مدرع من مجموعة عمليات الجنرال آدان في الاستيلاء على مطار فايد ليلة ٢٠/١٩ أكتوبر مما مكن الاسرائيليين من انشاء رأس كوبرى على الضفة الغربية للقناة ، وفر امكانية الامداد والاختلاء . كما تمكن لواءان مدرعان من نفس المجموعة من الاستيلاء على جبال جنيفة صباح يوم ٢٠ من أكتوبر . ولأهمية هذا الجبل ، فقد كلف اللواء ١١٣ المشاة الميكانيكي المدعم بكتيبة دبابات باقحام بالهجوم المضاد عليه صباح يوم ٢٠ من أكتوبر الا أن الهجوم فشل تماماً .

وفي الصباح الباكر من يوم ٢٢ من أكتوبر علم الجنرال آدان ان وقف إطلاق النار سيجرى في نحو السادسة من مساء نفس اليوم ، لذلك فقد جمع الويته المدرعة الثلاثة واندفع بأقصى سرعة هادفاً الى الوصول الى جنوب البحر الميت على مسافة ٢٠ كيلو متراً من السويس ، غير أنه لم ينجح في

— ١٢٣ —

تحقيق هدفه عند حلول وقف إطلاق النار في الساعة السادسة واثنين وخمسين دقيقة من مساء يوم ٢٢ من أكتوبر بسبب عنف المقاومات المصرية .

أما مجموعة عمليات الجنرال ملجن فقد استولت على جبل غرة الذي يسيطر على الطريق رقم ١٢ وأصبحت قوة مدرعة منها على مسافة خمسة كيلومترات من طريق القاهرة — السويس الرئيسى عند علامة الكيلومتر ١٠٥ .

أدركت القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية خطورة الموقف . ولإعادة التوازن إلى النطاق التبعوى للجيش الثالث ، فقد أمرت قيادة الجيش بسحب اللواء الأول المشاة الميكانيكى وكتيبة دبابات من اللواء ٢٢ المدرع ، واللواء الثالث المدرع من الشرق إلى غرب القناة مساء يوم ١٩ أكتوبر . وقد عبرت هذه القوات القناة يوم ٢٠ من أكتوبر ، بيد أنها لم تمكن قائد الجيش الثالث من القيام بضربة مضادة لتدمير القوات المدرعة الاسرائيلية ، التى كان لها التفوق الساحق بالإضافة إلى التفوق الجوى الاسرائيلى .

وعلى كل حال ، فقد اتسعت الثغرة في فترة وجود كوسيجين بالقاهرة حيث كان يحاول اقناع السادات بوقف إطلاق النار ، غير أن الرئيس المصرى أصر على تمسكه بالشروط التى أعلنها في مجلس الشعب ومن بينها تحديد مدة زمنية لانسحاب إسرائيل .

فطن السادات يوم ١٩ من أكتوبر إلى خطورة الثغرة ، فلم يعد يستتر. تحديد فترة زمنية لانسحاب وقد أبدت إسرائيل في نفس اليوم استعداداً لوقف إطلاق النار دون حملات اذ كانت ترمى إلى كسب الوقت لتوسيع الثغرة والمساومة بالانسحاب من غرب القناة في مقابل انسحاب القوات المصرية من الشرق .

وعلى الرغم من اتفاق الأطراف المعنية والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة على وقف إطلاق النار يوم ١٩ من أكتوبر على أساس تطبيق القرار

— ١٣٤ —

رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ دون تحديد مدة زمنية للانسحاب ، فقد قام هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية بزيارة للاتحاد السوفيتي يوم ٢١ من أكتوبر بهدف التلحة الفرصة للاسرائيليين لتحسين اوضاعهم غرب القناة ، ومن ثم فقد تأخر قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الى يوم ٢٢ من أكتوبر .

وقد دعا هذا القرار الأطراف المعنية الى وقف اطلاق النار خلال ١٢ ساعة ، وبدء المفاوضات فوراً لتنفيذ القرار رقم ٢٤٢ بجميع اجزائه ، ثم الدخول في مفاوضات فورية بهدف تحقيق سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط .

وعند بدء سريان وقف اطلاق النار في السادسة واثنين وخمسين دقيقة من مساء يوم ٢٢ من أكتوبر كانت قوات العدو في الثغرة غرب القناة محصورة بين ترعة الاسماعيليه شمالاً والنطاق الدفاعي الثاني غرباً على امتداد من ١٥ — ٢٠ كيلومتراً غرب البحيرات المرة ، وتقاطع وصلة جنيفة مع طريق القاهرة السويس الشمالي (الطريق رقم ١٢) جنوباً بالإضافة الى قوة مدرعة اسرائيلية صغيرة تهدد بنيرانها طريق القاهرة — السويس الرئيسي عند علامة الكيلومتر ١٠٥ . غير ان القوات الاسرائيلية لم تكن تسيطر تماماً على تلك المنطقة لتدخلها مع مواقع القوات المصرية ، ومن ثم فقد أصبح كل من الجانبين يهدد خطوط مواصلات الجانب الآخر .

لم يكن في نية الاسرائيليين احترام قرار وقف اطلاق النار ، لذلك فقد ادعوا أن القوات المصرية انتهكتة . وفي نحو الساعة الحادية عشرة من مساء يوم ٢٢ من أكتوبر ، قام الاسرائيليون بدفع مجموعات صغيرة من المشاة الميكانيكية والدبابات عبر المسالك الجبلية والودقات في اتجاه الجنوب والغرب .

وفي صباح ٢٣ من أكتوبر تقدمت أربعة ألوية مدرعة اسرائيلية بقيادة الجنرالين ابراهيم آدان وكلمان ملجن جنوباً الى مدينة السويس ، وثبت لواء مدرع اسرائيلي الفرقة الرابعة المدرعة المصرية ، وانطلقت ثلاثة

الوية مدرعة وحاصرت مدينة السويس . وقد حاول العدو اقتحامها في يومى ٢٤ و ٢٥ أكتوبر ولكنه فشل تماماً بعد أن خسر أربعين دبابة وثلاث عشرة عربة مدرعة وعددا كبيرا من القتلى والجرحى .

ويعترف موسى ديان بالمحاولات الفاشلة للاستيلاء على مدينة السويس ويدخلها ضمن القصور الاسرائيلى فى العمليات الحربية ويبين تأثيرها على نهاية الحرب فيقول « أما الاخفاق فى الاستيلاء على مدينة السويس فقد اثر على نهاية الحرب ، فلو كان الاستيلاء على مدينة السويس قد تم لأدى ذلك الى استسلام الجيش الثالث المصرى على الرغم من التدخل الأمريكى » (١) .

كما دفع العدو يوم ٢٣ من أكتوبر بكتيبة دبابات وصلت الى ميناء الادبية الذى يقع جنوب السويس بنحو خمسة عشر كيلومترا وتمكنت من الاستيلاء عليه بعد معركة قصيرة مع الحامية البحرية ، كذلك استولت قوه اسرائيلية محمولة جوا على جبل عتاقة .

واعتبارا من منتصف ليلة ٢٤/٢٣ أكتوبر أصبحت مدينة السويس معزولة تماما عن الاراضى المصرية غرب القناة ، كما نجح العدو فى احكام حصاره للجيش الثالث شرق القناة بعد ان قطع طريق القاهرة - السويس الرئيسى عند علامة الكيلومتر ١٠١ ونجاحه فى السيطرة على ميناء الادبية بعد وصول بعض القطع البحرية الاسرائيلية اليها صباح ٢٤ من أكتوبر (٢) .

وفى مساء يوم ٢٤ من أكتوبر وجهت الاذاعة المصرية نداء الى المتطوعين من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بالقدوم الى مصر والاشتراك مع قواتها فى مواجهة العدوان الذى يتحدى القرارات الدولية ، وذلك بعد أن اكد مجلس الأمن - بالقرار رقم ٣٣٩ فى ٢٣ أكتوبر - وقف الطلاق النار والمودة الى خطوط ٢٢ من أكتوبر .

(١) موسى ديان - المصدر السابق ، ص ٦٧٩ .
 (٢) جمال حماد ، كيف خططت اسرائيل لاقتحام السويس ، مجلة أكتوبر ، العدد ٥٢٢ ، ٢٦ أكتوبر ١٩٨٦ ، ص ٣٧ .

— ١٣٦ —

وتد وافق الاتحاد السوفييتى على طلب مصر ارسال قوات سوفيتية وأمريكية الى الشرق الأوسط وهدد ليونيد بريجينيف فى رسالته الى الرئيس الأمريكى نيكسون بأنه فى حالة امتناع الولايات المتحدة عن ارسال قواتها ، فإن الاتحاد السوفييتى قد يضطر الى العمل منفردا ، وبناء على ذلك أعلن الرئيس الأمريكى حالة التأهب فى جميع القواعد العسكرية الأمريكية فى العالم . وقد شهد صباح الخميس ٢٥ من أكتوبر وصول القوتين العظميين الى حافة الحرب النووية بسبب خرق اسرائيل لقرارى وقف إطلاق النار .

وعلى الرغم من إعلان اسرائيل قبولها قرار وقف إطلاق النار الثانى ابتداء من الساعة التاسعة من صباح ٢٤ من أكتوبر فقد استمرت قواتها فى تدعيم موقفها غرب القناة حتى وصول قوات الطوارئ الدولية ظهر يوم ٢٨ من أكتوبر ١٩٧٣ .

وقد أخذ تغيير الأوضاع العسكرية على الجبهة المصرية يؤثر على المواقف السياسية المصرية ، إذ أصبح اهتمام القيادة السياسية المدروسة منصبا على إعادة القوات الانسحابية الى خطوط ٢٢ أكتوبر بدلا من إعادة هذه القوات الى خطوط ٥ يونيو ١٩٦٧ .

وقد شعر السادات — بعد حصار الجيش الثانى الميدانى — بحاجته الى معونة الولايات المتحدة الأمريكية للحفاظ على آلة الحرب المصرية التى أنجزت نصر أكتوبر العظيم ، فسعى الى التلذذ معها ، وبسبب خرجت الولايات المتحدة رابحة من حرب أكتوبر .

نتائج وآثار حرب أكتوبر ١٩٧٣ :

كانت حرب أكتوبر نقطة تحول بارزة فى تاريخ الشرق الأوسط أفضت الى نتائج هامة فى المجالات السياسية والاستراتيجية والعسكرية .

أولا - النتائج السياسية :

حققت الحرب هدفها الأساسى وهو فتح باب القضية وتحريكها سياسيا خاصة بعد أن اتهمت القوتان العظميان فى مؤتمر القمة الذى انعقد فى موسكو فى مايو ١٩٧٢ على فرض حالة من الاسترخاء العسكرى فى

منحلة الشرق الأوسط . ولقد تمخضت حرب أكتوبر عن متغيرات سياسية أساسية على المستويين العالمى والعربى وعلى الجانب الاسرائيلى .

فعلى المستوى العالمى ، تغيرت نظره العالم الى الصراع العربى الاسرائيلى فأصبحت تعى طبيعته كصراع بين وطن وأمة من جهة ومستعمرين استيطانيين تجمعهم حركة عنصرية من جهة أخرى . وعموما فقد هيات الحرب مناخا أفضل على المستوى الدولى للتطلع الى تسوية دائمة ، كما فرضت الحرب نفسها على أكبر المتغيرات الدولية وهو الومق حيث وصلت الازمة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى الى الذروة عندما شرعت الولايات المتحدة فى استخدام سياسة الابتزاز النووى حين ابدى الاتحاد السوفييتى فى الرابع والمشرين من أكتوبر ١٩٧٣ استعداداه لارسال متطوعين سوفييت الى الشرق الأوسط لفرض قرار وقف اطلاق النار الذى خرقتة اسرائيل .

ويعتقد الكثير من المراقبين أن الشقاق الذى وقع بين أمريكا وحلفائها فى غرب أوروبا يهد من أخطر النتائج التى أفرزتها حرب أكتوبر . وبدلا من أن يكون عام ١٩٧٣ هو « عام أوروبا » كما وصفه الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون أصبح عام الشقاق . وعلى أية حال ، فقد أدت حرب أكتوبر الى كسب أصدقاء أكثر للقضية العربية وعزلة اسرائيل واقتناع الرأى العام العالمى بأن للعرب مطالب عادلة . كما نتج عن حرب أكتوبر اطراد التضامن العربى الأفريقى اذ قامت عشرون دولة أفريقية بقطع علاقاتها باسرائيل ، وبرزت خطوات التعاون بين العرب والدول الأفريقية على المستوى الجماعى الى جانب المستوى الثنائى .

أما على المستوى العربى فيمكننا القول ان حرب أكتوبر حطمت حالة الركود ودعمت مركز الدول العربية ، وبرزت شخصية دولية عربية على المسرح العالمى ، وبدأت القومية العربية حقيقة واقعة . وكانت وحدة عسكرية وسياسية واقتصادية واعلامية انبثقت منها القوة الذاتية العربية . لقد قدمت حرب أكتوبر رؤية جديدة لمغزى التضامن العربى الذى برز لأول مرة فى تاريخ العرب المعاصر .

— ١٣٨ —

وعلى الجانب العسكري فقد دعت الدول العربية مصر على النحو التالي :

— الجزائر : سرب طائرات ميغ ٢١ ، ولواء مدرع من ١٣٠ دبابة (أثناء القتال) .

— السعودية : صفقة أسلحة لحساب مصر وسوريا ، أهمها سرب طائرات ميراج ٥ الفرنسية لمصر .

— ليبيا : سرب من طائرات الميراج ٣ الفرنسية ، ولواء مدرع .

— المغرب : فوج مشاة ، وصل بعد حدوث الثفرة .

— السودان : لواء مشاة ، وصل بعد حدوث الثفرة .

— العراق : سرب طائرات هوكر هنتر .

— الكويت : كتبة مشاة .

أما سوريا ، فقد دعمها العراق بفرقتين مدرعتين ، وثلاثة ألوية مشاة ، أي حوالى ٦٠ ألف مقاتل ، ٧٠٠ دبابة ، ولكن لم يشترك منها في القتال سوى لواءين مدرعين في أيام ١١ ، ١٢ ، ١٣ أكتوبر ، بالإضافة الى سربين من المقاتلات المتألفة سوخوى . ودعمها الأردن بلواءين مدرعين لم يشترك منها في القتال غير لواء مدرع واحد في نفس المدة السابقة ، والمغرب بكتيبتين مشاة اشتركت احدهما في اقتحام الخندق المضاد للدبابات وأبدت بسالة فائقة ، والسعودية بلواء مشاة ، والكويت بكتيبة مشاة ، وصلا بعد انتهاء الهجوم المضاد الاسرائيلي .

أما على الجانب الاقتصادي ، فقد قدمت البلاد العربية وبخاصة السعودية المعونات الاقتصادية الى مصر وسوريا . وقد بلغ ما قدمه العرب لمصر - حتى زيارة السادات لاقديس في نوفمبر ١٩٧٧ - نحو ١٢ مليار دولار . كما استخدم العرب النفط كسلاح سياسى ضد الدول التي ساندت أو أيدت اسرائيل .

ونتيجة لحرب أكتوبر ، فقد أصبحت القضية الفلسطينية جوهر مشكلة الشرق الأوسط ، كما أصبحت منظمة التحرير الفلسطينية - بناء

على قرارات مؤتمر القمة العربى السادس المنعقد فى الفترة من ٢٦ — ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٧٣ — الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى ، وعلى المستوى الدولى فقد أكدت منظمة الأمم المتحدة فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٧٣. على أن « ممارسة اللاجئين لحقهم فى العودة الى ديارهم واستعادة ممتلكاتهم تمثل عاملا ضروريا من أجل التوصل الى تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين ، ومن أجل تمكين الشعب الفلسطينى من ممارسة حقه فى تقرير مصيره » (١) .

أما بالنسبة لاسرائيل ، فقد اكتنفت الحياة السياسية فيها أزمة خائفة بسبب الصراعات والتصدعات الداخلية ، إلا أنها شرعت فى الاتجاه الى مزيد من التشدد والتطرف . وهكذا ، فان اتجاه اسرائيل السياسى بعد الحرب هو اتجاه العدوان . وفى إطار هذا الاتجاه السياسى العام ، فاننا نلاحظ ثبات الهدف الصهيونى قبل وبعد الحرب ، واعتمدت السياسة الاسرائيلية لتحقيق هذا الهدف على أسلوب المساومة فى محاولة للتكيف مع المتغيرات الجديدة ولضرب القيم الجديدة التى يطرحها العرب . وأصبحت أهداف السياسة الخارجية الاسرائيلية تنحصر أساسا فى محاولة الخروج من العزلة الدولية والوفاء فى وجه أية تحولات فى السياسة الأمريكية ازاء الصراع ، والعمل على اخفاق الحوار العربى الأوروبى ومحاولة التقارب مع الاتحاد السوفيتى ، والسمى الى هدم التضامن العربى وتخريب العلاقات بين الدول العربية ودول العالم الثالث .

كما انشغلت السياسة الاسرائيلية بمعالجة الهبوط فى هجرة اليهود الى اسرائيل وفى تزايد الهجرة المضادة منها .

ثانيا — النتائج الاستراتيجية :

أسقطت حرب أكتوبر ١٩٧٣ نظرية الأمن الاسرائيلى وأثبتت الحرب أن الأمن ليس بالأرض وأن السلام لا يفرض فرضا ، كما نسخت الحرب منطق

(١) جامعة الدول العربية : الادارة العامة لشئون فلسطين ، القضية الفلسطينية فى شهر ديسمبر سنة ١٩٧٤ ، ص ٣٨ .

— ١٤٠ —

القوة كمحور لنظرية الأمن الاسرائيلي ، واقتنعت اسرائيل بعدم جدوى وجودها العسكري في شرم الشيخ بعد فرض الحصار البحري على باب المندب . كذلك فان حرب أكتوبر قلبت ميزان القوة الاستراتيجي لصالح العرب ، وانتهت الأسطورة المتفوقة وأعادتها الى حجمها الطبيعي ، كما أثبتت الحرب بدء تحول التفوق العربي الكمي الى كفي . واثبتت أيضا أن الحروب المحلية الحديثة قاصره عن حسم المشاكل لتأثير القوى العظمى على تطور أحداثها ، وأن القوة العسكرية لا يمكنها وحدها أن تحسم القضايا المعقدة مثل الصراع العربي الاسرائيلي . فلحسم المشاكل الدولية لابد من تكامل العمل السياسي والسيل العسكري .

وقد اثبتت الحرب نجاح العرب في تضيق الفجوة التكنولوجية بينهم وبين اسرائيل وقدرتهم على تلبية مطالب استخدام الأسلحة الحديثة بكفاءة تامة . كما بدأ العالم يعيد حساباته وتقديراته على أساس الحقائق الاستراتيجية التي تمخضت عنها خبرة قتل حرب أكتوبر . وقد استثمر كل من حلف شمال الأطلسي وحلف وارسو نتائج هذه الحرب لمصلحتيها ، وأدى ذلك الى تعديل وتلويز بعض الحقائق الاستراتيجية وأساليب الاستخدام .

ثالثا : النتائج العسكرية :

تعتبر حرب أكتوبر حربا محليّة محدودة من حيث الأهداف والزمن والمساحة . وقد نجحت القوات المسلحة المصرية في تحدى نظرية الأمن الاسرائيلي حين اقتحمت قناة السويس ودمرت خط بارليف وكبدت العدو خسائر فادحة تحت ظروف غير مواتية له واجبرته على الانسحاب لأول مرة في تاريخه تحت ضغط الثوة العسكرية ، الا انها لم تحقق من الحرب غايتها الكبرى وهى تدمير قنارات العدو المسلحة وتدمير ارادة العدو .

وقد قبلت مصر وسوريا وقف إطلاق النار وقواتهما المسلحة قادرة على الاستمرار في القتال . ومن النتائج الملموسة ، نجاح القوات المسلحة المصرية في تحرير نحو ٥٠٠٠ كيلومتر مربع من الأراضي المحتلة في شبه جزيرة سيناء مؤثرة بذلك قاعدة هجومية وطيدة يمكن الانطلاق منها

— ١٤١ —

لاستكمال تحرير الأرض . كما حررت ناني مدن سيناء وهى القنطرة شرق، وسيطرت قواتنا البحرية على خطوط مواصلات العدو البحرية عبر باب المندب وقناة السويس .

وكانت حرب أكتوبر باهظة الثكاليف في القوة البشرية ، فعلى الجانب الاسرائيلي بلغ عدد القتلى ، طبقا للمصادر الاسرائيلية الرسمية، ٢٣٠٠ قتيل ، في حين قدرت وزارة الدفاع الأمريكية الخسائر البشرية الاسرائيلية بـ ٤٥٠٠ قتيل ، والمصادر البريطانية العسكرية بـ ٥٦٠٠ قتيل ، والمصادر الفرنسية العسكرية بـ ٦٨٠٠ قتيل ، بينما ارتفعت المصادر العسكرية السوفيتية بالرقم الى عشرة آلاف قتيل .

وقد قدرت المصادر العسكرية العالية الخسائر البشرية المصرية بنحو خمسة آلاف شهيد . أما الخسائر المادية الاسرائيلية فتتراوح بين ١٥٠ ، ١٨٠ طائرة قتال ، و ٩٠٠ — ١٠٠٠ دبابة على الجبهتين المصرية والسورية ، في حين قدرت المصادر الأجنبية خسائر مصر في الطائرات بنحو ١٠٠ — ١١٠ طائرة قتال ، وفي الدبابات بنحو ٨٠٠ — ٩٠٠ دبابة . وقد اكدت خسائر اسرائيل في حرب أكتوبر مدى تعرضها عسكريا ، وكشفت عن حاجتها الى امداد ضخيم من الأسلحة والمعدات أثناء القتال . كما اثبتت حرب أكتوبر الروح القتالية العالية الكامنة في الجندي العربي ، واكدت قدرته على استيعاب الأسلحة الحديثة المعقدة ، بينما اهتزت الصورة العسكرية المشرقة التي كانت تتمتع بها اسرائيل في المجتمع الدولي .

الآثار الاقتصادية لحرب أكتوبر ١٩٧٣ :

آثار حرب أكتوبر على الاقتصاد المصري :

قدرت متطلبات الدفاع والأمن القومي وما ارتبط بها من خسائر في حربى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ بحوالى ١٦١ مليار ١٦٠ مليون جنيه مصرى طبقا للحصص النهائية للجنة العامة لتعويضات الحرب التي شكلت تنفيذا للقرار الجمهوري رقم ٥٧٥ لسنة ١٩٧٣ . ولو أننا استثمرنا هذا المبلغ في

- ١٤٢ -

الاقتصاد المصرى لأمكننا مضاعفة حجم الدخل القومى خلال فترة من ١٩٦٧ الى ١٩٧٥ على أساس تقدير معدل رأس المال الى الدخل ٣ : ١ .
وقد أبرزت الخطة الخمسية ١٩٧٨ - ١٩٨٢ مدى الخلل الذى أصاب الاقتصاد القومى بما أوردته من عجز فى الموازنة القومية نتيجة ما أصاب المجتمع خلال سنوات الحرب السابقة .

فقد بلغ العجز القومى عام ١٩٧٤ مبلغ ٦١٧ مليون جنيه ، ازداد الى ٩٧٢ مليون جنيه عام ١٩٧٥ ، ثم الى ٨٩١ مليون جنيه عام ١٩٧٦ . فإذا أضفنا اليه صافي الالتزامات الدولية المستحقة والمدفوعة لأصبح اجمالى العجز المطلوب مواجهته هو ٩٠٣ ، ١٣١٤ ، ١٣٥١ مليون جنيه لنفس السنوات السابقة على التوالى (١) .

وقد كان أحد الأساليب الرئيسية فى ازدياد العجز القومى هو تعثر جهود التقنية نتيجة اتجاه الموارد نحو الانفاق العسكرية على حساب الاستثمارات المدنية ، فقد بلغ الانفاق الاستثمارى الى ما بين ١٠ الى ١٢٪ .

ولقد نقصت الموارد التى يمكن توجيهها الى التنمية بسبب تزايد نسبة الانفاق الاستهلاكى العام علما باثر عام ، فبينما كان حجم الاستهلاك النهائى يمثل ٨٥٪ من اجمالى الناتج المحلى عام ٦٠/٦١ أصبح يمثل ٩٢٪ من هذا الاجمالى عام ١٩٧٤ ، كما تزايدت نسبة الاستهلاك العام من ١٧٪ عام ٦٠/٦١ الى ٢٧٪ عام ١٩٧٤ .

وفى عام ١٩٧٤/٧٣ ، بلغ عجز الموازنة العامة ٢٥٥٤ مليون جنيه ، الذى قفز فى عام ١٩٧٤ ليصبح ٥٩٦٣ مليون جنيه ، كما تزايد حجم الدين العام من ٩٢٩٩ عام ١٩٧٤/٧٣ الى ١٠٧٧٢ مليون جنيه عام ١٩٧٤ .

(١) المصدر : خطة ١٩٧٨ - ١٩٨٢ ، المجلد الأول من ص ١ - ٤ .

— ١٤٣ —

كذلك حدث تطور كبير في عجز الميزان التجارى وميزان المدفوعات مما أسهم في زيادة مديونية مصر الخارجية وازدحام من الأعباء على الاقتصاد المصرى . ذلك أن حصيلة صادراتنا لم تكن تكفى تمويل الواردات وأن عجز الميزان التجارى ازداد من ١٧١١ مليون جنيه عام ١٩٧١ الى ١٠٧٨٣ مليون جنيه عام ١٩٧٥ ، كما أن رصيد المعاملات الجارية قد سجل أيضا عجزا بلغ ٩٦٨٦ مليون جنيه مصرى في نفس العام (١) .

لقد أدى العجز المتتالى في المعاملات الجارية مع العالم الخارجى الى زيادة حجم الديون المصرية زيادة كبيرة ، وقد قدرت ديون مصر الخارجية في بداية عام ١٩٧٦ بمقدار ١٢ بليون دولار . وتكمن خطورة هذا الدين ، الذى يزيد على الناتج القومى لمصر خلال عام بأكمله ، في حجمه ونوعيته وقصر أجله وفترة سدادته وارتفاع شروطه ، إذ استوعب الوفاء بأقساط هذا الدين وفوائده كافة الموارد الاستثنائية التى حصلت عليها مصر خلال عام ١٩٧٥ وزاد عليها كثيرا في عام ١٩٧٦ . وقد ترتب على نمو الديون الخارجية بمعدلات كبيرة أن وصل معدل خدمة الديون الى ٣٥٪ في عام ١٩٧٣ ، ويعتبر أعلى معدل سجلته الإحصاءات الدولية في تلك الفترة .

ومن هنا ننتهى الى أن آثار حرب أكتوبر على الاقتصاد المصرى أدت الى زيادة العجز القومى وخفض معدلات النمو . وقد لجأت الحكومة الى الأحداث عجز في ميزانيتها والاستدانة من البنوك وزيادة الاصدار النقدى مما أفضى الى موجة من التضخم . وعندما حاولت الحكومة تلبية احتياجات المجتمع ازداد العجز في الميزان التجارى وميزان المدفوعات وترتب على ذلك زيادة كبيرة في الدين الخارجى وفوائده أثقلت الاقتصاد المصرى هذا بالإضافة الى الأثر المباشر لما أحدثته الحرب من خسائر وتعويضات .

(١) المصدر : التقرير السنوى للبنك المركزى المصرى لعام ١٩٧٥ ،

— ١٤٤ —

آثار حرب أكتوبر على الاقتصاد الإسرائيلي :

يتميز الاقتصاد الاسرائيلي بعدة خصائص اهمها أنه يعتمد بصورة أساسية على تدفق رأس المال الأجنبي ، وأنه اقتصاد عسكري بمعنى أنه يتم تخطيط الاقتصاد الاسرائيلي كله من أجل الحرب ، وأنه يعتمد على الهجرة في تمويل قواه البشرية .

وبينما كانت آثار الحروب الثلاثة الأولى على الاقتصاد الاسرائيلي ايجابية الى حد بعيد ، كانت آثار حرب أكتوبر ١٩٧٣ على الاقتصاد الاسرائيلي سلبية الى مدى بعيد .

وقد اجتمعت عدة عوامل في حرب أكتوبر ١٩٧٣ لتؤثر تأثيرا كبيرا على الاقتصاد الاسرائيلي ، اهمها : ضخامة النفقات العسكرية ، ونقص قوة العمل الاسرائيلية نتيجة التعبئة العامة ، وانخفاض انتاج المؤسسات الاسرائيلية ، ونقص الحصار على باب المندب ، والحد من الاقتصاد الامريتي ، واسترداد حقول البترول في سيناء .

وحتى نتبين مدى ضخامة النفقات العسكرية نستعرض بما اعانته بنحاس سابير وزير المالية الاسرائيلي آنذاك — حين قال ان بلاده انفقت خلال الأيام الستة الأولى من حرب أكتوبر ١٩٧٣ ما يزيد على ١٩٢٠ مليون دولار ، وأن ساعة القتال الواحدة كلفت اسرائيل ما يزيد على عشرة ملايين من الدولارات . كما جاء في تحقيق أجرته جريدة ايموند الفرنسية عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ ما نصه « ان الحرب التي تخوضها اسرائيل على جبهتين تكلفها نحو مائتين وخمسة مائة مليون ليرة اسرائيلية في اليوم الواحد ، ولقد وصل رقم الميزانية للسنة المالية الحالية (١٩٧٣) الى ٢٠ مليار ليرة ، ويكفي هذان الرقمان لتكوين فكرة عن الأعباء الضخمة التي تفرضها هذه الحرب على اسرائيل » .

أما فرض الحصار البحري على باب المندب فقد هدد بوقف تدفق البترول من ايران ، وهدوث نقص كبير في انتاج مناجم النحاس التي تقع

على مقربة من ميناء ايلات ، وقد نجم عن ذلك توقف النشاط الاقتصادي في مدينة ايلات وميناء ايلات وانتشار البطالة فيهما .

ومما أدى الى تفكك الازمة الاقتصادية الاسرائيلية صدور قرار المجلس الوزاري لمنظمة الوحدة الافريقية (التي تضم ٤٢ دولة) بفرض حظر اقتصادي شامل على اسرائيل حتى تمتثل الى قرارات الأمم المتحدة بالامسحاب غير المشروط من جميع الأراضي العربية المحتلة .

لقد أحدثت كل تلك العوامل آثارا سيئة على الاقتصاد الاسرائيلي ، وقد انسحبت هذه الآثار على كافة النشاطات المختلفة له .

فبينما ازداد الناتج القومي الاجمالي خلال عام ١٩٧٢ بنسبة ١.٢٪ ، فاننا نجده ينخفض عام ١٩٧٣ بحوالي ٢ مليار ليرة عما كان مستهدفا ، ويبلغ معدل النمو ٣.٦٪ فقط . اما بالنسبة لعام ١٩٧٤ ، فان معدل نمو الناتج القومي الاجمالي لم يزد على ٤.٤٪ . وسبب ذلك هو عدم كفاية الاستثمارات حيث انخفضت بنسبة ١.٥٪ عن مستواها عام ١٩٧٣ .

واسهل الصورة تتضح اثر على ضوء التقرير الذي أعدته هيئة التخطيط الاقتصادي لمجلس الوزراء الاسرائيلي عن الفترة من عام ١٩٧٦ الي عام ١٩٨٠ . فقد ابرز هذا التقرير أن الخطر الحقيقي الذي يهدد الاقتصاد الاسرائيلي هو حدوث ركود اقتصادي بسبب ارتفاع معدلات البطالة . وتنبأت هيئة التخطيط أن تصل معدلات البطالة الى ٥٪ خلال عام ١٩٧٦ ، ثم ٦٪ خلال عام ١٩٧٧ ، مع عدم توقع أية زيادة في الاستهلاك حتى عام ١٩٨٠ .

اما عن ميزان المدفوعات ، فعلى الرغم من أن الحكومة الاسرائيلية اجرت تخفيضات عديدة في قيمة الليرة منذ حرب اكتوبر ، فقد اتجه العجز في ميزان المدفوعات نحو التزايد . ففي عام ١٩٧٢ كان العجز في ميزان المدفوعات ١١ مليار دولار ، ارتفع الى ٢٤ مليار دولار عام ١٩٧٣ ، ثم قفز الى ٣٤ مليار دولار عام ١٩٧٤ (١) ، واستمر في التصاعد ليصل عام ١٩٧٥ الى ٤٠ مليار دولار تقريبا . ويرجع هذا التدهور المتزايد الى

عدة اسباب نتجت عن حرب أكتوبر أهمها زيادة النفقات العسكرية ، وزيادة الواردات من السلع لتعويض النقص في الانتاج الذى ترتب على التعبئة العامة . واضطرت الحكومة الاسرائيلية الى رفع أسعار بعض الضرائب القائمة وفرض أنواع جديدة من الضرائب . وقد أفضى ذلك الى زيادة العبء الضريبي على المواطنين ، واصبحت اسرائيل تحتل المركز الأول بين دول العالم من حيث العبء الضريبي . وقد تسببت حرب أكتوبر أيضا في تدهور أوضاع الهجرة الى اسرائيل .

وتدل الاحصاءات على أن عام ١٩٧٤ ، شهد انخفاضا في الهجرة اليها بنسبة ٤٠ بالمائة مقارنة بعام ١٩٧٣ . كما اذاعت الوكالة اليهودية تقريرا عن حركة الهجرة الى اسرائيل تضمن انخفاضا عدد المهاجرين اليها من ٥٦.٠٠٠ عام ١٩٧٢ الى ٣٢.٠٠٠ عام ١٩٧٤ . أما عن الهجرة المضادة من اسرائيل الى الخارج ، فقد بين احصاء أجرته دوائر الهجرة في اسرائيل أن ٢٧ بالمائة من المهاجرين السوفييت في سنة ١٩٧٤ قد فضلوا الهجرة الى بلاد أخرى على التوجه الى اسرائيل .

كما أصبحت صناعة البناء — وهى صناعة رئيسية وحيوية في اسرائيل — يتوقف شبه كامل خلال حرب أكتوبر ولعدة أشهر بعد الحرب ، وذلك لعدم توافر الوسائل اللازمة لنقل العمال ومواد البناء لاستيلاء الجيش الاسرائيلى على معظم وسائل النقل ، ولتوقف العمال العرب عن العمل ، ثم لتجنيد العمال العرب .

وقد منيت السياحة — وهى مصدر رئيسى للنقد الأجنبى في اسرائيل — بخسائر فادحة . ويؤكد هذه الحقيقة ، مدير عام السياحة في اسرائيل خلال شهر نوفمبر سنر ١٩٧٣ : « لقد فقدنا ٥٠.٠٠٠ سائح خلال شهر أكتوبر وحده ، وهذا يعنى أننا خسرنا ٢٠ مليون دولار من العملات الأجنبية » (٢) . وكان من أثر حرب أكتوبر ارتفاع معدلات التضخم في

(١) Israeli Economist, March 1974, March - April 1975.

(٢) News Week, 15 - 11 - 1973.

— ١٤٧ —

اسرائيل ، ففى سنة ١٩٧٤ بلغ معدل ارتفاع الاسعار بنسبة ٣٩ بالمائة ، وفى سنة ١٩٧٦ ، بلغت نسبة التضخم حوالى ٤٢ بالمائة . وقد ساعد هذا التضخم على زيادة العجز فى ميزان المدفوعات .

استخدام النفط كسلاح سياسى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ :

حاول العرب مرتين استخدام بترولهم كسلاح سياسى قبل سنة ١٩٧٣ ، الا أن المحاولتين أخفقتا فى تحقيق النتائج المرجوة على الرغم من الاضطرابات التى أحدثتها فى عالم النفط .

وقد وقعت المحاولة الاولى فى اعقاب العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، وقد اتسمت بالعنف كنسف محطات ضخ البترول فى سوريا وتدمير أنابيب النفط فى البحرين . فى حين كانت المحاولة الثانية عندما فرضت عدة دول عربية منتهجة للبترول حظرا على امدادات النفط الى الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية فور انتهاء حرب يونيو ١٩٦٧ .

ويرجع الخفاق حظز البترول الذى فرضته بعض الدول العربية الى عدة اسباب ، من بينها أن الولايات المتحدة — الهدف الأول لاسلح النفط العربى — كانت فى مأمن من الخطر ، لأنها كانت حينذاك تتمتع تماما باكتفاء ذاتى . كما أن شركات البترول العالمية بذلت جهودا ضخمة لتعويض النقص فى امدادات النفط العربى الى الدول المفروض عايها الخطر من مصادر أخرى على الرغم من إغلاق قناة السويس . كذلك فقد أدى عدم تحديد الدول العربية النفطية الحد الأقصى من الانتاج الذى لا يسمح بتجاوزه الى عدم وجود نقص حقيقى فى النفط .

وفى ما بين عامى ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ لم تهدأ ضجة العرب لاستخدام النفط كأداة سياسية فى الصراع العربى الاسرائيلى . وكانت أول مبادرة جادة فى هذا السبيل ، هى المبادرة السعودية فى أبريل ١٩٧٣ ، وذلك عندما أرسل الملك فيصل وزير البترول السعودى أحمد زكى يمانى الى واشنطن حاملا رسالة فحواها « لان العربية السعودية لن تزيد انتاجها الحالي من النفط اذا لم تغير الولايات المتحدة موقفها الانحاز الى اسرائيل » .

— ١٤٨ —

ولا ريب أن قرار المملكة العربية السعودية وضع بترولها في خدمة قضايا العرب القومية كان علما رئيسيا في توحيد الاتجاهات والمواقف العربية من قضية استخدام النفط كسلاح سياسي .

وعندما نشبت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، بادرت الكويت الى الدعوة الى عقد مؤتمر للدول العربية المنفجة للبترول لتقرير أفضل استخدام للنفط العربي في خدمة حرب التحرير التي يخوضها العرب . وبعد اجتماع دام يوما واحدا حضره وزراء بترول السعودية ، والكويت ، والعراق ، وليبيا ، والجزائر ، ومصر ، وسوريا ، وابوظبي ، والبحرين ، وقطر ، وافق الجميع فيما عدا العراق يوم ١٧ أكتوبر على خفض الانتاج العربي من النفط بنسبة ٥٪ مقارنة بالانتاج سبتمبر ١٩٧٣ ، ثم يزداد التخفيض ٥٪ شهريا حتى يتم الجلاء التام للقوات الاسرائيلية عن كل الاراضي العربية المحتلة خلال حرب يونيو ١٩٦٧ واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . كما تقرر استثناء البلاد التي تساند العرب والتي تتخذ اجراءات حازمة ضد اسرائيل لاجبارها على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة من التخفيض ، والاستمرار في امدادها بكامل نصيبها بالمعدل السائد قبل التخفيض .

وقد اعانت المملكة العربية السعودية في ١٩ أكتوبر قرارها بتخفيض انتاج النفط بمقدار ١٠٪ بدلا من الحد الأدنى المشروط وهو ٥٪ ، ولكن دون حظر شحنات النفط الى الولايات المتحدة كما فعلت البلاد العربية الأخرى التي فرضت الحظر على الدول المعادية للعرب .

بيد أن هذا الموقف الودى الذى أبدته السعودية حيال الولايات المتحدة لم يلق آذانا صاغية . ففي ١٩ أكتوبر أعلن الرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون أنه طلب تخصيص مبلغ ٢٢٠٠ مليون دولار كمساعدة عسكرية لاسرائيل .

وقد جاء رد السعودية سريعا ، فقد أعلنت في ٢٠ أكتوبر أنه « بالنظر الى زيادة المعونة العسكرية الأمريكية لاسرائيل ، فقد قررت المملكة العربية

السعودية ايقاف كل صادرات النفط الى الولايات المتحدة » وفي خلال بضعة أيام خفضت الدول العربية المعنية انتاجها من النفط ما بين ٥ ، ١٠ ٪ ، كما فرضت حظرا كائيا على شحنات البترول الى الولايات المتحدة وهولندا .

وجدى بالذكر انه عند تنظيم اجراءات تخفيض انتاج البترول في اكتوبر ١٩٧٣ ، روى التمييز بين نوعين من الدول : دول غزيرة الانتاج ، ولكنها قليلة السكان وليس لها مشروعات تنمية تستوعب كل الدخل ، وهذه الدول تخفض انتاجها بالاضافة الى حظر التصدير للدول المعادية للعرب . ودول اخرى غزيرة الانتاج وكثيفة السكان ولديها مشروعات تنمية كبرى ، وتستطيع هذه الدول ان تحافظ على مستوى الانتاج ، غير انها تختار عملاءها من بين الدول الصديقة او المحايدة . وقد اعتبرت المملكة العربية السعودية حالة وسطا بين النوعين .

وفي الاجتماع الثانى لوزراء النفط العرب في الكويت يومى ٤ ، ٥ نوفمبر ، تقرر تخفيض انتاج النفط العربى الى ٢٥ ٪ بالنسبة لانتاج سبتمبر ١٩٧٣ ، كما تقرر اثناء الاجتماع تخفيضاً آخر في ديسمبر بنسبة ٥ ٪ من انتاج نوفمبر شريطة الا يؤثر مثل ذلك التخفيض على نصيب أية دولة صديقة كانت تستورد النفط من الدول العربية خلال التسعة أشهر الاولى من عام ١٩٧٣ .

وقد كان الخطر الاساسى الذى طبق في اول نوفمبر موجهها ضد الولايات المتحدة الامريكية وهولندا كما بذلت الجهود لمنع شحنات النفط الخام ومنتجات البترول العربى عن الجهات التى تعيد شحن النفط الى الولايات المتحدة او تقوم بتكرير البترول الخام من أجل بيعه في اسواق الولايات المتحدة او تزويد الوحدات العسكرية او البحرية الامريكية خارج الولايات المتحدة به في شكل منتجات بترولية .

وفي مؤتمر القمة العربى السادس الذى انعقد في الجزائر فيما بين ٢٦ - ٢٨ نوفمبر ١٩٧٣ ، تم التأكيد على أن حظر النفط العربى وتخفيض

ملحق ١٥

انتاجه سوف يستمر الى ان تنسحب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة ويستعيد الشعب الفلسطينى حقوقه القومية .

غير ان وزراء النفط العرب فى اجتماعهم فى الكويت يومى ٢٤ ، ٢٥ ديسمبر ١٩٧٣ ، قرروا رفع مستوى انتاج البترول العربى بنسبة ١٠٪ اعتبارا من اول يناير ١٩٧٤ . وبذلك أصبح خفض العلم فى الانتاج بنسبة ١٥٪ مقدرا على اساس مستوى انتاج سبتمبر ١٩٧٣ .

ان القرار الذى اتخذته الدول العربية المصدرة للبترول بخفض الانتاج وحظه بالنسبة لبعض الدول قد اثار الفزع فى أوروبا الغربية والولايات المتحدة واليابان ، التى تستهلك ٧٨٪ من صادرات البترول العربى . كما ان قرار رفع اسعار النفط الذى انفردت به الدول العربية المصدرة لأول مرة قد احدث هزة عنيفة فى تلك الدول . كذلك اثبت هذا القرار وجود خطورة حقيقية على قدرات حلف الاطلنطى العسكرية حيث ان موارده الاساسية من البترول تأتى من العلم العربى .

وقد ادى الاستخدام غير المتساوى لسلح النفط بين الدول الأوروبية الى تهديد الترابط بين الدول الأوروبية فبينما استمرت صادرات البترول العربى الى بريطانيا وفرنسا بنفس المعدل الذى كان سائدا قبل حرب اكتوبر ، فقد فرض على هولندا حظر كلى . كما ان الدول الأوروبية الأخرى عانت بدرجات متفاوتة نتائج خفض غير المتساوى فى وارداتها البترولية .

وغنى عن القول ان استخدام سلح النفط شكل تهديدا للأمن الداخلى والاستقرار السيسى والاقتصادى للدول الأوروبية .

وقد وصف هنرى كيسنجر هذا التهديد بقوله انه «اتاح» ارضا خصبة للصراع الاجتماعى والفوضى السياسية ، ومن ثم فان الحكومات المعتدلة والحلول المعقولة للمشكلات سوف تقع تحت وطأة هجوم قاس . فالمجتمعات الديمقراطية سوف تصبح ممرضة للضغوط المتطرفة من اليسار واليمين لدرجة لم يتم تجربتها منذ العشرينات والثلاثينات .

كان من المفروض أن تستمر إجراءات التخفيض والحظر طالما أن إسرائيل لم تنفذ قرارات مجلس الأمن وطالما أن الولايات المتحدة لم تتراجع عن مساندة إسرائيل . غير أن أنور السادات أفسد الأمر كله . وقد اتضح ذلك في مذكرات الرئيس الأمريكي نيكسون ، ففي ديسمبر ١٩٧٣ كتب كيسنجر إلى نيكسون تقريراً يقول فيه : « لقد وعدني الرئيس السادات بأنه سوف يسهل لرفع الحظر النفطي في غضون النصف الأول من شهر يناير ١٩٧٤ ، وأنه سوف يدعو إلى رفع الحظر في بيان يشيد فيه بدور الشخص في جلب الأطراف إلى مائدة المفاوضات وإيجاد التقدم فيما بعد » (١) . وقد اتبع ذلك نيكسون برسالة إلى السادات في الثامن والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٧٣ ، جاء فيها « من واجبي أن أقول لك بمنتهى الصراحة أن من الضروري أن يرفع حظر النفط والفيود على إنتاج النفط ضد الولايات المتحدة فوراً ، ولا يمكن أن ينتظر هذا الأمر نتيجة المحادثات الجارية بشأن فك الارتباط » .

ويقول نيكسون أن السادات بعث إليه برسالة جاء فيها « سوف أرفع الحظر ، سارفعه من أجل الرئيس نيكسون » (٢) . وقد ذكر السادات في كتابه البحث عن الذات أنه قرر « رفع الحظر عندما علمنا أن هذا الحظر قد بدأ يمس مصالح الشعب الأمريكي » . كذلك فقد طلب السادات إلى الملك فيصل — بعد ثلاثة أشهر من وقف القتال — إلغاء إجراءات الحظر معتقداً أن ذلك من شأنه أن يشبث للأمريكيين حسن نية وقدرة على التأثير . ولكن الماهل السعودي علق إلغاء الحظر على التوصل إلى اتفاق لفك الاشتباك على الجبهة السورية مثلما حدث على الجبهة المصرية . وقد فقدت الدول العربية المصدرة للنفط حماسها لإجراءات الحظر بعد تحول السادات . وفي مارس ١٩٧٤ ، اتخذ مؤتمر وزراء النفط العرب قراراً بإنهاء إجراءات الحظر .

Nixon Memoirs, P. 986.

(١)

Ibid. P. 987.

(٢)

— ١٥٢ —

غير أنه من المؤكد أن قرارات الحظر التي اتخذتها منظمة الدول العربية المصدرة للنفط قد أثبتت أكلها الاقتصادية وأحدثت آثارا بعيدة المدى ليس بالنسبة إلى الولايات المتحدة فحسب ، بل أيضا بالنسبة إلى المسرح السياسي ككل . وقد اعتبر كيسنجر هذه الإجراءات هجوما على الشريان الاقتصادي للولايات المتحدة ذاتها . وكان من جراء ذلك أن بدأ الغرب ينتبه إلى حقيقة لم تكن في حسبه ، هي أن النفط العربي لن يظل محايدا سياسيا في مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي .

وقد أخذت دول أوروبا الغربية واليابان تعيد النظر في مواقفها من القضية الفلسطينية على ضوء مصالحها الاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط . وقد واكب هذا الموقف بدء تلك الدول شن حملة على الولايات المتحدة تحلها فيها مسئولية نشوب الحرب وقرارات الحظر والخفض التي اتخذتها الدول العربية المصدرة للنفط .

وعلى الجانب العربي ، فقد كانت النتيجة الوحيدة الملموسة التي تحققت قبل رفع الحظر هي عملية فصل القوات على الجبهة المصرية . ولا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا أنها نتيجة ضعيفة بالقياس إلى الأهداف التي رسمها قرار الحظر نفسه ، والتي توخت استمرار الحظر حتى يتم الجلاء الإسرائيلي الكامل عن الأراضي العربية المحتلة واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . ويرجع ذلك إلى التقصير في استئثار نتائج حرب أكتوبر .

أما عن تأثير القرار على الولايات المتحدة ذاتها ، فنجد أنه لم يحقق الغاية المرجوة منه وهي تقليص علاقاتها بإسرائيل ، بل أننا نلاحظ العكس تماما ، فقد ازداد الدعم الأمريكي لإسرائيل بصورة لم تحدث من ذي قبل ، كما أطرر التأييد الأمريكي لمختلف المواقف الإسرائيلية في المنطقة . بل والأعجب من ذلك ، اغتناع الولايات المتحدة الكامل بأن إسرائيل هي حلينها الحقيقيين الوحيد في منطقة الشرق الأوسط .

ومع اطراد حاجة الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية الى البترول العربى ، يزداد شعور البلاد العربية المصدرة للبترول بإمكانية التدخل العسكرى الأمريكى المباشر للحصول على النفط . وقد أدى هذا بدوره الى تزايد الحذر من جانب هذه الدول فى استخدام النفط لأغراض سياسية تتصادم مع السياسة الأمريكية .

يتضح مما سبق أن النفط العربى حقق نجاحاً ضئيلاً فى المعركة ، وجاء استخدامه كسلاح سياسى دون التطلعات العربية ، ومرد ذلك الى حالة التفكك العربى والتناقض بين الدول العربية التى شلت القدرة العربية على استخدام هذا السلاح استخدامها ذاتياً فضلاً .

الفصل الرابع

محاوت الحل

فض الاشتباك الأول على الجبهة المصرية :

١ - اتفاق النقاط الست :

وفي ٦ نوفمبر سنة ١٩٧٣ قلم هنرى كيسنجر بزيارة مصر بهدف تحقيق استقرار وقف إطلاق النار وإزالة التهديد ببدء جولة جديدة وطمعية ذيول الحرب ، وقد عقد عدة اجتماعات مع أنور السادات ، وكان المقلب الملح والعاجل لسادات هو فك حصار الجيش الثالث الميداني ، وذلك في مقابل رفع الحصار البحري عن باب المندب ، إلا أن كيسنجر اقترح تخفيضاً متبادلاً للقوات المصرية والإسرائيلية على جانبي القناة ، وهو ما رفضه السادات ، الذي قدم مشروعاً تمهيدياً يقوم على إطلاق مصر سراح الأسرى الإسرائيليين ورفع الحصار عن باب المندب في مقابل انسحاب إسرائيل إلى خط يمتد من العريش شمالاً إلى رأس محمد جنوباً ، وعندئذ تبدأ مصر في تطهير القناة وإعدادها للملاحة الدولية .

بيد أن كيسنجر فضل سياسة الخطوات خطوة ، مبتدئاً بتبادل الأسرى في مقابل فتح الطريق أمام الإمدادات غير العسكرية للجيش الثالث . وقد أنجذب السادات إلى المباحثات العسكرية البحتة مرجحاً موضوع الانسحاب إلى ما بعد عقد مؤتمر السلام في جنيف .

وقد أسفرت مباحثات كيسنجر في القاهرة عن التوصل إلى اتفاق من ست نقاط لتنفيذ قرارات مجلس الأمن ، وقد نص الاتفاق على ما يلي :

(أ) ، توافق مصر وإسرائيل على الاحترام الدقيق لوقف إطلاق النار .

(ب) يوافق الطرفان على مناقشة موضوع العودة إلى مواقع ٢٢ أكتوبر فوراً في إطار الموافقة على فصل بين القوات المتحاربة وذلك تحت إشراف الأمم المتحدة .

(ج) تتلقى مدينة السويس يوميا امدادات من الغذاء والماء والدواء ، ويتم نرحيل جميع الجرحى المدنيين من مدينة السويس .

(د) يجب الا تكون هناك أية عقبات أمام وصول الامدادات غير العسكرية الى الضفة الشرقية .

(هـ) تستبدل نقط مراقبة من الأمم المتحدة بنقط المراقبة الاسرائيلية على طريق القاهرة — السويس ، وفي نهاية طريق السويس يمكن لضباط اسرائيليين الاشتراك مع الأمم المتحدة في الاشراف على الامدادات التي تصل القناة والتأكد من أنها ذات طبيعة غير عسكرية .

(و) بمجرد تولى الأمم المتحدة نقاط المراقبة على طريق القاهرة — السويس ، يتم تبادل جميع الأسرى بما فيهم الجرحى .

ويسد هذا الاتفاق خطوة نحو تنفيذ الفقرة الثالثة من قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ التي تنص على بدء المفاوضات فوراً وفي وقت واحد مع وقف إطلاق النار بهدف إقامة سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط .

٢ — مباحثات الكيلومتر ١٠١ :

بعد أن تم التوقيع على الاتفاق النقاط الست في يوم ١١ نوفمبر ١٩٧٣ ، بدأت اجتماعات عسكرية بين الجانبين المصري والاسرائيلي عند الكيلومتر ١٠١ على طريق القاهرة — السويس تحت اشراف الأمم المتحدة للمعمل على تنفيذ بنود الاتفاق . وقد تعثرت المباحثات بسبب موضوع العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ثم مطالبة اسرائيل بأن يكون الوجود العسكري المصري على الضفة الشرقية رمزياً . وفي ظل عدم الاتفاق ، افتتح كورت فالدهايم سكرتير عام الأمم المتحدة مؤتمر جنيف في الواحد والعشرين من ديسمبر ١٩٧٣ بقصر الأمم المتحدة في جنيف وحضره — بالإضافة الى القوتين العظميين اللتين رأستا المؤتمر — الأردن ومصر واسرائيل كأطراف للنزاع في الشرق الأوسط ولم تحضره سوريا ، وكان الهدف من هذا المؤتمر هو التوصل الى تسوية شاملة للنزاع العربي الاسرائيلي . وطبقاً لهذا الهدف ، شرح كل فريق وجهة نظره موضحاً أهداف بلاده ،

ولكن أدى موقف إسرائيل المتعنت إلى اخفاق مؤتمر جنيف ، إذ أن إسرائيل لم تكن راغبة في عرض مبدأ الحل الشامل الذى يتضمن احياء القضية الفلسطينية ، فضلا عن اتفاق إسرائيل مع الولايات المتحدة على انفراد الأخيرة بالحل . وقد استمر المؤتمر لمدة يومين فقط ولم يتم فيه التوصل إلى أية نتائج .

٣ - اتفاق الفصل بين القوات على الجبهة المصرية :

بعد جهود مضية تم فى الساعة الثانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة من بعد ظهر يوم الجمعة ١٨ من يناير ١٩٧٤ التوقيع على الاتفاقية فك الاشتباك والفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية . وقد نص هذا الاتفاق على ألا يتجاوز الوجود المصرى شرق القناة ١٥ كيلومترا ، وأن تخفض القوات المراقبة على الضفة الشرقية إلى ٨ كتائب أى نحو ٧٠٠٠ جندي ، مع ايجاد منطقة عازلة ترابط فيها قوات الأمم المتحدة يحدد ترخيصها كل ثلاثة أشهر . ويتولى موسى ديان « فان القوة العسكرية التى كان المصريون سيحتفظون بها شرق القناة هى قوة ضئيلة للغاية » (١) .

وفى الساعة الحادية عشرة من صباح ٢٤ يناير ١٩٧٤ ، تم التوقيع على الوثيقة النهائية لخطية تطبيق اتفاقية انفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية ، التى تنفذ فى خمس مراحل على أساس انتهاء وجود القوات الإسرائيلية فى الضفة الغربية للقناة فى مساء يوم ٢١ من يناير ١٩٧٤ واتهام انسحاب القوات الإسرائيلية إلى الخطوط المحددة لها فى عمق سيناء فى الساعة السادسة من صباح ٥ مارس ١٩٧٤ .

وقد انتهى التنفيذ العملى للمرحلة الخامسة والأخيرة فى الساعة الرابعة من مساء يوم ٣ مارس وقبل الموعد المحدد فى الجدول الزمنى بيومين ، والمثير للدهشة حقا أن أنور السادات ألزم نفسه بتعهدات شفوية قبل توقيع اتفاقية فك الاشتباك الأولى ، كانت لها أصداء سياسية قوية ، منها تعهد السادات بالتوسط لدى دول النفط العربية لرفع الحظر عن

(١) قصة حيلتى ص ٦٢٨ .

الولايات المتحدة دون انتظار تسوية أخرى على الجبهة المصرية أو فضاء
اشتباك مماثل على الجبهة السورية .

كما تعهد السادات بالبدء في تعمير مدن القناة وإعادة المهجرين إليها
ملاذرا بدوافع إنسانية . وقد ذكر موشى ديان في كتابه « قصة حياتي » (١١)
أنه كان من شروط إسرائيل لتوقيع اتفاقية فصل القوات على الجبهة
المصرية « ضرورة إعادة الحياة الطبيعية إلى المنطقة ، وكان هذا الشرط
الهام يعنى إعادة بناء مدن القناة ، وإعادة السكان المدنيين إلى منطقة
القناة وأحياء المشروعات الصناعية مثل معامل تكرير البترول ، وتخفيض
ضخم في حجم الجيش المصرى » .

فك الاشتباك في الجولان :

لم تنسق مصر مع سوريا عندما توصلت إلى اتفاق فك الاشتباك
الأول في ١٨ يناير ١٩٧٤ . وقد يرجع السبب إلى معارضة إسرائيل لآلية
انصالات بهذا الشأن مع سوريا بحجة أنها تحتفظ بالأسرى .

وعلى الرغم من تقاعس الولايات المتحدة عن الضغط على إسرائيل
لتحقيق انسحاب إسرائيل جزئى من الأراضى السورية المحتلة ، فقد تعهد
هنرى كيسنجر للسادات بإجراء فك اشتباك مماثل في الجولان مقابل
تعهدات السادات بالسعى لرفع حظر النفط .

غير أن الإدارة الأمريكية تحولت عن موقفها إزاء سوريا بعد أن
برزت عدة عوامل تدفعها إلى الاتصال بها ، أهمها تلميحات دول النفط
العربية إلى تجديد الحظر في حالة عدم تحقيق فضاء اشتباك
في الجولان ، وتلميحات مصر إلى تغيير اتجاهها الجديد نحو أمريكا ، التى
خشيت وقوعه لدور مصر القيادى بين الدول العربية .

بدأ هنرى كيسنجر جولته في أبريل سنة ١٩٧٤ بإجراء مباحثات
مع إسرائيل وسوريا التى أبدت موقفا متشددا ، فاضطر إلى الاتصال
بالدول التى يمكنها أن تؤثر في موقف سوريا وهى مصر والسعودية

— ١٥٨ —

والاتحاد السوفييتي . وفي نفس الوقت بحث الكونجرس الأمريكي رفع قيمة المعونة الأمريكية لإسرائيل وتزويدها بأسلحة جديدة متقدمة حتى تتساهل في الجبهة السورية .

أعلنت إسرائيل موافقتها على الانسحاب من الأراضي الجديدة التي احتلتها في حرب أكتوبر ، ولكنها تشددت بالنسبة لتحقيق انسحاب جزئي من الجولان . ثم وافقت ، تحت الضغوط الأمريكية ، على إخلاء القنيطرة ولكن ظل الخلاف محتدماً حول وضع التلال المحيطة بها وحول حجم القوات الدولية في المنطقة الفاصلة بين الجانبين .

وأخيراً انتهى الأمر إلى حسم الخلافات وقبول التسوية . وكان الكسب الذي حققته سوريا هو تراجع القوات الإسرائيلية إلى مسافات تقراوح بين كيلومتر وأربعة كيلومترات على طول الجبهة ، على ألا تتدخل القوات سورية ولكن تعاد إليها الإدارة المدنية مع وجود قوات للأمم المتحدة في هذه المنطقة .

وبعد أن تم فك الاشتباك على الجبهة السورية في مايو ١٩٧٤ ، أطلقت سوريا سراح الأسرى الإسرائيليين الذين كانت تحتفظ بهم كورقة مساومة . وقد وافق الرئيس السوري حافظ الأسد على قيام طائرات الاستطلاع الأمريكية باستطلاع المنطقة للتأكد من تنفيذ الاتفاق على غرار ما هو متبع في الجبهة السورية .

وقد تجاهل الإعلام السوري اتفاق فك الاشتباك حيث إن الهدف السوري المعلن هو استرداد الأراضي المحتلة في إطار تسوية شاملة .

وعلى حين كانت سوريا تتمسك بالحل الشامل ، مضت إسرائيل في التوسع الاستيطاني في الجولان التي ضمتها رسمياً في ١٤ ديسمبر ١٩٨١ .

فك الاشتباك الثاني على الجبهة المصرية :

عندما أنس هنري كيسنجر في أفور السادات استعداداً لتقديم تنازلات سياسية ، خطب لانسجهايم الإسرائيلي من بسهاء في مقابل انهيار

حالة الحرب . بيد أن السادات لم يقبل إنهاء حالة الحرب الا في اطار
الحل الشامل ، الذى يعنى اشتراك الدول العربية الأخرى في عملية الحل .
وقد أفضت تفكير السادات الى التسوية الجزئية التى تحقق الانسحاب
الجزئى من سيناء شرقى ممرى متلا والجدي مقابل تعهد مصر بعدم
استخدام القوة او التهديد بها خلال فترة مهية السلام .

الا ان إسرائيل اثارت نقاطا عديدة احتمت حولها الجدل . وقد تركزت
نقاط الخلاف حول مدى الانسحاب واتساع المنطقة المازلة بين القوات
المصرية والقوات الاسرائيلية ، والاشراف على محطة الانذار المبكر في
أم خشيب ، ومطالبة إسرائيل بالاستغلال المشترك لآبار بترول أبو رديس .

وقد أدى التشدد الاسرائيلى الى توقف المباحثات في ٢٢ مارس
١٩٧٥ ، وعودة هنرى كيسنجر الى الولايات المتحدة وفي روعه أن مسؤولية
الاحفاق تقع على عاتق إسرائيل .

والا كان السادات لم يستطع الحصول على أية وعود واضحة من
الرئيس الأمريكى فورد أثناء المقابلة التى تمت بينهما في سالزبورج في يونيو
١٩٧٥ ، فخلا عن ضغط انصار الصهيونية في مجلس الشيوخ الأمريكى ، فقد
راى أنه لابد من تقديم بعض التنازلات الأساسية . فبدلا من التعهد بعدم
استخدام القوة خلال فترة عملية السلام ، فان هذا التعهد يسرى دون
تحديد مدة ، بالإضافة الى الموافقة على جعل خط الانسحاب الاسرائيلى
وسط المضائق ، وقبول مصر مرور شحنات غير عسكرية لاسرائيل عبر
قناة السويس .

وقد نشأت عده عوامل افضت الى الحد من التعتت الاسرائيلى ، منها
إعادة الملاحه الى قناة السويس في ٥ يونيو ١٩٧٥ ، وتعهد شاه ايران
بتعميخ إسرائيل عن أى نقص في امداداتها البترولية ، واشراف الولايات
المتحدة على محطة الانذار المبكر في أم خشيب مما حسم الخلاف حول قضية
الاشراف عليها .

وقد توصل هنرى كيسنجر الى عقد الاتفاق الثنائى لخصم القوات

— ١٦٠ —

في سيناء في أول سبتمبر ١٩٧٥ ، وفيما يلي أهم ما جاء في هذا الاتفاق الذي يتضمن تسع مواد :

المادة الثانية : يتعهد الطرفان بعدم استخدام القوة أو التهديد بهما أو الحصار العسكري في مواجهة الطرف الآخر .

المادة الثالثة :

١ - سوف يستمر الطرفان في أن يراعا بدقة وقف إطلاق النار في البر والبحر والجو والامتناع عن أية أعمال عسكرية أو شبه عسكرية ضد الطرف الآخر .

٢ - ويقرر الطرفان أيضا أن الالتزامات الواردة في ملحق هذه الاتفاقية والبروتوكول الخاص بها عند عقده ، سيكونان جزءا لا يتجزأ من هذه الاتفاقية .

المادة الرابعة : وهى خاصة بتحريك القوات المسلحة للطرفين وفقا لمبادئ عينة .

وأهم هذه المبادئ هو موافقة إسرائيل على الانسحاب الى خط جديد يبعد مسافة ما بين عشرين الى أربعين ميلا من قناة السويس وتسليم ممرى متلا والجدي الى الأمم المتحدة وحقوق البترول الى المصريين ، وتقدم القوات المصرية في اتجاه الشرق حيث كانت المنطقة العازلة التى ترابط فيها قوات الأمم المتحدة .

المادة الخامسة : تعتبر قوة الطوارئ التابعة للأمم المتحدة أساسية وسوف تستمر في القيام بعملها وستجدد مدتها سنويا .

المادة السادسة : ينشئ الطرفان لجنة مشتركة أثناء سريان هذه الاتفاقية وتعمل تحت رئاسة المنسق العام لعمليات الأمم المتحدة للشرق الأوسط للنظر في أية مشكلة تنجم عن هذه الاتفاقية ، وبمعاونة قوة الطوارئ التابعة للأمم المتحدة في تنفيذ مهمتها .

المادة السابعة : سيسمح للشحنات غير العسكرية المتجهة الى إسرائيل ومنها بالبر في قناة السويس .

وقد شمل ملحق الاتفاقية نقاطا أهمها : القيود على القوات والسليح ، إذ اتفق على أن تكون القيود الرئيسية في المناطق محدودة القوات والسليح (على جانبي المنطقة المعازلة) ، ثمانى كتائب مشاة ، ٧٥ دبابة - ٧٢ قذيفة مدفعية بما فيها الهاونات الثقيلة (عيار أكبر من ١٢٠ مم التي لا يزيد مداها على ١٢ كم) ، على ألا يتجاوز المجموع الكلى للأفراد نمائة الاف . كذلك عدم وضع أو تمركز أسلحة في المنطقة يمكنها الوصول الى خط الطرف الآخر .

كما اتفق على نظام الانذار المبكر ، فطبقا للمادة الرابعة ، تكون هناك داخل الممرات محطتان للاستكشاف للقيام بالانذار الاستراتيجى المبكر يقوم به شمل احدهما أفراد مصريون والأخرى أفراد اسرائيليون . والى جانب هاتين المحطتين نقيم الولايات المتحدة ثلاث محطات للمراقبة في ممرى متلا والجدي ندار بواسطة أفراد مدنيين امريكيين .

اما بالنسبة لمنطقة حقول بترول أبورديس فقد سمح للمدنيين المصريين بالمرور في طريق طويل تقوم قوات الطوارئ الدوابة بالاشراف عليه ، وتعهدت اسرائيل بأن تترك كافة المنشآت صالحة للعمل .

وقد أعلنت مصر فور توقيع الاتفاق أنها ستجنى ثمار نصر أكتوبر ، إذ انها مستعدة حقول أبورديس ، ثم أن القوات الاسرائيلية ستسحب من ممرى متلا والجدي ، وكذا من مناطق أخرى أقل أهمية في الشمال والجنوب ، بينما ستفقد اسرائيل حقول أبورديس التي كانت تهدا بنحو ٥٥ بالمائة من احتياجاتها البترولية ، بالإضافة الى أن ممرات سيناء كانت معلى اسرائيل الشعور بالأمن .

اما الوثيقة الاسرائيلية التي صدرت بشأن فض الاشتباك الثانى نقلت : ان النوازن العسكري بين الطرفين المتحاربين هو الذى سمح بإبرام تلك الاتفاقية . وحذت الوثيقة دبلوماسية الخطوة تلو الخطوة لأنها مهد اخلق الجو السلمي الذى يسهم وحده في استتباب السلام في المنطقة .

ولم تشر الوثيقة الى القضية الفلسطينية إلا بطريقة عابرة ، إذ ترى

أن الخطوة الأولى لاجراء الحوار بين فلسطين واسرائيل هو اعتراف الفلسطينيين بالوجود الاسرائيلي .

ونستخلص من الوثيقة الاسرائيلية أن الجانب الاسرائيلي يفضل أسلوب الخطوة تلو الخطوة على أسلوب المؤتمر الجماعي في جنيف ، لأنه في ظل الأسلوب الأول يستطيع أن يواجه كل دولة عربية على حدة ، مما يساعده على تجنب التعامل مع الكتلة العربى كوحدة . كما أنه يستطيع تجنب المشكلة وهى قضية حق تقرير مصر الشعب الفلسطينى وقبام الدولة الفلسطينية ، فضلا عن اعتقاده بأن هذا الأسلوب يضعف الترابط بين مصر والدول العربية .

وقد جاءت الوثيقة السورية ، التى تضمنت تصريحات الرئيس حافظ الأسد ، تصم الاتفاق بأنه خطوة الى الوراء فى طريق السلام لأنه سيعجل بقيام الأزمة المقبلة ، وأنه يخلق الأبواب التى تؤدى الى السلام الحقيقى ، كما أنه يتجاهل طبيعة الصراع عندما يحاول تقسيم المشكلة الى أجزاء منفصلة . فالنزاع القائم ليس نزاعا مصرى — اسرائيليا أو سوريا — اسرائيليا ، ولكنه نزاع عربى — اسرائيلى على أية حال ، وان تجاهل الحقائق لن يغيرها .

كذلك هاجمت وثيقة فلسطينية الاتفاق . وقد حملت آراء المعارضين عبارات الخوف من أن الاتفاق يضعف الجبهة العربية ثم يفككها ، ويؤدى الى تفوق اسرائيل عسكريا نتيجة تدفق الأسلحة الأمريكية الجديدة عليها ، مما يزيد من مطامعها التوسعية ، ويشجع اسرائيل — فى ظل تجمد الجبهة المصرية نتيجة للاتفاقية — على القيام باعتداءات على الجبهة السورية أو اللبنانية أو الأردنية . كذلك الخوف من أن يؤدى تجمد الجبهة المصرية الى عودة اللارح واللاسلم ، تلك الحالة التى من شأنها تأجيل فك الارتباط على الجبهات الأخرى ، وفى مقدمتها الجبهة الفلسطينية ، مما يؤدى الى اضعاف منظمة تحرير فلسطين وتهاجم الخلافات العربية .

الموقف العربي بعد اتفاقية فك الاشتباك الثانية في سيناء :

أصبح اسحاق رابين في معرض دفاعه عن اتفاقية فض الاشتباك الثانية من أن من بين أهداف حكومته الأساسية أحداث الفرقة بين الدول العربية وتعميق الخلاف بين مصر وسوريا وجر مصر إلى فكرة سلام منفصل .

وعلى الرغم من التنازلات السياسية المصرية ، فإن الاتفاق ترك أكثر من ثلثي سيناء تحت الاحتلال الاسرائيلي ، ومن ثم ، اعتبرت مصر هذا الاتفاق حلاً مؤقتاً .

وبدا التمزق العربي واضحاً ، فقد رفضت كل من سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية هذه الاتفاقية على الرغم من التفسيرات التي قدمها السادات لما أذيع من بنود الاتفاقية .

وقد ذكر السادات أن الولايات المتحدة تعهدت بإجراء فصل آخر للقوات في الجولان ، كما أكد عدم التخلي عن خطة الحل الشامل وعدم التفرغ في القضية الفلسطينية ، مع عدم سريان مبدأ عدم اللجوء إلى القوة إذا ما اعتدت إسرائيل على سوريا .

وعلى الرغم من التوتر الذي شاب علاقات مصر ببعض الدول العربية فقد استمرت العلاقات الطيبة بين مصر والنظم المحافظة في العالم العربي .

لم تقتنع الحكومة السورية بتفسيرات السادات لمغزى اتفاق الفصل الثاني للتوات ، واكتشفت أنه في حالة تحقيق فك ارتباط آخر في الجولان فإنها لن تحصل إلا على مكاسب إقليمية محدودة مقابل تنازلات سياسية أساسية . ومن هنا رأت أن أفضل السبل لكسر جمود الموقف هو العودة إلى مؤتمر جنيف الذي توقف منذ ديسمبر سنة ١٩٧٣ ولم تحضره سوريا آنذاك ، حيث أن وجود الاتحاد السوفييتي يحول دون انفراد الولايات المتحدة بالحل . ولكن لم ينعقد مؤتمر جنيف بسبب العقبات الكثيرة التي وضعت في طريقه مثل إصرار سوريا والاتحاد السوفييتي على اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر جنيف :

وسرعان ما لاحت بوابر الحرب الأهلية اللبنانية في الأفق ، ثم شهد عام ١٩٧٦ تحركا في تحديد الأدوار العربية التي دخلت كأحد عناصر الصراع الفلسطيني اللبناني أو اللبناني الفلسطيني .

وفيما بين عامي ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ تصاعدت قوة الجبهة التقدمية التي تركز على عناصر إسلامية وتضامن معها الفلسطينيين واشتركوا في الصراع اللبناني . وتد أدى هذا الموقف الى اجراء حزب الكتائب اتصالات سرية مع اسرائيل ، مما أثار المخاوف من احتمال تدخلها في الأزمة اللبنانية . وقد رأى الرئيس اللبناني سليمان فرنجية ، الذي يناصب حزب الكتائب العداء ، أن يسارع الى طلب تدخل سوريا حتى يحبط مساعي الكتائب . وقد رحبت سوريا بالتدخل العسكري الذي كان بمثابة ورقة رابحة تسالوم بها عند الحاجة .

كانت سوريا فيما مضى تناصر العناصر الإسلامية والفلسطينية ، ولكنها منذ أن تدخلت عسكريا في لبنان ، طرحت هذه السياسة جانبا وأيدت الحكم اللبناني بكل قوة . وقد برر النظام السوري هذه السياسة بأنها تمنع التدخل العسكري الاسرائيلي في لبنان بالتفاهم مع حزب الكتائب . كما أن الولايات المتحدة غضت الطرف عن التدخل السوري طالما أنه يؤيد السلطة الشرعية اللبنانية .

وقد شهدت الساحة العربية آنذاك تكتلا عربيا وصف بالاعتدال ، يضم مصر والسعودية وسوريا وبعض دول الخليج . وقد أدى هذا الموقف الى عقد مؤتمر قمة مصغر في الرياض ثم في القاهرة ، وقد قرر المؤتمر تشكيل قوة ردع عربية في لبنان تشترك فيها السودان ودولة الامارات العربية المتحدة اشتراكا رمزيا الى جانب القوات السورية ، وتتولى المملكة العربية السعودية الاتفاق على هذه القوة . وقد أفضى هذا التكتل العربي الذي انضمت اليه سوريا الى الاختفاء المؤقت للخلافات المصرية السورية ، التي نجمت عن اتفاق فصل القوات في سيناء .

ثم تطورت العلاقات المصرية السورية قدما لدرجة الاعلان عن قيادة سياسية موحدة بين مصر وسوريا في ديسمبر سنة ١٩٧٦ .

وعلى الرغم من تصاعد الحملات الانتخابية في عام ١٩٧٦ ، فلم تغفل الولايات المتحدة مسألة الشرق الأوسط ، بل اننا نلاحظ زيادة اهتمامها الذي نجم عن زيادة التزاماتها بسبب اتفاقيات فض الاشتباك ، فضلا عن أن الاعتمادات الضخمة التي يخصصها الكونجرس لإسرائيل ، جعلت قضية الشرق الأوسط مطروحة ضمن القضايا الأخرى على بساط الحملة الانتخابية . ومن ثم كلفت لجنة متخصصة سميت لجنة بروكز بدراسة مشكلة الشرق الأوسط من جميع نواحيها ، كما قام سوندرز مستشار وزارة الخارجية بتتدعيم وثيقة حول نفس الموضوع .

وانتهت الدراسة الى مبدئين هامين هما : ان السلام يخدم المصالح الأمريكية ، وان تسوية المشكلة الفلسطينية أمر حيوي لتحقيق السلام ، الا ان الوثيقتين لم تبينا كيفية الوصول الى حل . ثم انتهى الأمر بهما الى الدفاء في أحضان متحف التاريخ .

وعندما وصل جيمي كارتر الى رئاسة الولايات المتحدة ، انعقدت عليه الامل في حل النزاع العربي الاسرائيلي بصورة أقل انحياز لإسرائيل ، كما كان العرب يعتقدون أن ميروس فانس ، وزير الخارجية الأمريكية الجديد ، أفضل من هنري كيسنجر . وقد دعا الرئيس كارتر رئيس وزراء إسرائيل ، ثم رئيس مصر ، وملك السعودية لشرح وجهات نظرهم وللتعرف على رأيهم في المنطقة .

وقد دخل في روع السادات أن جميع أوراق الحل في يد الولايات المتحدة فانه جذب بشدة اليها ، وأخذت السياسة المصرية منعطفًا جديدًا انسجم بالجفاء حيال السوفييت ، وبلغ الخلاف بين مصر والاتحاد السوفييتي ذروته بالناء معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين في ١٤ مارس ١٩٧٦ . ومع سباحة السادات مع التيار الأمريكي ، فقد تبني سياسة الانفتاح على الغرب دون دراسة متأنية مما أدى الى ظهور تقلصات اجتماعية خطيره في جسد النظام المصري ، تلك التي انفجرت في شكل أعمال عنف دامية في ١٨ ، ١٩ يناير سنة ١٩٧٧ . فقد غوجى الشعب المصري صباح يوم ١٧ من يناير سنة ١٩٧٧ بقائمة تضم خمسا وعشرين ساعة منها سلع

أساسية ارتفعت أسعارها نتيجة رفع أو خفض حجم الدعم الحكومى لها . ويرجع عنصر المفاجأة الى أن هذا الارتفاع فى الأسعار سم يواكب التوقعات الشعبية ، فقد دأبت أجهزة الاعلام المصرى على التبشير بالرخاء والرفاهية بعد التضحيات التى بذلها الشعب والتحدث عن حق الشعب فى جنى ثمار نصر أكتوبر . وبينما كانت الأغلبية الساحقة من الشعب تعاني شظف العيش وتعيش على حد الكفاف ، فقد كانت هناك شريحة اجتماعية تنعم برغد العيش وترفل فى ثياب الثراء الفاحش وأفجائى ويتعظم شأنها يوما بعد يوم نتيجة الانفتاح الاقتصادى .

وقد جاء رفع الأسعار تحت ضغط صندوق النقد الدولى بتأييد من المؤسسات المالية الأخرى الواقعة تحت السيطرة الأمريكية ، التى رأت أن اصلاح المسار الاقتصادى المصرى يتطلب إلغاء أو خفض الدعم للسلع الأساسية ، ولم تجد الحكومة المصرية مناصا من الاستجابة لها . وقد انارت هذه المفاجأة غير المتوقعة لرفع الأسعار غضب الجماهير ، فاندفعت الى الشوارع يوم ١٨ من يناير كالتوفان ، ثم لم تلبث المظاهرات أن تحولت الى انفجار شعبى هائل عم جميع أنحاء جمهورية مصر . وقد بلغ هذا الغضب حدا دفع جماهير الشعب المتأججة فى شوارع أسوان الى الزحف على استراحة الرئيس أنور السادات ومحاصرتها مما أجبره على مغادرتها فوراً « تاركاً وراءه كل شئ » ، حتى الأوراق الرسمية التى أرسلت اليه فى مشتهه للاطلاع والتوقيع « ، غير أن أوضاع القاهرة لم تكن بأفضل مما كانت عليه فى أسوان . ويؤكد أحد الكتّاب البارزين على أن « طائرات الهليكوبتر كانت تنتظر فى منزل السادات بالجيزة المحاط بالدبابات الثقيلة ، لتحمله الى طائرته التى كانت تنتظره فى مطار « أبو صوير » ، والتى كانت وجهتها المقررة — اذا جاء وقت الرحيل — هى طوران حيث كان الشاه على استعداد لاستقبال أصدقائه اذا اضطروا للهرب من القاهرة » (١) .

(١) محمد حسنين هيكل ، خريف الغضب : قصة بداية ونهاية عصر أنور السادات ، بيروت ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ ، ص ص ٢٢٠ — ٥ .

وقد استمرت المظاهرات يوم ١٩ من يناير بشكل أكثر عنفا ، فلجأ المتظاهرون الى التدمير ، ونهب بعض المتاجر الكبرى والنوادي الليلية في شارع الهرم . وقد اصطلحت قوات الشرطة بالمظاهرات في جميع المحافظات ، وسقط عدد من القتلى والجرحى ، ولم يتم السيطرة على الموقف الا بعد نزول الجيش الى الشوارع واطلاق الأحكام العرفية وحظر التجول ، والفناء قرار مجلس الوزراء بزيادة الأسعار .

تركت هذه الأحداث أثرا لا يمكن اغفاله على تفكير أنور السادات ، فبدأ منذ ذلك الوقت بغير سياسته ، حيث وجد في المظاهرات الصاخبة في يومى ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧ تحديا شعبيا قويا لسلطته ، وانطبع في ذهنه أن العناصر اليسارية المؤيدة من السوفييت يدا فيما حدث . وقد غزت الولايات المتحدة اعتقاد السادات مما حدا به الى التوجه الى الغرب لحسابه كرسى الحكم . وتدد بدا هذا التحول في قيام السادات برحلة في ابريل سنة ١٩٧٧ الى الولايات المتحدة حيث كرس جهوده لامتناع الأمريكيين بانه يمكنهم الاعتماد على مصر في تأمين المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط .

زيارة القدس :

كان قرار الرئيس الراحل أنور السادات زيارة القدس والقضاء خطاب أمام الكنيسة مناجاة للعالم العربى ، غير أن استعداد السادات للاتصال المباشر بالاسرائيليين كان واردا من قبل .

وليس من اليسر تحديد الدوافع الحقيقية لهذه الزيارة ، الا أن أحد الدارسين (١) حاول تحليل الدوافع المصرية لمبادرة السادات فقال : ان مبادرة السلام كان مبعثها عدة دوافع داخلية وعربية ودولية .

وقد قسم الدارس الدوافع الداخلية الى عوامل تتعلق بالوضع الاقتصادي ، الذى كان يزداد سوءا نتيجة سنوات الحرب الطويلة

(١) سعد الدين ابراهيم ، المبادرة المصرية بين التصلب الاسرائيلى ومجموعة لرفض ، السياسة الدولية ، العدد ٥٢ ، أبريل ١٩٧٨ ، ص ص

والانفاق العسكرى الضخم . ولم يكن هناك أمل فى انتقاده سوى الخروج من حالة اللاسلم واللاحرب ، التى بدأت تعود من جديد ، وحاول السلام .

أما الدافع الثانى من الدوافع الداخلية ، فقد كان الاحساس بان الموقف العسكرى قد ينفجر فى أية لحظة الى حرب شاملة ، خاصة بعد أن تزايدت المخاوف من احتمال قيام إسرائيل بحرب وقائية هدفها تحطيم القدرة العسكرية المصرية تماما لعشر سنوات قادمة . ومما غذى احتمال انفجار الموقف عسكريا ، وصول كتلة ليكود المتطرفة الى الحكم فى إسرائيل ، وتشكيل مجلس وزراء اسرائيلى أشبه بمجلس حرب ، به أكبر نسبة من جنرالات إسرائيل ونجومها العسكرية ، ومن بينهم ايجال يادين وموشى ديان وأريل شارون .

فى حين تتعلق الدوافع العربية بعدم القدرة على رسم سياسة عربية موحدة فى مواجهة إسرائيل ، توزع أعبائها بالتساوى . كما كانت مصر تأمل فى المساعدة الاقتصادية الفعالة من جانب الدول العربية النفطية حتى تخرج من أزمتها بشكل جذرى ، إلا أن حجم المساعدات لم يكن كافيا بالدرجة التى تعطى مصر الحركة المستقلة الكاملة . بالاضافة الى أن التحالف العسكرى مع سوريا والمقاومة الفلسطينية مر بتجارب عصيبة بعد حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، أفضت الى خلافات واتهامات وحملات اعلامية متبادلة ..

وتتعلق الدوافع الدولية بمعجز الادارة الأمريكية عن دفع عملية السلام التى بدأها هنرى كيسنجر ، حيث وصلت محاولات الرئيس جيمى كارتر لعقد مؤتمر جنيف الى طريق مسدود مع حلول خريف سنة ١٩٧٧ . وساد اعتقاد لدى السادات بأن شيئا لا بد أن يحدث لاختراق ذلك الطريق المسدود خلال بضعة أشهر ، قبل أن يحل موعد الانتخابات النصفية الأمريكية ..

كما دخل فى روع القيادة المصرية أن الاتحاد السوفييتى غير جاد فى

تسوية الصراع العربى الاسرائيلى ، بل انها اعتقدت كذلك أن الاتحاد
المسوفيتى يريد خاق المتاعب لها واستقاطها ، واتهمته بأنه كان المحرك
لأحداث يومى ١٨ ، ١٩ يناير سنة ١٩٧٧ .

ولا ريب أن هذا التحليل ليس كله صائبا ، فالعامل الاقتصادى لم يكن
الدافع الحقيقى لرحلة القدس ، لأن اقتصاد الحرب ، الذى فرضه الصراع
العربى الاسرائيلى ، لم يكن وحده سبب تفاقم المشاكل الاقتصادية .
فالأزمة الاقتصادية نشأت نتيجة لحرب اليمن ، التى أسهمت بنصيب وافر
فى هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وبسبب سوء الادارة الاقتصادية ، والتطلعات
الطبقية ، وبسبب اقتصاد الحرب . أى أن اقتصاد الحرب أحد الأسباب
وإيس كل الأسباب ، ولم يكن من شأن رحلة القدس أن تعالج كل هذه
الأسباب . كما أن احتمالات نجاح الزيارة لم تكن الكيدة « بحيث يمكن
القول بأن الزيارة كانت خيارا حقيقيا بين الرخاء والسلام أو الفقر مع
استمرار حالة اللاسلام واللاحرب » (١) . وكان يمكن للنظام المصرى —
إذا صدقت النية — أن يتخذ إجراءات اقتصادية حاسمة لمعالجة الخلل
فى هيكل الاقتصاد المصرى قبل أن يتخذ خطوة المبادرة المحفوفة بالمخاطر .

أما القول بأن الرحلة توخت درء خطر حرب وثائية اعترمت اسرائيل
شنها ، فهذا ما لا يمكن تصديقه ، لأن حالة الحرب كانت قد انتهت بالفعل
بين محسرو اسرائيل طبقا لاتفاقية فض الاشتباك الثانية ، وأن الولايات
المتحدة كانت تقوم بالاستطلاع للتأكد من تنفيذ بنود الاتفاقية . بالإضافة
الى فتح القناة للملاحة البحرية ، وبدء تعمير مدن القناة ، فضلا عن انحيار
السياسة الخارجية المصرية الى جانب الولايات المتحدة الأمريكية .

وعلى ضوء هذه العوامل ، لم يكن من المتوقع أن تشن اسرائيل
حربا وثائية على مصر ، سيما وأن الوضع على الجبهة المصرية لم يكن

(١) حسن ناعسة ، مصر والصراع العربى الاسرائيلى ، من الصراع
المحتوم الى التسوية المستحيلة ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،
١٩٨٣ ، ص ٦٢ .

يشكل خطورة على إسرائيل ، لأن ذلك الهجوم الاسرائيلي كان من شأنه أن يضع الولايات المتحدة الأمريكية في مأزق .

كما انه لا يمكن اغفال المفاوضات المصرية — الاسرائيلية الرسمية المباشرة التي كانت تجرى بصفة سرية في الفترة السابقة على الزيارة مباشرة . فقد ظهرت عدة وساطات لاجراء اتصال سرى مباشر بالاسرائيليين ، وكان الملك الحسن ، عاهل المغرب ، في قمة هذه الوساطات .

وقد أراد الملك أن يجتذب الى هذه الفكرة بعض الأطراف العربية الأخرى ، لذلك فقد زار موسى ديان المغرب في ٤ سبتمبر سنة ١٩٧٧ بناء على دعوة من الملك المغربي (١) .

وقد توسط ملك المغرب بين مصر واسرائيل ، وتمكن من ترتيب لقاء سرى بين حسن التهامي نائب رئيس الوزراء المصري آنذاك وموشى ديان وزير خارجية اسرائيل . وقد تم اللقاء بين الرجلين في الرباط يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٧٧ (٢) . وقد استمرت هذه اللقاءات بعد قرار السادات زيارة القدس ، وتم عقد لقاء آخر بين حسن التهامي وموشى ديان ، بحضور الملك الحسن أيضا ، في يومي ٢ ، ٣ ديسمبر ١٩٧٩ .

ولاشك أن هذه المفاوضات السرية المباشرة قد أقنعت السادات باستبعاد موضوع الحرب الوقائية خلال الأشهر التي سبقت المبادرة . غير أن السادات قرر بعد أول لقاء بين حسن التهامي وموشى ديان أن يزور القدس .

ومن هنا يثور السؤال : لماذا فضل السادات هذه الطريقة الدرامية على الاتصال السرى المباشر الذي كان قد بدأ من قبل المبادرة ؟

(١) موسى ديان ، الاختراق . لندن ، ١٩٨١ .

(٢) حول تفاصيل ما دار في هذا اللقاء انظر :

Moshe Dayan, Paix dans le desert, (Paris : Fayard, 1981), PP.

لا أخالنا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن من بين الأسباب ، دور العمل الشخصي والنفسي لاسادات ، فالسادات ذو شخصية متعددة الجوانب ، يبرز منها الجانب المثير والمعتقد ، ويأقئ كتاب « خريف الغضب » للأستاذ محمد حسنين هيكل بعض الأضواء على ذلك الجانب المثير من شخصية السادات . ولعل التاريخ الإرهابي للسادات وجنوحه الى حب المفكرة والا تطلع الى النجومية والاستئثار بالاهتمام الدولي مما يفسر اقصاده على زيارة القدس .

وبالاضافة الى دور العامل الشخصي والنفسي ، فان هناك عوامل موضوعية عديدة ، فبعد وصول بيجين الى الحكم فى اسرائيل ، لم يعد امام السادات سوى خيارين : الأول : وهو الالتزام بالموقف الجماعى العربى ، الذى يعنى الانسحاب من كافة الاراضى العربية المحتلة واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة مقابل الاعتراف باسرائيل . وكان العرب ياملون فى عرضه فى مؤتمر جنيف من خلال وفد موحد .

والخيار الثانى ، تجميد الوضع القائم ، انتظارا لتذليل العقبات امام مؤتمر جنيف ، ثم انتظار نتائج حوار ومجادلات قد تمتد لسنوات . وكلا الخيارين يفرضان على السادات اعادة النظر فى سياستهم الداخلى والخارجية ، وهو لم يكن مستعدا للقيام به ، ولذلك آثر البحث عن سبيل آخر .

أما هذا الخيار الثالث ، فكان ينحو الى تهيئة أفضل الظروف لصوية مصرية — اسرائيلية بأقل التكاليف . وفى ظل هذا الخيار كان على السادات أن يسلك أحد مسلكين : إما أن يستمر فى اتباع سياسة المفاوضات السرية المباشرة مع اسرائيل ، وإما أن يزور القدس فى وضع النهار .

وقد آثر السادات المسلك الثانى خاصة بعد أن أخذت الصحف الأمريكية والأوروبية تلمح الى اللقاءات المصرية — الاسرائيلية فى المغرب . كما أن قرار زيارة القدس يمكن ابرازه دهائيا على أنه قرآن منقطع النظير

في الشجاعة والاقدام ، فضلا عن امكان تفجير قوى عالمية ضخمة تعمل من أجل اقرار السلام في الشرق الأوسط .

وقد كان الرئيس الروماني شاوشيسكو يمثل حلقة الاتصال الثانية التي توسطت في ترتيبات الاتصال بين السادات واسرائيل .

ومن المعروف أن مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل قام في أغسطس سنة ١٩٧٧ بزيارة الى بوخارست عاصمة رومانيا وصرح بأن الهدف من الزيارة هو دعوة يهود أوروبا الشرقية الى الهجرة الى اسرائيل .

وفي أكتوبر سنة ١٩٧٧ ، حل أنور السادات ببوخارست وقابل الرئيس الروماني فيما بين يومي ٢٩ ، ٣١ أكتوبر ، وبعد عودة السادات الى مصر ببضعة أيام أعلن عن زيارة القدس . ومن المرجح أن يكون لزيارة بوخارست أثر كبير في اتخاذ قرار المبادرة .

ويقول اسماعيل فهمي ، وزير الخارجية الأسبق ، في هذا الصدد : « ... عندما عدت أنا والرئيس السادات من جولتنا في بوخارست وطهران والرياض ، دعا السادات مجلس الأمن القومي لعقد اجتماع في نوفمبر سنة ١٩٧٧ لمناقشة نتائج الرحلة . وبدأ السادات حديثه بعرض عام لهذه الزيارات ثم أشار الى تفاصيل محادثاته مع الرئيس شاوشيسكو ، والى الاطار العام لاقتراح بيجين ، حول الخطوط العامة للكيان الفلسطيني الجديد . وأخيرا وبشكل عابر ، أضاف قائلا : أنا مستعد أن اذهب الى القدس ، وأن ألقى خطابا في الكنيسة الاسرائيلي ، اذا كان ذلك يمكن أن يحقن دماء أولادى » (١) .

بل إن كارتر ، الرئيس السابق للولايات المتحدة ، يزيد على ذلك قسوة « كان السادات قد أبلغ وزير الخارجية فانس مؤخرا بأنه يريد

(١) اسماعيل فهمي ، التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط ، بالتيمور ، ميرلاند ، ١٩٨٣ ، ص ٢٦٦ — ٧ .

«الاجتماع مع بيجين» (١). ولكن كارتر لم يحدد متى أبلغ السادات فانس بذلك .

وفي الأسبوع الثاني من شهر أكتوبر سنة ١٩٧٧ بعث كارتر برسالة سرية الى السادات تتعلق بالآزمة التي تواجه الجهود لعقد مؤتمر جنيف وكتب كارتر في هذه الرسالة يقول « ان هذا الجهود لن تحطه سوى خطوة جسورة ، وتساءل كارتر : ما الذي يمكن عمله من أجل الوصول الى حل وسط يرضى الجانبين ؟ » . وقد قال السادات فيها بعد « منذ تلك اللحظة بدأت أفكر في التحرك بسرعة ، وقررت أن أنظر الى الموقف من زاوية جديدة وأن أحلله من جديد » .

وفي أواخر شهر أكتوبر اصطحب السادات اسماعيل فهمي لزيارة رومانيا واجتمع هناك بالرئيس الروماني ، وبعث اسماعيل فهمي ان السادات قد صرح له عقب اجتماعه هذا بالرئيس الروماني برغبته « في الذهاب الى القدس لالقاء خطاب في الكنيسة » (٢) .

ويقول السادات انه اثناء رحلة العودة التي توقفت اثناءها في طهران والرياض كانت الأفكار تروح وتجيء في ذهنه . وفي القاهرة تركزت أفكار السادات حول قيامه بزيارة شخصية الى القدس كي يؤدي صلاة عيد الأضحى في الجامع الأقصى .

لقد لعبت المغرب ورومانيا دورا بارزا في التمهيد لزيارة القدس ، بعد أن يؤس السادات من الضغط الأمريكي على اسرائيل ، وتراجع الولايات المتحدة تحت ضغط الدوائر الصهيونية عن بيان مشترك صدر بالاتفاق مع الاتحاد السوفيتي في ٤ أكتوبر سنة ١٩٧٧ . وكان البيان الأمريكي السوفيتي قد أكد اتفاق القوتين العظميين على احياء ما ورد في قرار مجاس الأمن رقم ٢٤٢ من مبادئ « مع مراعاة حقوق الشعب

(١) جيمي كارتر ، الحفاظ على العهد ، مذكرات رئيس ، نيويورك ، ١٩٨٢ ، ص ٢٩٦ .

(٢) اسماعيل فهمي ، المصدر السابق ، ص ٢٥٦ .

الفلسطيني ، وضرورة العودة الى مؤتمر جنيف بمشاركة جميع الأطراف بما في ذلك ممثلو الشعب الفلسطيني تمهيدا لقيام « علاقات سلام » .

وقد تمثل التراجع الأمريكي في اصدار ورقة عمل أمريكية اسرائيلية تسوف في اجراءات احياء مؤتمر جنيف ، وتعلن عن تمسك الحكومة الأمريكية باتفاقاتها السابقة مع اسرائيل . وهي بذلك تشير الى التعهد الأمريكي بعدم الاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية الا بعد التشاور مع اسرائيل .

فحوى خطاب انور السادات في ٩ نوفمبر امام مجلس الشعب :

أبدى انور السادات أسفه وخيبة أمه في الولايات المتحدة التي تراجعت عن ورقة العمل المتفق على تقديمها الى مؤتمر جنيف ، وقال انه أجرى اتصالات بالأطراف المعنية : حافظ الأسد ، والملك حسين ، وياسر عرفات لاقناعهم بلذهاب الى جنيف بوفد واحد ، وأشار الى انه مازال مستعدا للذهاب الى جنيف دون ان يتمسك بالشكليات ، ثم اردف قائلا « بل لا أخفيكم وأنتم ممثلو الشعب ، وعلى مسمع من شعبنا ، وعلى مسمع من امتنا العربية ، سمعتموني أقول أنني مستعد ان أسافر الى آخر العالم ، وستدهش اسرائيل عندما تسمعنني أقول الآن أمامكم أنني مستعد ان اذهب الى بيتهم ، الى الكنيسة ذاته ومناقشتهم » .

وقد تكفل ممثلو الولايات المتحدة — على اثر هذا الخطاب — بنقل الرسائل بين مصر واسرائيل . وقد صادفت فكرة زيارة القدس ترحيبا من مناحم بيجين ، غير أنه أعلن عشية رحلة السادات أن اسرائيل ان تعود الى حدود عام ١٩٦٧ ، وان تعترف بالدولة الفلسطينية ، ولن تجرى اتصالات بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وعلى الرغم من ذلك فقد نفذ السادات خطته .

ماذا قال انور السادات في خطابه امام الكنيسة ؟

طرح انور السادات خمسة مبادئ عملة للسلام في الخطاب الذي ألقاه أمام الكنيسة الاسرائيلي ، وهي انتهاء الاحتلال الاسرائيلي للأراضي

العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، والاعتراف بالحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني وحقه في تقرير المصير ، بما في ذلك حقه في إقامة دوائه ، وحق كل دولة في المنطقة في العيش في سلام داخل حدودها الآمنة المعترف بها ، مع الضمانات الدولية المناسبة لتحقيق أمنها ، والتزام كل دول المنطقة بإدارة العلاقات بينها طبقا لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة ، وبصفة خاصة عدم الإلتجاء الى القوة ، وحل الخلافات بينها بالوسائل السلمية ، وإنهاء حالة الحرب القائمة في المنطقة .

وقد أكد السادات في خطابه على أن فكرة السلام بينه وبين إسرائيل ليست جديدة وأنه يستهدف السلام الشامل . كما أقر بأنه لم يتشاور مع أحد من رؤساء الدول العربية الذين اعترضوا على الزيارة . وأوضح السادات أنه لم يأت لعقد صلح منفرد أو جزئي ، إلا أن خطاب السادات خلا من الإشارة الى منظمة التحرير الفلسطينية .

وقد كشف خطاب السادات عن عدم اقتناعه بأسلوب مؤتمر جنيف ، وكان يراوده أمل بأن الأردن سينضم الى مسيرته ، وأن زيارته ستعمل على أحداث انقسامات في إسرائيل وتقوية المعارضة التي توافق على السلام العادل .

أما خطابات رئيس وزراء إسرائيل والمسؤولين الاسرائيليين فقد ركزت على « ماهية السلام » الذي تريده إسرائيل وحدود ومظاهر العلاقات الطبيعية من اعتراف دبلوماسي وعلاقات اقتصادية وحدود مفتوحة . لقد وضع حديث الزعماء الاسرائيليين عن « ماهية السلام » شرطا جديدا لقبول إسرائيل بالاعتراف المصري .

التصور الاسرائيلي للمبادرة المصرية :

تصورت المؤسسة الحاكمة في إسرائيل أن تحرك السادات نحو السلام هو قرار اليائس من حل الصراع سواء من خلال الحرب أو من خلال الوسائل الدبلوماسية . وقد عزت دوافع القرار الى أزمة الاقتصاد المصري ، وتباطؤ الدول العربية النشطة في المساعدة بالحجم والكيفية المطلوبة ، وإحتمال انهيار الوضع الداخلي .

وطبقا لهذا التصور ، فقد رأت اسرائيل أن تهاطل حتى تتفاهم هذه العوامل ؛ ومن ثم تحصل في النهاية على مزيد من التنازلات .

كما تصورت القيادة الاسرائيلية ، أن مظاهر التأييد الشعبى المصرى الساقط لمبادرة السادات تعكس بدورها مؤشرات اليأس والخسر من الاستمرار فى حلبة الصراع ، ورغبة الشعب المصرى فى السلام بأى ثمن حتى يتفرغ لحل مشكلاته الداخلية .

كذلك فسرت القيادة الاسرائيلية الحملات الهجومية الاعلامية المتبادلة بين النظام المصرى ودول الرفض العربية ، على أن الطلاق العربى — المصرى يقترب من نهايته ، وأن التلويح بسيماة فى مقابل خروج مصر من الساحة العربية — سيكفل الوصول الى الطلاق البائن .

وتصورت القيادة الاسرائيلية أيضا أن السادات قامر باستتبعه السياسى باقدامه على مبادرة السلام ، فهو قد زاد من حنق الاتحاد السوفييتى عليه ، باستبعاده من الاسهام فى التسوية ، كما انه حرق جسوره الهامة مع القادة العرب ، ومع قطاعات شعبية عريضة فى السلام العربى ، فضلا عن نضب مورد السادات من السلاح ، مما لا يمكنه من اى خيارات عسكرية فى حالة تعثر السلام .

وحيث أن السادات قد فرغ صبره من الدبلوماسية التقليدية ومن الأمم المتحدة ، فهو شديد الحرص على احراز أى نجاح مهما صغر .

ومن ثم فليس أمله الا ما تنعم به اسرائيل عليه . وهم لا يخالجهم أى شك فى أن تشددهم هو الذى أرغم السادات على الذهاب الى اسرائيل طلبا للصنع و « للفران » . ويقول موشى شامير أحد اقطاب كتلة ليكود « لقد حققت اسرائيل مكسبا كبيرا على صعيد الاعلام ، وعلى صعيد سياستها ، فما هو ذا أكبر زعماء العالم العربى يعترف علنا بالغلطة التاريخية للشعوب العربية فى حق اسرائيل ، ومن هذه الناحية ، فقد كان الرئيس المصرى بمثابة الحاج الذى جاء ليكفر عن الذنوب » (١) .

(١) معارف الاسرائيلية ، فى ٢٣ نوفمبر ١٩٧٧ .

وخلال مدة القول ، أن العناصر المؤثرة في صنع القرار الاسرائيلي تعتقد ان السادات قد وضع مستقبله السياسى في ايديهم .

وحيث ان قادة اسرائيل يعون تماما حجم التأييد العالمى للمبادرة سيما في الولايات المتحدة وغرب أوروبا ، فانهم يعاون كثيرا على عامل الزمن لانضعاف او تحييد الراى العام العالمى تجاه مبادرة السادات ، فنظريتهم عن الراى العام العربى أنه متقلب لا يمكن شغله بقضية واحدة لمدة طويلة .

ويدخل ضمن التصورات الاسرائيلية ، اعتقاد قادة اسرائيل أن الزعماء العرب غير قادرين على رسم واحكام أية استراتيجية بعيدة المدى ، وحتى اذا نجحوا في رسمها فهم غير قادرين على تنفيذها . ويسرى ذلك على قضايا الحرب وقضايا السلام ، والاستثناء الوحيد في نظرهم هو حرب أكتوبر . ويعتقد قادة اسرائيل ان مبادرة السادات ليست جزءا من تخطيط استراتيجى محكم ، وانما هى تحرك محدود يمكن تحييده وتحويل مجريات الأمور لصالحهم .

صدى مبادرة السادات في العالم العربى :

كانت لمبادرة السادات بزيارة اسرائيل في نوفمبر عام ١٩٧٧ وقع المفاجأة الذى أحدث نوعا من الذهول لم يشهده العرب من قبل . فقد استقر في نفوسهم أن هناك تناقضا أساسيا بينهم وبين اسرائيل لا يجدى معه التعايش السلمى ، .

أما على مستوى الأنظمة الحاكمة في العالم العربى ، فقد انقسمت الى ثلاث فرق : المؤيدين ، والرافضين ، والصامتين . وكان السودان والمغرب وعمان من الفريق الأول ، بينما كانت سوريا والعراق وليبيا والجزائر واليمن الديمقراطية ومنظمة التحرير الفلسطينية من الرافضين ، في حين كانت السعودية والأردن ودول الخليج العربى وباقى الدول العربية من الصامتين وكانت أهم مجربات الأنظمة العربية الرافضة والصامته هى : ان اسرائيل المتى شامت بقوة السلاح لن يجدى معها الحوار أو التمساحى

السلامى الذى ينشده السادات ، سيما أن ميزان القوى لصالحها فى الوقت الحاضر ، وأن أية اتفاقية أو تسوية مع اسرائيل سوف تعكس تفوقها العسكرى ، وهو ما يعنى الاستسلام . ثم المخاوف التى نساور المشرق العربى من خطر قوة اسرائيل فى غياب مصر مما يعنى سيطرة اسرائيل سياسيا وعسكريا واقتصاديا على مقدراتها . وكانت عروبة مصر والمسألة القومية أحد الاعتبارات الهامة ، فما زالت قضية الوحدة أمل الكثيرين فى العالم العربى وبخاصة المثقفون الذين يشعرون بأن فلسطين القضية ومحرر المجتمع الرائد هما محور العمل الوجدوى . وتعنى التسوية مع اسرائيل زوال قضية فلسطين وغياب مصر عن الساحة العربية ، وفى غياب كليهما يتحول أمل الوحدة العربية الى سراب .

لكل هذه الاعتبارات الموضوعية ، يدين الرافضون والصامتون مبادرة السادات ، ويعتبرونها كلثة عربية قومية أدت الى مزيد من التمزق للساحة العربية ، واذكاء أوار الخلافات فيما بين الدول العربية .

وقد ساعدت مصر على تصعيد الخلافات العربية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع بعض الدول العربية ، بدلا من اقامة جسور الحوار مع كل اجزاء العالم العربى ، وبمحاولات اجهزة الاعلام استعداد الرأى العلم المصرى على العرب ، لقد قصرت استراتيجية التحرك المصرى عن اعداد الساحة العربية درعا للمفاجأة ، ثم يعود النظام المصرى وينحى باللائمة على العرب الذين ألجمهم هول المفاجأة سواء من الزيارة ، او من التأييد المصرى الساحق والاستقبال الشعبى الحار للسادات عقب عودته من القدس .

الفصل الخامس

الاتفاق المصري الاسرائيلي وآثاره

في الطريق الى كامب ديفيد :

مؤتمر القاهرة التحضيري (اجتماع مينا هاوس) :

في ٢٦ من نوفمبر ١٩٧٧ وجسه أنور السادات الدعوة لعقد مؤتمر القاهرة التحضيري الى كل من حكومة مصر واسرائيل والأردن وسوريا ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية ، بالإضافة الى الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية والأمم المتحدة . وقد حددت الدعوة الهدف من المؤتمر بأنه الإعداد لمؤتمر جنيف .

وقد حدد الموعد النهائي للمؤتمر في ١٤ ديسمبر ١٩٧٧ ، ولم شارك فيه سوى مصر واسرائيل والولايات المتحدة والأمم المتحدة ، واتفق على أن يرأس المؤتمر رئيس وفد مصر .

وحيث أن المؤتمر لم يكن له جدول أعمال مسبق ، فقد حددت مصر رؤيتها لموضوعات البحث في النقاط الخمس الآتية :

١ — الانسحاب الكامل من الأراضي المصرية التي احتلت في حرب يونيو ١٩٦٧ .

٢ — اعتبار القضية الفلسطينية جوهر النزاع في الشرق الأوسط .

٣ — أن يكون الحل الشامل هو الاطار العلم للمباحثات .

٤ — ايجاك تصور مشترك يكفل الأمن لجميع الأطراف .

٥ — أن تتصف خطوات المؤتمر بالمرونة التي تتيح انضمام أطراف أخرى في أية مرحلة من مراحل المؤتمر .

بينما أصر الوفد الاسرائيلي على أن يتركز البحث على مناقشة ملهمة السلام بين خلال نصوحي مقترجة لاتفاقية سلام بين اسرائيل والدول

العربية ، كما أنه رفض مناقشة أى مشروع آخر سوى طبيعة السلام ، وأزاء تمسك كل من الوفدين المصرى والإسرائيلى بموقفه ، فقد انتهت أعمال مؤتمر القمة التحضيرى الى التجميد فى حين تم الاتفاق على عقد لقاء قمة بين السادات وبيجين .

ويلاحظ فى اجتماع مينا هاوس أن إسرائيل حاولت أن تفرض على المفاوضات المصرية الإسرائيلية قضية جديدة تتفق ومصلحتها : هى « طبيعة السلام ومكوناته » . وقد نجحت محاولات إسرائيل فيما بعد فى تحقيق ما تريد .

وقبل أن ينعقد لقاء بيجين والسادات قام عزرا وايزمان وزير دفاع إسرائيل بزيارة خاطفة لمصر فى ٢٠ ديسمبر ١٩٧٧ بناء على طلبه وبينما اكتمل متحدث رسمى مصرى بالاشارة الى أن هذه الزيارة تتعلق بالاعداد لزيارة مناحم بيجين ومناقشة الترتيبات العسكرية مع وزير الدفاع المصرى ، فقد ذكرت بعض المصادر أن وايزمان عرض على السادات الخطوط الأساسية لمشروع بيجين للسلام الذى عرضه على الرئيس الأمريكى كارتر .

لقاء الاسماعيلية (٢٥ ، ٢٦ / ١٢ / ١٩٧٧) :

يعتبر لقاء الاسماعيلية نقطة تحول فى مساعى التسوية حيث شهد هذا اللقاء لأول مرة ، قيام إسرائيل بتقديم مشروع محدد للسلام ، كما تم تحديد نقاط الخلاف بين الجانبين بدقة ووضوح . ولكن تعذر صدور بيان مشترك عن اللقاء لاتساع هوة الخلافات بين الجانبين نتيجة لتشدد بيجين الواضح .

وبعد انتهاء لقاء الاسماعيلية ، لقي بيجين أمام الكنيست الاسرائيلى فى ٢٨ / ١٢ / ١٩٧٧ النصوص الكاملة لمشروع « بيجين للسلام » .

وقد تضمن المشروع بوجه عام مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة وقواعد التسوية مع مصر . وقد وردت النقاط الأساسية فى مشروع بيجين للسلام فى اتفاقيتي كامب ديفيد ، اذ اقترح المشروع تشكيل حكم ذاتي

— ١٨٩ —

ادارى لسكان الضفة الغربية وغزة ، مع النص على تمسك اسرائيل بسيادتها عليهما . اما فيما يتعلق بالتسوية مع مصر ، فقد عرض المشروع تجريد مناطق معينة من سيناء من السلاح ، والا يجتاز الجيش المصرى الممرات ، وضمن حرية الملاحة فى مضائق تيران .

وبوجه عام ، فقد أسفر لقاء الاسماعيلية عن تكوين لجنتين مشتركيتين احدهما سياسية والاخرى عسكرية .

زيارة كارتر لأسوان :

حرص المسئولون الأمريكيون بعد لقاء الاسماعيلية على تحديد الدور الأمريكى فى مشكلة الشرق الأوسط بأنه وساطة لا مشاركة تهدف الى تشجيع الاطراف المعنية على الوصول الى تفاهم فيما بينها .

وكانت قد حدثت تطورات غير مواتية نتيجة اعلان كارتر رفضه لفكرة الدولة الفلسطينية المستقلة ، وتأييده بقاء قوات اسرائيالية فى الضفة الغربية بعد اتفاق السلام ، ومهجمته منظمة التحرير الفلسطينية ووصفه اياها بالانعزالية ، وقد صرح السادات بأن هذه التصريحات الأمريكية اسبغتة بخيبة امل . وقد ابلغ وزير الخارجية المصرية السفير الأمريكى رسميا رأى مصر فى هذه التصريحات ، والذي يتلخص فى التمسك بضرورة انتهاء الاحتلال الاسرائيلى للضفة الغربية وقطاع غزة وتصفية المستوطنات الاسرائيلية فى الاراضى العربية المحتلة فى أسرع وقت ممكن ولتنقية جو الخلافات ، اعلن الرئيس كارتر عن استعدادة للقيام بزيارة سريعة لمصر ضمن جولته للتفاهم مع السادات . وقد استقبله السادات فى أسوان صباح ٤ من يناير ١٩٧٨ وهو فى طريقه من السعودية الى فرنسا .

وفى نهاية لقاء استغرق ساعتين ،لقى كارتر كلمة لخص فيها المبادئ الاساسية للتوصل الى سلام عادل ودائم من وجهة نظره ، وهذه المبادئ هى :

١ — يجب ان يكون هناك انسحاب اسرائيلى من اراض احتلتها عام ١٩٦٧ ، واتفاق على حدود آمنة ومعترف بها لجميع الاطراف فى اطار علاقات طبيعية وسلمية .

— ١٨٢ —

٢ — يجب أن يكون هناك حل للمشكلة الفلسطينية بكل جوانبها ويجب الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وتمكين الفلسطينيين من المشاركة في تقرير مستقبلهم .

وجدير بالملاحظة أن كارتر لم ينص في هذه التصريحات على الانسحاب الشامل، كما أنه لم يعدل عن معارضته لفكرة الدولة الفلسطينية المستقلة، كذلك اتخذت الإدارة الأمريكية للمرة الأولى موقفا معلنا من مستقبل القدس يقترب كثيرا من الموقف الاسرائيلي .

وبذا يمكننا القول أنه لم تطرأ عناصر ايجابية في الموقف الأمريكى ، وأن العنصر الايجابى الوحيد هو التصريح الأمريكى بعدم مشروعية إقامة المستوطنات الاسرائيلية في الاراضى المحتلة ، ومعارضة هذا العمل للقانون الدولى .

اجتماع اللجنين العسكرية والسياسية :

بدأت أعمال اللجنة العسكرية في ١٠ يناير ١٩٧٨ في القاهرة ، بينما تأجل انعقاد اللجنة السياسية في القدس بسبب عدم الاتفاق على جدول الأعمال .

وبالنسبة للجنة العسكرية ، فقد قدم كل من الجانبين المصرى والاسرائيلى مشروعا خاصا يتضمن خطة ومراحل الانسحاب من سيناء والخطوط التى تنسحب اليها القوات الاسرائيلية في كل مرحلة ، واطراح قوات الطرفين والأمم المتحدة في المناطق المختلفة بالإضافة الى وضع المستعمرات والمنشآت الاسرائيلية . ولكن تعذر الاتفاق حول مسائل جوهرية مثل المستوطنات والحدود الدولية مما أدى الى قطع المباحثات وعودة الوفد الاسرائيلى الى بلاده للتشاور مع حكومته .

وبعد طول مشاورات اجتمعت اللجنة السياسية في القدس في ١٦ يناير ١٩٧٨ ، وحضر اجتماعاتها سيروس فانس وزير الخارجية الأمريكية . وقد افضى الخلاف حول مشروع اعلان المبادئ الذى تقدمت به مصر الى تفجير المباحثات ، واتخاذ السادات قرارا بعودة الوفد المصرى . وقد

احتوى المشروع المصرى على خمسة بنود أساسية هى : الانسحاب الاسرائيلى من جميع الاراضى العربية المحتلة ، وضمان سلامة الاراضى والاستقلال السياسى لكل دولة ، واحترام حق جميع الدول فى المنطقة فى السيادة ووحدة اراضيها ، وتحقيق تسوية عادلة للمشكلة الفلسطينية بجميع جوانبها على أساس حق تقرير المصير ، وانهاء دعاوى الحرب واقامة علاقات سلمية .

ولكن اسرائيل رفضت المقترحات المصرية فيما يختص بالانسحاب والمشكلة الفلسطينية . وتوسطت الولايات المتحدة بين الطرفين لاستئناف المحادثات ، غير أن جهودها باءت بالفشل .

وازاء هذا الموقف ، لم تجد الولايات المتحدة بدا من بقاء الفريد اثرتون مساعد وزير الخارجية الأمريكى فى المنطقة للعمل على تقريب وجهتى نظر الجانبين . كذلك وجه كارتر دعوة للسادات لزيارة الولايات المتحدة للتشاور وابداء الرأى . وقد نجح كارتر أثناء زيارة السادات فى الحصول على وعد منه بالعمل على استئناف المفاوضات .

وعلى الرغم من ظهور بعض النقاط الايجابية فى الموقف الأمريكى مذل النص على أنه لا يمكن تحقيق السلام الدائم العادل دون حل للمشكلة الفلسطينية ، والتوصل الى تسوية على أساس جميع مبادئ القرار رقم ٢٤٢ ، وعدم شرعية الاستيطان الاسرائيلى فى الاراضى المحتلة ، فقد استمر الموقف الأمريكى السلبي حيال التمتع الاسرائيلى ، مما قلل من قوة دفع السلام فى المنطقة ، وحتم العودة مرة أخرى الى رحلات الوساطة بين مصر واسرائيل . وقد حققت رحلات الوسيط الأمريكى الفريد اثرتون نجاحا نسبيا فيما يتعلق بالمحافظة على قوة الدفع فى عملية السلام ، بينما أخفقت تماما فى محاولة تقريب وجهتى النظر فيما يتعلق باعلان المبادىء .

أدى التشدد الاسرائيلى الى احساس السادات بالخطر الداهم على المبادرة ، وارتسمت أمام ناظره احتمالات أخفاقها ، فهداه تفكيره الى

ابتداع وسيلة يشغل بها الرأي العام المصرى ويسكت أصوات المعارضة فلجأ الى الاستفتاء الشعبى الذى لا يكلفه مشقة أو عناء فضلا عن نتيجته المضمونة سلفا . وطرح السادات استفتاء الشعب فى مايو ١٩٧٨ ، انصب فقط على صحة معالجة الحكومة لقضية السلام الاجتماعى وحل الأحزاب التى يديرها من أفسدوا الحياة السياسية قبل الثورة .

شعرت الولايات المتحدة بسوء موقف السادات فسارعت الى العمل على استئناف المباحثات . وكللت مساعيها بالنجاح ، فقد اجتمع فى يوليو سنة ١٩٧٨ فى قلعة ليدز ببريطانيا وزراء خارجية مصر واسرائيل والولايات المتحدة . ولأول مرة طرح موشى ديان وزير خارجية اسرائيل ، نظرية الفصل بين الأرض والسكان .

وقد بنى نظريته على أساس أن يهودا والسامرة (الضفة الغربية) ، أرض اسرائيلية ، أما العرب الفلسطينيون الذين يعيشون فيها فينطبق عليهم الحكم الذاتى الادارى فقط ، حيث يتمتع اليهود بحقوق مماثلة لحقوق العرب تماما ، فلهم حق استيطانها مثلهم . وبالنسبة لمضمون الحكم الذاتى الادارى فهو لا يعدو اختصاصات المجالس البلدية مع تكوين شرطة محلية عربية ، وتحديد فترة انتقالية تزيد على خمس سنوات .

الا أن محمد ابراهيم كامل ، وزير خارجية مصر ، فند آراء موشى ديان ، وطرح مفهوما آخر للحكم الذاتى وأكد أن القدس الشرقية تشكل جزءا من الضفة الغربية وتنطبق عليها المفاوضات .

ونظرا لتباين وجهتى نظر الطرفين واتساع شقة الخلافات ، فقد انتهت محادثات ليدز الى الاخفاق . وقد أدى ذلك الى أن يهاجم السادات بيجين علنا فى خطاب ٢٦ يوليو ١٩٧٨ ، اذ حملة مسئولية عرقلة السلام .

وفى نفس الوقت حاول السادات أن يحرك عجلة السلام دوليا ، فالتقى فى النمسا فى ٢ يوليو سنة ١٩٧٨ بالمستشار النمساوى برونو

— ١٨٥ —

كرايسكى ، وشيمون بيريز ، زعيم حزب العمل الاسرائيلى ، وزعماء الاشتراكية الدولية .

وقد انفض هذا اللقاء عن وثيقة تضمنت ثلاثة مبادئ لاقامة سلام دائم بين العرب واسرائيل كل اهمها : ارتكاز السلام فى الشرق الأوسط على علاقات طبيعية وودية تنشأ بين دوله ، بما فى ذلك اقامة نظام اقليمى جديد للعلاقات ينهض على التعاون الوثيق . وقد أكدت هذه الحسيمة أولوية طبيعة السلام على ما عداه من مسائل الانسحاب وقضية فلسطين ، وهو ما يؤيد الصيغة الاسرائيلية .

وقد شهدت الفترة المتبقية من صيف سنة ١٩٧٨ تردد القيادة المصرية بين الماضى فى المبادرة والعودة الى الصف العربى ، خاصة بعد أن أخفقت المساعى المصرية فى اقناع الملك حسين بالعمل مع مصر بهدف تسهيل المحادثات الخاصة بالضفة الغربية ، كذلك محاولات راب الصدع بين مصر والدول العربية سيما دول المواجهة .

وقد حسم الرئيس الأمريكى كارتر هذا التردد بفيلة منع مصر من العودة الى الصف العربى ، فقرر دعوة السادات وبيجين الى مؤتمر قمة ثلاثى فى كامب ديفيد .

كيف تم التوصل الى اتفاق فى كامب ديفيد ؟

التمعقد المؤتمر الثلاثى فى كامب ديفيد فى الفترة من ٥ — ١٧ سبتمبر سنة ١٩٧٨ . وفى جلسة المؤتمر الامتتاعية يوم ٦ سبتمبر قرأ السادات خطابا تضمن وجهة النظر المصرية بشأن اطار التسوية الشاملة ، وكان أهم ما جاء فيه ما يلى :

- ١ — يوافق الطرفان على أن اقامة سلام عادل ودائم يتطلب :
(أ) انسحاب الاسرائيل من كافة الاراضى المحتلة وفقا لمبدأ حظر الاستيلاء على الارض من طريق الحرب .
(ب) يكون اجلاء المستوطنات الاسرائيلية من الاراضى المحتلة وفقا للوقت الذى يتم الاتفاق عليه .

(ج) يكون ضمان الأمن والسيادة ووحدة الأراضي والاستقلال السياسي لكل دولة عن طريق الترتيبات الآتية :

- إقامة مناطق منزوعة السلاح على كلا جانبي الحدود .
- وضع قوات تابعة للأمم المتحدة على كلا جانبي الحدود .
- وضع أجهزة للإنذار المبكر بشكل تبادلي .
- اشتراك كافة الأطراف الموقعة على هذه المعاهدة في منع انتشار الأسلحة النووية والتزام جميع الأطراف بعدم انتاج أو الاحتفاظ بالأسلحة النووية
- تطبيق مبدأ حرية الملاحة في مضائق تيران .
- إقامة علاقات من التعاون والسلام وحسن الجوار بين الطرفين
- (د) تلتزم جميع الأطراف ألا تستخدم التهديد باستعمال القوة ، أو استخدام القوة في تسوية المنازعات فيما بينها ، وأن تحل جميع المنازعات بالوسائل السلمية وفقاً للمادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة .
- (هـ) يتم إلغاء الحكم العسكري في الضفة الغربية وقطاع غزة عند التوقيع على معاهدة السلام ، ويتم نقل السلطة الى الجانب العربي بشكل منظم وبالوسائل السلمية . وسوف تكون هناك فترة انتقال لا تزيد على خمس سنوات تبدأ من يوم التوقيع على الاطار الشامل ، وقبل ستة أشهر من نهاية الفترة الانتقالية يمارس الشعب الفلسطيني حقه في تقرير المصير ، ويمكنه أن يقيم كيانه الوطني .
- (و) تنسحب اسرائيل من القدس الى حدود الهدنة التي كانت قائمة عام ١٩٤٩ . وتعاد السيادة العربية والادارة العربية الى مدينة القدس العربية . وتتم إقامة مجلس بلدى مشترك ، يتم تشكيله من عدد متساو من الفلسطينيين والاسرائيليين . وطالب السادات اسرائيل بدفع تعويضات عن الخسائر الناتجة عن الحرب ، التي حاقت بالسكان والمنشآت المدنية ، ولتقل المصادر الطبيعية التي تم استغلالها في الأراضي المحتلة .

ثم وعد السادات بالاعتراف الكامل بإسرائيل وبانتهاء المقاطعة العربية لها ، وضمن حريتها في الملاحة دون قيد في قناة السويس .

أثارت مقترحات السادات غيظ بيجين وسخطه ، ولكنه كتم غيظه . وانتهت الجلسة الافتتاحية على أمل أن يعد بيجين رده على المقترحات المصرية في أقرب وقت . كما أن كارتر أحال وثيقة السادات إلى وزير الخارجية الأمريكية وإلى مساعد الرئيس لشئون الأمن القومي لاعداد رد الولايات المتحدة عليها .

وفي صباح اليوم التالي الموافق ٧ من سبتمبر ، عقد الوفد الإسرائيلي اجتماعا لمناقشة المقترحات الإسرائيلية المضادة التي تم اعدادها في الليلة الماضية ، وبعد مناقشات طويلة تمت الموافقة عليها . ثم اجتمع الوفدان الإسرائيلي والأمريكي حيث طالب وزير الخارجية الأمريكية بليقاف الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وتحديد عدد المستوطنات وعدد المستوطنين ، مع البدء في تنفيذ ذلك فوراً . وقد رفض موسى ديان ، وزير الخارجية الإسرائيلية ، مقترحات « فانس » بكاملها ، وانفخ الاجتماع دون أى نجاح . ولم يكن الاجتماع الثلاثي المنعقد بين كارتر والسادات وبيجين بأسمه حظاً منه . ثم اصطدمت جلسة المساء بين الرؤساء الثلاثة باصرار بيجين على الإبقاء على المستوطنات الإسرائيلية في سيناء بدعوى أنها تشكل حزام أمن يحمي إسرائيل . كما أعلن بيجين رفض إيقاف عملية الاستيطان في الضفة الغربية وقطاع غزة حتى ولو أدى ذلك إلى الاصطدام بالولايات المتحدة .

وفي نحو الحادية عشرة من مساء يوم ٧ من سبتمبر ، عقد اجتماع بين الوفدين المصري والأمريكي ، وقد بين الرئيس كارتر أن المشكلة الرئيسية في سيناء هي مشكلة المستوطنات والمطارات الإسرائيلية المقامة عليها ، ووجود تعارض واضح بين موقفى مصر وإسرائيل . ثم تكلم السادات فقال « أن هناك موضوعين أساسيين لا يمكن بلأى حال من الأحوال التنازل عنهما وهما الأرض والسيدة » .

وبعد أن انتهى السادات كلامه ، صد الرئيس كارتر يقول « انه أناء

الخلافت الجهورية بين مصر واسرائيل حول الضفة الغربية وغزة فانه ينوى التقدم بمشروع أمريكى للتسوية يقوم على فكرة الحكم الذاتى وانه يمكن تأجيل القضايا الأساسية التى تتعلق بالسيادة على الضفة وغزة لمناقشتها فى نهاية الفترة الانتقالية ، كما أن مشروع بيجين مشروع طيب لفترة انتقالية وأنه اذا لم يمكن اشتراك الأردن فى أعمال الفترة الانتقالية ، فانه يأمل أن تشترك مصر فى أعمال هذه الفترة ، وأن يكون لها وجود فى الضفة والقطاع .

« وأضاف الرئيس الأمريكى : أن مشروعه لن يخوض فى التفاصيل ، وسوف يكفى بالخطوط العريضة للتسوية » (١) .

ثم تكلم محمد ابراهيم كامل ، وزير الخارجية المصرية ، عندما طلب منه كارتير الحديث فقال : اننا نرفض مشروع الحكم الذاتى الذى قدمه بيجين فى الاسماعيلية كأساس للتسوية . كما شجب تأجيل بحث السيادة على الضفة الغربية وغزة باعتبار أنها غير واضحة ، وأصر على أن « يعكس المشروع الأمريكى مواقف الولايات المتحدة الرسمية المظنة بشأن النزاع وهى : الانسحاب من الأراضى العربية المختلفة مع إمكانية اجراء تعديلات طفيفة أو غير مؤثرة فى الضفة الغربية فقط اذا اتفق عليها ، وعدم شرعية المستوطنات ، وحق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة أو التعويض ، وعدم الاعتراف بضم القدس العربية ، وأخيرا صيغة اسوان التى صاغها الرئيس كارتير بنفسه لحل القضية الفلسطينية » (٢) .

ثم عقد الجانبان الأمريكى والاسرائيلى فى يوم الأحد الموافق العاشر من سبتمبر اجتماعين أحدهما بعد الظهر ، وقد عرض فيه كارتير المقترحات الأمريكية ، والآخر فى المساء لمناقشة تلك المقترحات .

وفى الاجتماع الأول ، كان القسم الأكبر من مقترحات كارتير يتناول مسائل الضفة الغربية وغزة والفلسطينيين والحكم الذاتى والقدس ،

(١) محمد ابراهيم كامل ، السلام الضائع ، ص ٥٠٥ — ٧ .

(٢) نفس المصدر ص ٥١١ — ٣ .

والقسم الأصفر لسيناء . وقد استبعد كارتر بحث قضية السيادة على الضفة الغربية وغزة في كامب ديفيد ، على حين علق آمالا على إمكانية التوصل الى اتفاق بشأن المستوطنات الاسرائيلية والانسحاب من سيناء . وقد تجنب المشروع الأمريكى قضية انسحاب اسرائيل الكامل من الضفة الغربية ، وبنى التسوية على اساس مشروع الحكم الذاتى الاسرائيلى ، فى حين ضمن لاسرائيل حرية الملاحة فى مضائق تيران وقناة السويس ، وحرية الحركة عبر حدود البلدين (مصر واسرائيل) ، وعدم تقسيم القدس ، وانهاء المقاطعة الاقتصادية والتجارية ، وضمانا ضد حشد أى قوات هجومية مصرية فى سيناء خلف ممرى متلا والجدي .

وقد كان أهم النقاط التى اعترض عليها بيجين فى المشروع الأمريكى ، صياغة الفقرة الواردة فى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ والتى تنص على عدم جواز حيازة الاراضى عن طريق الحرب .

وقد اتفص الاجتماع لكى يقوم الوفد الاسرائيلى بداسة المقترحات الامريكية دراسة عميقة مستفيضة .

وقد انعقد الاجتماع الثانى فى الساعة التاسعة والنصف من مساء نفس اليوم واستمر حتى الساعة الثالثة من صباح اليوم التالى . وفى بداية الاجتماع وجه بيجين حديثه الى الرئيس الأمريكى قائلا « نحن نقدر ما بذلتموه من جهد ، ولكن لدينا بعض الاقتراحات بادخال بعض التعديلات : وسوف نقدم فى الغد ردنا على الوثيقة المصرية . وسوف نقدم الآن ردنا على مقترحاتكم فقرة فقرة » .

ثم أخذ المدعى العام الاسرائيلى يتناول المقترحات فقرة فقرة ، مبتدئا بحذف كل الاشارات الى قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ . وقد قاطع كارتر المدعى الاسرائيلى قائلا « ان الوقت لا يسمح لنا باللف والدوران . ولو كنتم قد سحبتم موافقتكم على قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ ، لما كنت قد دعوتكم الى كامب ديفيد ، ولما كنت قد دعوت لعقد هذه الجلسة » .

« واجاب بيجين : اننا لا نعتبر القسار ، بما فى ذلك ديباجته ولزهما

في حد ذاته . وقد كان ذلك موقفنا طوال الأحد عشر عاما الماضية « ويقول كارتر « كان هذا الادعاء بالنسبة لى مجرد ستار لرفض الوثيقة الوحيدة التي تركز عليها الجهود الرامية الى اقرار السلام في الشرق الأوسط ، وقد وافقت اسرائيل وجميع أعضاء الأمم المتحدة تقريبا عليها بأكملها » (١) .

وقد تناول كارتر في حديثه أهمية مناقشة مسألة الحقوق القومية للفلسطينيين بما في ذلك حقهم في تقرير المصير ، واقترح تجميد عملية اقامة المستوطنات ، وانسحاب اسرائيل من المستوطنات والمطارات القائمة في سيناء ، وأن تبقى قوات جيش الدفاع الاسرائيلي في الضفة الغربية فترة تزيد على خمس سنوات .

وقد رفض الوفد الاسرائيلي مقترحات كارتر فيما عدا ما يختص ببقاء قوات جيش الدفاع الاسرائيلي فترة تزيد على خمس سنوات (٢) .

وفي نحو التاسعة من صباح اليوم التالي ، سلم الوفد الاسرائيلي الجانب الأمريكي رد اسرائيل على مقترحات كارتر . وكان الرد الاسرائيلي يتضمن الانسحاب من سيناء على ان تظل المستوطنات والمطارات الاسرائيلية القائمة في الشمال الشرقي وجنوب وشرق سيناء تحت السيطرة الاسرائيلية .

اما فيما يتعلق بالضفة الغربية وقطاع غزة فقد أكد الاسرائيليون عدم انسحابهم من تلك الأراضي . وبعد ان فرغ كارتر من قراءة الرد الاسرائيلي على مقترحاته أحس بعدم الرضا . ثم اجتمع بالسادات في صباح الحادى عشر من سبتمبر حيث استمع الى تعاليقه على الرد الاسرائيلي « اذا كان ذلك هو موقف اسرائيل النهائي ، فليس هناك ما يمكن ان نفعله هنا » . وكان السادات يريد ان يتم انسحاب جميع الاسرائيليين من سيناء في مدى عامين . وهاجم السادات ايضا الموقف الأمريكي الذي تمثل في المقترحات الأخيرة .

(١) كارتر ، مذكرات رئيس ، ص ٣٧٣ — ٥ .

(٢) ايتان هابر وآخرون ، حديث في كامب ديفيد (مترجم) ، ص ص

وكد تم فى هذا الاجتماع الاتفاق بين كارتر والسادات على استثناء القدس من المحادثات . ومن التنازلات التى قدمها السادات الى كارتر ، تقديم موعد تدليع العلاقات مع اسرائيل وارجاء تحديد الوضع النهائى للضفة الغربية . ولكن كان موضوع الضفة الغربية وغزة هو الذى يشكل الصعوبة الحقيقية فى التوصل الى اتفاق على اطار للسلام الشامل .

وبعقب محمد ابراهيم كامل ، وزير الخارجية المصرية الاسبق ، على المشروع الأمريكى قائلا : « ولم ينص المشروع الأمريكى على الانسحاب من سيناء ولا على الانسحاب من الضفة مع تعديلات طفيفة . كما انه لم يشر الى الانسحاب من القدس الغربية ، ولا هو تضمن اشارة الى مصر المستوطنات ، سواء فى سيناء او فى الضفة الغربية وغزة » . « ويعدلى المشروع لاسرائيل دورا رئيسيا وسلطات واسعة فى الضفة الغربية وغزة خلال الفترة الانتقالية ، بينما يجعل دور مصر والأردن ثانويا فيهما ، بل وبكاد يقتصر على توفير الحماية لاسرائيل . كما لم يعالج المشروع موضوع عودة اللاجئين والنازحين معالجة مؤثرة ، وجعل ترتيبات الامن لاسرائيل وحدها ، وليس للأطراف جميعا » .

وعلى الرغم من التنازلات التى قدمها السادات ، لم يبد الاسرائيليون المرونة اللازمة لانجاح المؤتمر . وهنا أدرك السادات ان مفاوضات كامب ديفيد قد وصلت الى طريق مسدود ، وفى يوم ١٥ سبتمبر قرر السادات الانسحاب من مؤتمر كامب ديفيد والسفر الى واشنطن للاجتماع بلجنة الشئون الخارجية فى الكونجرس ، ثم عقد مؤتمر صحفى والتحدث فى التلفزيون لتوضيح ما حدث ثم العودة الى مصر .

ويقول محمد ابراهيم كامل « ان السبب فى ثورة السادات وتفكيره فى مفادرة كامب ديفيد هو انه أدرك انه قدم تنازلات كثيرة بالنسبة الى الضفة الغربية وغزة تحت الحاح الرئيس الأمريكى أو استجابة لوعوده المعسولة فى تحقيق تسوية شاملة فى النهاية . ثم تبين له ان صديقه والشريك الكامل قد عجز تماما عن استخلاص أى مقابل لما تنازل عنه من مناحم بيجين ، وأبقى على الواقع المزرى الأليم ، وهو ان سيناء ليس

هناك ما يضمن له أن يستعيد خالية من المستوطنات والمطارات . فيكون بذلك قد خيب آمال المصريين بعد أن خسر العرب وخرج من المولد صفر اليدين « .

ولكن بعد زيارة كارتر للسادات تغير الوضع تماما وهدأت ثورة السادات ، وبدأت على سمات وجهه أمارات السرور والفخر ، واستدعى أعضاء الوفد المصري حيث بادرهم بقوله « أن الرئيس كارتر رجل عظيم ، وذو ذكاء خارق ، لقد حل المشكلة ببساطة شديدة ، وأرضاني تماما » . وتسأل الوفد المصري : كيف ؟

« قل : لقد قال انى أستطيع أن أعلق الالتزام بأى اتفاق نوقع عليه على موافقة المؤسسات الدستورية في مصر واسرائيل ، أى مجلس الشعب عندنا والكنيست في اسرائيل ، بحيث إذا رفضه كلاهما أو أحدهما ، فإن جميع ما اشتمل عليه الاتفاق من التزامات على الجانبين يسقط ويصبح غير ملزم لنا فى أية مفاوضات مستقبلية » .

وعندما سأل محمد ابراهيم كامل عن ماهية الاتفاق الذى سيتم التوقيع عليه ، أجاب السادات « سأوقع على أى شيء يقترحه الرئيس كارتر دون أن أقرأه » . ثم غادر المكان الى استراحته (١) .

وفي الساعة الحادية عشرة من صباح ١٦ من سبتمبر ، قصد محمد ابراهيم كامل استراحة السادات وأوضح له أن الاتفاقية طبقا للمشروع الأمريكى لن تؤدي الى حل شامل ، بل ستنتهى الى صالح منفرد بين مصر واسرائيل مما سيؤدي الى عواقب وخيمة ، أخطرها عزل مصر وانعزالها عن العالم العربى . ولكن السادات نسي أن يكون ذلك صلحا منفردا طالما أنه ملتزم بأن يقوم بدور فى الحكم الذاتى فى الضفة الغربية وغزة خلال فترة السنوات الخمس الانتقالية وحتى تحل القضية الفلسطينية من جميع جوانبها .

(١) محمد ابراهيم كامل ، السلام الضائع ، ص ٥٧٦ ، ٥٨١ .

— ١٩٣ —

ولما بين محمد ابراهيم كامل أنه بنى مبادرته على أساس الحل الشامل ، وطلب منه أن يعيد النظر في توقيع الاتفاقية ، وأن يعود الى مصر ، ويجرى مشاورات مع الدول العربية ، رفض السادات طلبه وأصر على المضي في مبادرته الى النهاية . وهنا لم يجد محمد ابراهيم كامل مفرأ من تقديم استقالته ، وكان رد السادات « اذا كان هذا يريحك فأتى أقبل استقالتك ، وكل ما أطلبه منك الا تخبر أحدا بأمرها حتى نعود الى مصر » . فوعده محمد ابراهيم كامل بأن يغفل ذلك (١) .

وقد توصل الرئيس كارتر ، بعد عدة اجتماعات عقدها مع الوفدين المصري والاسرائيلي ، الى حل مشكلة المستوطنات والمطارات الاسرائيلية في سيناء ، ولم تبق سوى مشكلة صياغة الخطابات النهائية الثلاث ، التي حسمها كارتر يوم ١٧ سبتمبر ، وفي ذلك يقول « كنا جميعا منهكين تهما ، ولكن فجأة وجدت تفكيرى يصفو ، وعثرت على طريقة لصياغة الخطابات النهائية الثلاثة كلها بشكل يرضى كل من السادات وبيجين » . « وعندئذ فقط ، أدركت أننا قد نجحنا » (٢) .

وأخيرا انتهى مؤتمر كامب ديفيد الى وثيقتين : الأولى وتشمل اطار السلام في الشرق الأوسط ، والثانية وتتضمن اطار الاتفاق لمعاهدة سلام بين مصر واسرائيل .

اتفاقيتا كامب ديفيد :

الاتفاقية الأولى : اطار السلام في الشرق الأوسط وتشتمل على مقدمة استرشادية ، ونظام اقرار مبدأ الحكم الذاتي للضفة الغربية وقطاع غزة ، وشكل وطبيعة السلام المتوقع بين مصر واسرائيل ، كذلك بين اسرائيل والأردن وسوريا ولبنان .

القسم الأول من الاتفاقية الأولى :

١ — الضفة الغربية وقطاع غزة :

نص على أنه ينبغي أن تشترك مصر واسرائيل والأردن وممثلو

(١) محمد ابراهيم كامل ، نفس المصدر ، ص ص ٥٩١ — ٥ .

(٢) كارتر ، المصدر السابق ، ص ٤٠١ .

الشعب الفلسطيني في المفاوضات الخاصة بحل المشكلة الفلسطينية .
ولتحقيق هذا الهدف ، فإن المفاوضات المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة
ينبغي أن تتم على ثلاث مراحل :

(١) لضمان نقل منظم وسلمي للسلطة ، يجب أن تكون هناك ترتيبات
انتقالية بالنسبة للضفة الغربية وقطاع غزة لفترة لا تتجاوز خمس سنوات .
ويتم في تلك الفترة حكم ذاتي كامل للفلسطينيين في الضفة والقطاع قائم
على الانتخاب الحر ، وانتهاء الحكم الاسرائيلي العسكري والمدني فوراً
بمجرد انتخاب سلطة الحكم الذاتي الفلسطيني التي تحل محل الحكومة
العسكرية الاسرائيلية وادارتها المدنية .

(ب) أن تتفق مصر واسرائيل والأردن على وسائل إقامة سلطة
الحكم الذاتي المنتخبة في الضفة الغربية وقطاع غزة . . . وقد يضم مصر
والأردن وفلسطينيين ، وتتفاوض الأطراف بشأن اتفاقية تحدد مسؤوليات
سلطة الحكم الذاتي . ثم تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية مع بقاء
بعض هذه القوات في مواقع أمن معينة ، وتشكل قوة شرطة محامية من
الفلسطينيين وقد تضم مواطنين أردنيين ، وتعين دوريات مشتركة من قوات
أردنية واسرائيلية لتشكيل مراكز مراقبة لضمان أمن الحدود .

(ج) تقوم سلطة حكم ذاتي « مجلس اداري » في الضفة الغربية
وغزة في أسرع وقت ممكن دون أن يتأخر عن العام الثالث من بداية الفترة
الانتقالية . وبحلول نهاية الفترة الانتقالية يتم الاتفاق في المفاوضات بين
مصر واسرائيل والأردن وممثلي السكان في الضفة الغربية وغزة على
الوضع النهائي لهما ولابرام معاهدة سلام بين اسرائيل والأردن . كما
يجري انعقاد لجنتين منفصلتين تتكون احدهما من ممثلي مصر واسرائيل
والأردن والفلسطينيين في الضفة وقطاع غزة للتفاوض على الوضع النهائي
للضفة الغربية وغزة وعلاقتها بجيرانها . وتتكون اللجنة الثانية من ممثلي
اسرائيل وممثلي الأردن وممثلي سكان الضفة الغربية وغزة للتفاوض
بشأن معاهدة السلام بين اسرائيل والأردن .

(د) اتخاذ كل الاجراءات والتدابير الضرورية لضمان أمن اسرائيل
وجيرانها خلال الفترة الانتقالية وما بعدها .

(هـ) تشكل ، خلال الفترة الانتقالية ، لجنة مشتركة من ممثلي مصر والأردن وإسرائيل وسلطة الحكم الذاتي وتشترر صلاحيات السماح بعودة الأفراد الذين طردوا من الضفة الغربية وغزة في عام ١٩٦٧ .

(و) تتعاون مصر وإسرائيل مع الأطراف الأخرى لوضع اجراءات متفق عليها لتنفيذ الساجل والبادل والدائم لحل مشكلة اللاجئين .

القسم الثاني من الاتفاقية الأولى :

٢ - مصر وإسرائيل :

وتتعهد فيه كل من مصر وإسرائيل بعدم اللجوء الى التهديد بالقسوة او استخدامها لتسوية المنازعات ، وتتفقان على التفاوض باخلاص بهدف توقيع معاهدة سلام خلال ثلاثة اشهر من توقيع هذا الاطار .

كما حدد المبادئ المرتبطة حيث نص على « أن المبادئ والنصوص المذكورة أدناه ينبغي أن تطبق على معاهدات السلام بين إسرائيل وكل من مصر والأردن وسوريا ولبنان .

» وعلى الموقعين أن يقيموا فيما بينهم علاقات طبيعية كذلك القائمة بين الدول التي في حالة سلام . . . على أن تشمل الخطوات التي تتخذ في هذا الشأن على :

(أ) اعتراف كامل .

(ب) لبناء المتاحات الاقتصادية .

(ج) الضمان في أن يتمتع المواطنون في ظل السلطة القضائية بحماية الاجراءات القانونية في اللجوء للنضاء » .

كذلك فقد اوجب على الموقعين استكشاف امكانات التطور الاقتصادي في اطار اتفاقيات السلام النهائية بهدف المساهمة في صنع جو السلام والتعاون والصداقة .

الاتفاقية الثانية : اطار الاتفاق لمعاهدة سلام بين مصر وإسرائيل

وقد جاء في الديباجة « نوافق مصر وإسرائيل من أجل تحقيق السلام بينهما على التفاوض بحسن نية بهدف توقيع معاهدة السلام بينهما في غضون ثلاثة اشهر من توقيع هذا الاطار » .

- ١١٦ -

وقد أشير الى أن هدف المفاوضات هو وضع الخطوات التنفيذية للمبادئ الآتية :

(أ) الممارسة التامة للسيادة المصرية حتى الحدود المعترف بها دوليا بين مصر وفلسطين تحت الانتداب .

(ب) انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من سيناء في مدة ٢ - ٣ سنة .

(ج) استخدام المطارات التي يتركها الاسرائيليون بالقرب من العريش ورفع ورأس النقب وشرم الشيخ الأغراض المدنية فقط .

(د) حق المرور الحرة للسفن الاسرائيلية في خليج السويس وقناة السويس على أساس مساهدة القسطنطينية لعام ١٨٨٨ ، وتعتبر مضيق تيران وخليج العقبة ممرات مائية دولية على أن تفتح أمام كافة الدول الملاحية أو للطيران دون اعاقته أو تعطيل .

(هـ) إنشاء طريق بين سيناء والأردن بالقرب من ايلات مع كفالة حرية وسلامة المرور من جانب مصر والأردن .

تتمركز القوات العسكرية كما يلي :

(أ) تتمركز فرقة واحدة ميكانيكية أو مشاة فقط من القوات المسلحة المصرية داخل منطقة تبعد قرابة ٥٠ كم شرقي خليج السويس وقناة السويس .

(ب) تتمركز فقط قوات الأمم المتحدة والشرطة المدنية المسلحة بالأسلحة الخفيفة داخل المنطقة التي تقع غرب الحدود الدولية وخليج العقبة في مساحة يتراوح عرضها بين ٢٠ - ٤٠ كم .

(ج) أن تتواجد في المنطقة في حدود ثلاث كيلومترات شرق الحدود الدولية قوات اسرائيلية محدودة لا تتعدى أربع كتائب مشاة ومراقبين من الأمم المتحدة .

كما تلحق وحدات دوريات حدود لا تتعدى ثلاث كتائب بالشرطة المدنية للمحافظة على النظام في المنطقة التي أم تذكر آنفا ، وتتمركز قوات الأمم المتحدة في شرم الشيخ لضمان حرية المرور في مضيق تيران ، ولا يتم ابعاد هذه القوات ما لم يوافق مجلس الأمن على مثل هذا الإبعاد بإجماع الأعضاء الخمسة الدائمين :

١٩٧٧

وبعد توقيع اتفاقية سلام وبعد اتمم الانسحاب المؤقت تقام علاقات طبيعية بين مصر واسرائيل تتضمن الاعتراف الكامل .

الانسحاب المؤقت :

تسحب جميع القوات الاسرائيلية خلال فترة تتراوح من ٣ الى ٩ اشهر بعد توقيع اتفاقية السلام شرقى خط يمتد من نقطة تقع شرق خط العريش الى رأس محمد .

تحليل اتفاقية كامب ديفيد :

كان الهدف الرئيسى للسادات هو انسحاب اسرائيل من سيناء ، لذلك لم يخل كثيرا بمسير الضفة الغربية وقطاع غزة . فقد خلت الاتفاقية الاولى من نص يحرم انشاء المستوطنات اليهودية خلال الفترة الانتقالية ، كما لم يحدد اتفاق اطار السلام فى الشرق الاوسط موضوعين اثنين هما : موضوع القدس وموضوع السيادة على الضفة الغربية وقطاع غزة .

وقد ترك موضوع القدس جانبا ، على أن يحدد كل طرف موقفه فى خطاب يلحق بالاتفاق . كما أن السادات أرسل رسالة الى الرئيس كارتر بتاريخ ١٩/٢٢/١٩٧٨ حول القدس تتضمن ما يلى :

- ١ — تعتبر القدس العربية جزءا لا يتجزأ من الضفة الغربية .
- ٢ — أن القدس العربية يجب أن تكون تحت السيادة العربية .
- ٣ — أن من حق السكان الفلسطينيين فى القدس ممارسة جميع حقوقهم الوطنية المشروعة .

اما فيما يخص بترتيبات المرحلة الانتقالية لتوفير الحكم الذاتى من جهة ومراعاة أمن جميع الأطراف التى يشملها النزاع من جهة أخرى ، فيلاحظ طول مدة الفترة الانتقالية ، كذلك تقويض سلطة الحكم الذاتى ، التى ما هى الا مجلس ادارى يقوم فى الضفة الغربية وغزة .

وبالنسبة للأمن فقد انصب أساسا على توفير الأمن لدولة اسرائيل ، حيث تبنت قوات اسرائيلية فى مواقع أمن معينة ، كذلك فان الانتقالية المفترضة أن تسفر عنها المفاوضات بين الأطراف المختلفة تتضمن أيضا ترتيبات لتأكيد الأمن الداخلى والخارجى والنظام العام . هذا بالاضافة

الى اشتراك القوات الاسرائيلية والأردنية في دوريات مشتركة وفي تقديم الأفراد لتشكيل مراكز مراقبة لضمان أمن الحدود .

وتفترض الاتفاقية الأولى انضمام الأردن والفلسطينيين في مراحل تالية لمناقشة الترتيبات الانتقالية والتفاوض بشأن اتفاقية تحدد مسؤوليات سلطة الحكم الذاتي ، أما في المرحلة الأولى فإن الاتفاق يعقد بين مصر واسرائيل فقط .

ويضع الاتفاق شكل السلام المتوقع بين اسرائيل ومصر والأردن وسوريا ولبنان على الرغم من أن الدول الثلاث الأخيرة ليست طرفا في الاتفاق . وغنى عن الذكر أن اسرائيل في حالة الانسحاب الجزئي من الضفة الغربية لا ترغب حسب مضمون الاتفاقية في قيام سلالة فلسطينية كاملة بل تريد احلال السيادة الأردنية في الأجزاء التي تنسحب منها .

والغريب حقا أن الاتفاقية الأولى قد شخّصت طبيعة العلاقات الجديدة بين اسرائيل وجيرانها ومنها مصر ، اذ قامت بتحديد الواجبات بأنها الاعتراف الكامل وايقاف المقادعة الاقتصادية ومنح الحماية القانونية للمواطنين الاسرائيليين دون التزام من جانب اسرائيل .

أما الاتفاقية الثانية فقد أقرت سيادة مصر الكاملة على سيناء حتى الحدود الدولية التي كانت قائمة بين مصر وفلسطين ابان الانتداب البريطاني ، واتهام الانسحاب الاسرائيلي من سيناء فيها بين عامين وثلاثة أعوام ، وان تستخدم مصر المطارات الجوية التي يخلها الاسرائيليون قرب العريش وشرم الشيخ للأغراض المدنية فقط .

ويلاحظ طول مدة الانسحاب حيث طلبت اسرائيل وقتا طويلا حتى تبنى لها الولايات المتحدة مطارات بديلة في صحراء النقب فضلا عن القيود المفروضة على استخدام المطارات وتمركز القوات المصرية في سيناء ، فقد نسبت الاتفاقية على تركز فرقة ميكانيكية واحدة أو مشاة داخل المنطقة التي تبعد خمسين كيلومترا شرق قناة السويس وخليج السويس .

ثم منست الاتفاقية الى أبعد من ذلك ، فقد قبل السادات تطبيع العلاقات بين البلدين دون انتظار الانسحاب الاسرائيلي الكامل ، أي أن الوثيقة الثانية ربطت بين الانسحاب الاسرائيلي من سيناء واقامة العلاقات

— ١٩٩ —

الطبيعية بين الدولتين . فقد نصت الوثيقة على أنه بعد توقيع معاهدة السلام ، واثراً لتمام الانسحاب المؤقت (بعد فترة تتراوح بين ٣ — ٩ أشهر من توقيع المعاهدة) تقام علاقات طبيعية بين مصر وإسرائيل بما في ذلك الاعتراف الكامل متضمناً علاقات دبلوماسية واقتصادية وثقافية وانتهاء المقاطعة الاقتصادية ، ورفع القيود على حرية انتقال البضائع والأشخاص .

وإذا أمعنا النظر في صيغة العلاقات الطبيعية لوجدناها تتقارب إلى حد كبير مع الصيغة الإسرائيلية ، فضلاً عن الموافقة على المطلب الإسرائيلي بشأن مرحلة الانسحاب فترتبط بكل خطوة إجراءات بناء ثقة بين الطرفين للوصول إلى علاقات طبيعية ترغب فيها إسرائيل .

معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية ودولة إسرائيل (٢٦ مارس ١٩٧٩) :

تمت معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل بناء على اتفاقيتي كامب ديفيد ، حيث جاء في الديباجة « ان حكومة جمهورية مصر العربية وحكومة إسرائيل » اذ تؤكدان من جديد التزامهما بإطار السلام في الشرق الأوسط المتفق عليه في كامب ديفيد المؤرخ ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ فقد اتفقتا على الأحكام التالية من أجل تنفيذ الإطار الخاص بمعد معاهدة سلام بين مصر وإسرائيل . »

وكانت المفاوضات قد دارت بين مصر وإسرائيل بالاشتراك الولايات المتحدة ابتداء من أكتوبر ١٩٧٨ حتى تم توقيع المعاهدة في واشنطن في احتفال مهيب في البيت الأبيض في ٢٦ مارس سنة ١٩٧٩ . وقد اشتملت المعاهدة على تسع مواد وسبعة ملاحق ، وأهم هذه المواد هي :

المادة الأولى :

وهي تختص بانتهاء حالة الحرب بين الطرفين ، وقيام السلام بينهما عند تبادل وثائق التصديق على المعاهدة ، كذلك انسحاب كافة القوات الإسرائيلية والمدنيين من سيناء إلى ما وراء الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب كما هو وارد بالبروتوكول الخاص بالانسحاب الإسرائيلي وترتيبات الأمن (الملحق ١) واستئناف مصر ممارسته سيادتها

شعبه ١٩٩٥ م

الكاملة على سيناء . وعُند اتهام الانسحاب المرحلي الى شرق خط العريش
— رأس محمد ، يقيم الطرفان علاقات طبيعية وودية بينهما .

المادة الثانية :

وتنص على أن الحدود الدائمة بين مصر واسرائيل هي الحدود
الدولية المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت الانتداب .

المادة الثالثة :

وتتعلق بسيادة كل طرف على اراضيهِ وعدم اللجوء الى استخدام
القوة ، والتعهد بالامتناع عن التنظيم أو التحريض أو الاثارة أو المساعدة
أو الاشتراك في فعل من أفعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو النشاط
الهدام أو أفعال العنف الموجهة ضد الطرف الآخر في أى مكان ، كما يتعهد
كل طرف بأن يكفل تقديم مرتكبي مثل هذه الأفعال للمحاكمة .

ويتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التي ستقام بينهما
ستتضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية
وانهاء المقاطعة الاقتصادية .

المادة الرابعة :

وتتضمن نظام توفير الحد الأقصى للأمن لكلا الطرفين على أساس
اقلية ترتيبات أمن متفق عليها بما في ذلك مناطق محدودة التسليح في الاراضي
المصرية والاسرائيلية وقوات أهم متحدة ومراقبون من الأمم المتحدة .

المادة الخامسة :

وتشمل مرور سفن اسرائيل في قناة السويس وداخلها من خليج
السويس والبحر المتوسط ، واعتبار مضيق تيران وخليج العقبة من
الممرات المائية الدولية المفتوحة لكافة الدول .

المادة السادسة :

وهي تحدد حقوق والتزامات الجانبين ، فتتص على أن المعاهدة
لا تمس حقوق والتزامات الطرفين وفقا لميثاق الأمم المتحدة ، وأن يتعهد
الطرفان بأن ينفذا التزاماتهما الناشئة عن هذه المعاهدة ، وأن ينفذا كافة
التدابير اللازمة لكي تنطبق في علاقاتهما احكام الاتفاقيات المتعددة الاطراف

مادة ٢٠١

التي يكونان من أطرافها . كما يتعهد الطرفان بعدم الدخول في أى التزام يتعارض مع هذه المعاهدة . ويقر الطرفان بأنه في حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأى من التزاماتها الأخرى فإن الالتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة وناذة .

أما عن الملاحق ، فيأتى في مقدمتها الملحق (١) وهو البروتوكول الخاص بالانسحاب الاسرائيلى وترتيبات الأمن ، وأهم ما جله في المادة الأولى أن الانسحاب من سيناء يتم على مرحلتين :

(١) الانسحاب المرحلى حتى شرق خط العريش/رأس محمد خلال تسعة أشهر من تاريخ تبادل وثائق التصديق على المعاهدة .

(ب) الانسحاب النهائى من سيناء في مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات من تاريخ تبادل وثائق التصديق على المعاهدة .

أما المادة الثانية فتد حددت الخطوط النهائية والمناطق كالاتى :

(١) المنطقة « ١ » :

ويحدها من الشرق الخط « ١ » ومن الغرب قناة السويس والساحل الشرقى لخليج السويس ، وتتمركز في هذه المنطقة قوات عسكرية مصرية من فرقة مشاة ميكانيكية واحدة ومنشأتها العسكرية وتحصيناتها الميدانية . وتتكون العناصر الرئيسية لهذه الفرقة من :

١ — ثلاثة ألوية مشاة ميكانيكية .

٢ — لواء مدرع واحد .

٣ — سبع كتائب مدفعية ميدانية تتضمن حتى ١٢٦ قطعة مدفعية .

٤ — سبع كتائب مدفعية مضادة للطائرات تتضمن صواريخ فردية أرض/جو وحتى ١٢٦ مدفعا مضادا للطائرات عيار ٣٧ مم فأكثر .

٥ — حتى ٢٣٠ دبابة .

٦ — اجمالى حتى ٢٢ ألف فرد .

- ٢٠٤ -

(ب) - المنطقة « ب » :

يحدّها من الشرق الخط « ب » ومن الغرب الخط « أ » ، وتوفّر الأمن فيها وحدات حدود مصرية من أربع كتائب مجهزة بأسلحة خفيفة تعاون الشرطة المدنية في المحافظة على النظام .
وتتكون قوة الحدود من ٤٠٠٠ فرد .

(ج) - المنطقة « ج » :

يحدّها من الغرب الخط « ب » ومن الشرق الحدود الدولية وخليج العقبة ، وتتمركز فيها قوات الأمم المتحدة والشرطة المدنية المصرية فقط ، كما تتمركز قوات الأمم المتحدة في شرم الشيخ .

المنطقة « د » :

يحدّها من الشرق الخط « د » ومن الغرب الحدود الدولية . تتمركز فيها قوة إسرائيلية محدودة من أربع كتائب مشاة ، ومنشأتها العسكرية وتحصيناتها الميدانية . ويبلغ إجمالي القوة حتى ٤٠٠٠ فرد ، ليس معهم دبابات أو مدفعية أو صواريخ فيها عدا صواريخ فردية أرض/جو .

وقد حددت المادة الثالثة نظام الطيران العسكري ، فنصت على أن تكون طلعات طائرات القتال وطلعات الاستطلاع لمصر وإسرائيل فوق المنطقتين « أ » و « د » فحسب ، كل في منطقته . كما تتمركز الطائرات غير المسلحة وغير المقاتلة لمصر وإسرائيل في المنطقتين « أ » و « د » فقط كل في منطقته . في حين حددت المادة الرابعة ، النظام البحري العسكري ، فقررت أنه يمكن للطع البحرية التابعة لمصر وإسرائيل التمرّك على سواحل المنطقتين « أ » و « د » كل في منطقته . أما المادة الخامسة ، فقد حددت نظام الإنذار المبكر ، بأنه يمكن لكل من مصر وإسرائيل إنشاء وتشغيل نظم إنذار مبكر في المنطقتين « أ » ، « د » كل في منطقته .

الحدود الدولية وخطوط المناطق والقوات



تحليل معاهدة السلام المصرية - الاسرائيلية :

ربطت معاهدة السلام المصرية - الاسرائيلية بين عمية الانسحاب والتطبيع الكامل للعلاقات بين مصر واسرائيل عند اتهام الانسحاب المرحلى المنصوص عليه فى الملحق الاول ، وليس الانسحاب الكامل من سيناء . ويدور المفهوم الاسرائيلى لتطبيع العلاقات مع مصر حول قول اسحق لافون رئيس اسرائيل السابق « ان مقابل تنزلنا عن الثروات المادية فى سيناء يجب ان يكون ترجمة معاهدة السلام الى علاقات فعلية » . وطبقا لهذا المفهوم ، فان القيادة الاسرائيلية تعتبر التطبيع الكامل للعلاقات مع مصر ، ثمن انسحابها من سيناء . وبالتالي لم تصبح قضية الانسحاب فى مفهوم المعاهدة مرتبطة بالتعاودة القانونية الدولية التى تقضى بعدم جواز الاستيلاء على اراضى الغير بالقوة المسلحة . كما ان التبول بتطبيع العلاقات مع اسرائيل يتجاوز نصوص القرار رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ؛ لأن هذا القرار لم يتضمن أكثر من انتهاء حالة الحرب والاعتراف القانونى ، اذ ان مسألة التطبيع أمر وثيق الصلة بسيادة الدولة وحدها .

ان قبول مصر انتهاء حالة الحرب بمجرد تبادل وائق التصديق على المعاهدة ودون الربط بين سريان مفعول انتهاء حالة الحرب والانسحاب الاسرائيلى الكامل من سيناء ، يعنى تنازل مصر عن حقها المعترف به دوليا فى الدفاع الشرعى عن سلامة اراضيها الذى نشأ عن عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ . والانتظار لمدة ثلاث سنوات حتى تقم اسرائيل بالانسحاب (١) .

وبمقتضى المعاهدة ، أصبح التطبيع فى نهاية المطاف ، مرتبطا باجراءات الانسحاب الاسرائيلى من سيناء ، بحيث يبدأ والقوات الاسرائيلية مازالت تحتل الأراضى المصرية شرق خط العريش - رأس محمد .

كما أن التطبيع اتسع ليشمل مختلف مجالات العلاقات تقريبا ، وهو بذلك يشكل عملية متكاملة تهدف الى تحقيق مبادئ عامة مثل التنمية والرخاء والتعاون المتبادل . فالسلام فى مفهوم اسرائيل لا يعنى مجرد

(١) عصمت سيف الدولة : هذه المعاهدة : رسالة الى مجلس الشعب المصرى حول معاهدة كامب ديفيد ، بيروت ، دار المسيرة ، ١٩٧٩ ، ص ٧١ .

انتهاء حالة الحرب ، وانما يعنى علاقات كاملة وودية وتعاون اقليميا في شتى مجالات التنمية(١) .

وقد استطاعت اسرائيل أن تحصل على عدة تفضيلات ، سياحية في سانت كاترين ، وتجارية في البترول المصري في سيناء ، بالاضافة الى تفضيلات خاصة برحلات طيران شركة العمال الاسرائيلية الى القاهرة(٢) .

واذا تركنا قضية التطبيع جانبا ، لارتسمت امامنا القيود التي فرضتها المعاهدة على حرية مصر في ممارسة السيادة الكاملة على سيناء بعد انسحاب القوات الاسرائيلية ، اذ حددت المعاهدة القوة العسكرية المصرية التي تتمركز في المنطقة « أ » ولا تتجاوزها ، كما ألزمت مصر بعدم انشاء مطارات حربية أو موانئ عسكرية في سيناء ، وعدم استخدام الأسطول المصري للموانئ الموجودة بها فعلا .

كذلك فرضت المعاهدة قبودا تلزم الحكومة المصرية « بالامتناع عن التنظيم أو التحريض ، أو الاثارة ، أو المساعدة ، أو الاشتراك في فعل من أفعال الحرب ، أو الأفعال العدوانية أو النشاط الهدام أو أفعال العنف الموجهة ضد الطرف الآخر في أى مكان . كما تتعهد بأن تكفل تقديم مرتكبي مثل هذه الأفعال للمحاكمة » . كما نصت الفقرة الثالثة من المادة الخامسة من البروتوكول على أن « يعمل الطرفان على تشجيع التفاهم والتسامح ، ومنع كل طرق الدعاية المعادية تجاه الطرف الآخر » .

ولا شك أن تعبير « الدعاية المعادية » الذى ورد بالبروتوكول يتسع لتقييد حرية الفكر والمعيّدة وكل ما يتعلق بالنظرة الايديولوجية أو السياسية تجاه اسرائيل والصهيونية .

أما عن علاقات مصر بالعالم العربى ، فيمكن القول ان المعاهدة حطمت التزامات مصر العربية ، فلم تترك المعاهدة بابا أمام مصر للوفاء بالتزامات سابقة مع أطراف أخرى . كما تجبر المعاهدة مصر على عدم الدخول في التزامات في المستقبل تتعارض مع الالتزامات الواردة في هذه المعاهدة ، وفي حالة تعارض الالتزامات السابقة لاي طرف مع الالتزامات

(١) ابراهيم نوار : السياسة الدولية ، العدد ٦٥ يوليو ١٩٨١ ، ص

ص ٧٨ — ٩ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٨٠ .

- ٢٠٦ -

الناشئة عن هذه المعاهدة ، فان الالتزامات الناشئة من هذه المعاهدة هي التي تكون ملزمة ونافاذة . ويعنى هذا عند تحليل المادة السادسة من معاهدة السلام الزام مصر بنقض التزاماتها السابقة حيال الدول العربية ، لأن معظم هذه الالتزامات خلاص بدور مصر في مناهضة الصهيونية ومقاومتها بشتى الوسائل .

كما أن مصر لم تحصل من إسرائيل على أى التزام بسلوك محدد تجاه البلاد العربية في مقابل اعتراف مصر بها والتزامها بعدم اللجوء الى القوة لحل الخلافات التي تنشأ بينهما والتطبيع الكامل للعلاقات .

وجدير بالذكر أن المعاهدة أسندت الى الولايات المتحدة الأمريكية دوراً تنفيذياً محدداً ، فالولايات المتحدة وحدها دون غيرها هي التي تقوم بعمليات الاستطلاع الجوى للإشراف على الانسحاب ، وهي أيضا التي تقوم بتشكيل « قوات الأمن » في حالة فشل الأمم المتحدة ومجلس الأمن في تشكيل مثل هذه القوات . ويتضح من ذلك أن دور الأمم المتحدة قد أسند الى الولايات المتحدة . ولما كانت هذه القوات لا يمكن سحبها الا بموافقة الطرفين فتد تحولت في واقع الأمر الى قوات احتلال دائم تابعة للولايات المتحدة الأمريكية . وليس بخاف على أحد دور الولايات المتحدة المنحاز الى إسرائيل .

كما أضفت المعاهدة على الولايات المتحدة صفة « الحارس الوحيد والضامن لقيام الأطراف المعنية بتنفيذ الالتزامات الواردة في المعاهدة حيث ذكر خطاب « الالتزامات الأمريكية تجاه الطرفين » الموجه الى كل من الرئيس المصري ورئيس الوزراء الاسرائيلي ، والذي يعتبر جزءاً من المعاهدة المصرية الاسرائيلية « أنه في حالة حدوث خرق أو تهديد بخرق لمعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ، فان الولايات المتحدة ستقوم ببناء على طلب أحد الطرفين أو كليهما بالتشاور معها في هذا الشأن ، وستتخذ الاجراءات الأخرى التي تراها مناسبة لتحقيق الالتزام بهذه المعاهدة » .

وقد اعتبر الدكتور مصطفى خليل ، رئيس وزراء مصر حينذاك ، أن « مذكرة الاتفاق بين حكومة الولايات المتحدة ودولة إسرائيل بشأن ضمانات

— ٢٠٧ —

تنفيذ المعاهدة» التي وقعت بينهما قبل التوقيع على معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ، كانت « مفاجأة كبرى » له وذلك طبقا لما جاء في خطابه الذي أرسله الى فائس وزير خارجية الولايات المتحدة في ٢٥ مارس ١٩٧٩ ، « كما أنها تفترض الشك في التزام مصر بتعهداتها » وفيها « تقرر الولايات المحدة لنفسها دور الحكم » . وقد رفض رئيس وزراء مصر هذه المذكرة التي اعتبرها « موجهة ضد مصر » ، وقد عدد في خطابه الى سيروس فائس أسباب الرفض وأهم هذه الأسباب أنها « تخول للولايات المتحدة حقوقا لم يتم التفاوض بشأنها . . » وأنها تعطي الولايات سيطرة اتخاذ دابر عقابية كما تعطيها الحق في فرض وجودها العسكري في المنطقة لأسباب متفق عليها بينها وبين اسرائيل .

آثار اتفاقيتي كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية — الاسرائيلية :

احداث صراع عميق في صرح العلاقات العربية والتضامن العربي :

بتوقيع مصر معاهدة السلام مع اسرائيل في ٢٦ مارس ١٩٧٩ ، اجتمعت كلمة الدول العربية فيما عدا سلطنة عمان على رفض منهج مصر في تسوية الصراع العربي الاسرائيلي ، الا أن العرب لم يفتقروا على استراتيجية محددة المعالم تجاه الصراع مع اسرائيل ، بينما ظلت عوامل التمزق تنهش الجسد العربي . وقد اعتبرت معظم الدول العربية مجرد التفاوض مع اسرائيل خروجاً على الاجماع العربي ، حيث تعتبر القضية الفلسطينية وعلاقة أى بلد عربي باسرائيل هما من قبيل القضية القومية التي لا يجوز لأى بلد عربي أن يتصرف فيها على نحو منفرد ، وخروج مصر على هذا الاجماع يضر بالوطن العربي ومصلحه . وقد ترتب على معاهدة السلام أيضا تحطيم التزامات مصر العربية على النحو الوارد بالمادة السادسة من معاهدة السلام .

ولما كانت مصر لم تحصل من اسرائيل على أى التزام بسلوك محدد تجاه البلاد العربية في مقابل اعتراف مصر بها وتطبيع العلاقات الكاملة معها ، فقد نجحت اسرائيل في الفصل بين ما يجرى على الجبهة المصرية وما يجرى على الجبهات الأخرى .

— ٢٠٨ —

وبخروج مصر من حلبة الصراع ، فقد أصبح الجو مهيأ لتفتيت العالم العربى والسيطرة عليه اقتصاديا وعسكريا . أما على صعيد كتلة عدم الانحياز فقد ضعفت قدرة مصر على التأثير فيها اذا ما قورنت بفترة الخمسينيات .

زيادة التطرف والعريضة الاسرائيلية في منطقة الشرق الأوسط :

بعد أن تمكنت اسرائيل من اخراج مصر من الصراع العربى الاسرائيلى ، بدأت تصول في المنطقة العربية وتصرح علنا بأهدافها المتعارضة مع معاهدة السلام . ففي مايو عام ١٩٨١ ، وقف مناحم بيجين في الضفة الغربية يقول « أنا مناحم بن زيف وحنا (اسم امه) بيجين أقسم أمامكم بأنه طالما اننى أخدم هذه الأمة كرئيس لوزرائها ، فانى اتعهد أمامكم بأننا سوف لا ننسحب من أى شبر من يهودا والسامرة وقطاع غزة والجولان » . وفى ٣٠ يوليو سنة ١٩٨٠ ، ضمت اسرائيل القدس الشرقية واتخذت من مدينة القدس الموحدة عاصمة لها .

وفى عام ١٩٨١ ، دمرت اسرائيل المفاعل النووى العراقى ، كما ضمت مرتفعات الجولان فى ١٤ ديسمبر ١٩٨١ ، واستمرت في تكثيف المستعمرات في الاراضى العربية المحتلة في الضفة الغربية والجولان . وأخيرا نفذت اسرائيل غارة جوية وحشية في اول أكتوبر ١٩٨٥ على مقر منظمة التحرير الفلسطينية في حمام الشط في سواحي تونس .

ومما يسترعى الانتباه أن الوثائق الامريكية الرسمية التى تعلن في أعقاب كل عدوان اسرائيلى ، تكشف عن أن الولايات المتحدة اطلعت على الخطط العدوانية وناقشتها ووافقت عليها وسمحت بتنفيذها . حدث ذلك بالنسبة لعدوان اسرائيل عام ١٩٦٧ ، وبالنسبة لغزو اسرائيل للبنان عام ١٩٨٢ ، بل أن الولايات المتحدة جندت خبراء لها لمعاونة الفريق الاسرائيلى ، الذى كثف بتنفيذ الغارة على المفاعل النووى العراقى عام ١٩٨١ ، على حل كثير من المشاكل الفنية التى كانت تعترض التنفيذ .

الغزو الاسرائيلي للبنان :

لما كانت اسرائيل قد ضمت الجولان دون ان يترتب على تصرفها رد فعل عربي موحد وحاسم ، فقد توفر لديها اقتناع تام بأنها في مركز قوة يؤهلها لانجاز مخططاتها الرامية الى غزو جنوب لبنان . وقامت اسرائيل في يونية سنة ١٩٨٢ بغزو لبنان بهدف تصفية منظمة التحرير الفلسطينية سياسيا وعسكريا ، كما أعلن مناحم بيجين ان عملية سلام الجليل كانت ضرورية لازالة رواسب مريعة علقت بنفوس الاسرائيليين نتيجة حسرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ .

وعلى المستوى الاقليمي ، فلم يكن العالم العربي اضعفًا أو أكثر انقسامًا على نفسه في أي وقت مضى كما كان عليه عند وقوع الغزو الاسرائيلي . فعزلة مصر عن العالم العربي بعد توقيعها اتفاقتي كامب ديفيد ، حرم هذا العالم من أقوى نصير ومؤيد على المستويين السياسي والعسكري . كذلك هدف الغزو الاسرائيلي الى ارغام لبنان على ابرام اتفاق سلام مع اسرائيل على غرار اتفاقتي كامب ديفيد وهو ما تحقق لها بالفعل في ١٧ مايو سنة ١٩٨٣ وان اتصلت منه لبنان فيما بعد .

الهيمنة الامريكية على المشرق الأوسط :

في غياب الاتحاد السوفييتي عن المشاركة في حل قضية المشرق الأوسط وانفراد الولايات المتحدة بالحل ، فقد المشرق الأوسط التوازن الذي كان قائما ودخلت مصر في دائرة الهيمنة الامريكية على المشرق الأوسط وتخلت عن مبدأ عدم الانحياز ، وأغضبت الاتحاد السوفييتي لتجاهله ثم كان مشروع ريجان الذي يدعو إلى حكم ذاتي بالاتفاق مع الأردن مما يعتبر تحولا امريكيًا عن خطة كامب ديفيد .

والولايات المتحدة — بمعاونة اسرائيل — تسعى الى شرذمة المشرق الأوسط وتشجيعه واعادة صياغة انتماءاته عن طريق اذكاء نار النزاعات الطائفية والدينية والعراقية ودعوة بعض الدول العربية التي لها اوضاع يهيمنة ومصالح مشتركة مع الغرب الى الابتعاد تدريجيا عن

هموم الوطن العربى بحجة حمايتها من الصراع الرئيسى الدائر ، مع العمل على شغل مصر عن دورها العربى بتلهيتها بدور افريقى خالص وشدد نظرها الى الجنوب حيث منابع النيل .

اتفاق التعاون الاستراتيجى بين الولايات المتحدة واسرائيل :

ادى التناوب فى المصالح بين الولايات المتحدة الامريكية والصهيونية العالمية الى ابرام اتفاق التعاون الاستراتيجى بين الولايات المتحدة واسرائيل فى أعقاب مباحثات ريجان واسحق شامير فى ٢ ديسمبر سنة ١٩٨٣ . وينص الاتفاق الاستراتيجى صراحة على قيام تحالف عسكرى وثيق بين طرفيه من خلال اجراء تدريبات ، فضلا عن التعاون والتنسيق بين المخابرات المركزية الامريكية ونظيرتها الاسرائيلية ، الى جانب رفع نسبة مشتريات القوات الامريكية من الانتاج الحربى الاسرائيلى مع حق استخدام القوات الامريكية للقواعد العسكرية الاسرائيلية (١) .

ولا يقتصر التعاون الاستراتيجى على الجانب العسكرى وحده ، انما يتعداه الى الجانبين الاقتصادى والعلمى ايضا ، حيث ينص الاتفاق على تقديم دعم اقتصادى غير محدود الى اسرائيل .

وقد كانت هناك مجموعة من العوامل التى ساعدت على افراز هذا الاتفاق اهمها حالة الانقسام المخزى والصمت واللامبالاة السائدة فى العالم العربى ، والتى تمثلت فى عدم حدوث ردود فعل عربية مؤثرة وايجابية ضد الاتفاق من شأنها الاضرار بالمصالح الامريكية فى المنطقة . فلم تكن امريكا لتخرج علنا باتفاق معلن مع اسرائيل لو انها كانت تخشى ان تضار مصالحها فى البلاد العربية او مكان للعرب بقية من قوة .

ثم ابرم بين البلدين فى ابريل عام ١٩٨٥ ، اتفاق انشاء المنطقة الحرة ، كاتفاق مكمل ومنفذ لاتفاق التعاون الاستراتيجى ، وتلتها بعض الاتفاقات الاخرى المكملة لهما . التى انتقلت بالعلاقة بين الولايات المتحدة واسرائيل

- ٢١٦ -

الى مرحلة متقدمة تتمثل في مشاركة الولايات المتحدة الدائمة في اعادة صياغة الاقتصاد الاسرائيلي وتقديم كل سبل الحياة له ، من تعاون علمي ورؤوس اموال وتكامل انتاجي وتكنولوجي وأسواق لكي تصبح اسرائيل قاعدة مشتركة تنطلق منها لفزو أسواق البلاد العربية ، كما يجري الإعداد لادماج الاقتصاد الاسرائيلي بمحيطه العربي . وتعتبر اسرائيل الدولة الأولى التي توقع مع الولايات المتحدة مثل هذا الاتفاق ، الذي تستأثر بمقتضاه بعشرين بالمئة من التجارة الخارجية لاسرائيل .

تحقيق المصالح الاسرائيلية في المنطقة العربية :

يرتكز تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل من وجهة النظر الاسرائيلية على عدد من المحاور المؤثرة في مستقبل الوجود الاسرائيلي اهمها : توفير مزيد من الاستقرار الأمني ، وخفض الاتفاق العسكري ، وتوسيع السوق الخارجية وتعويض فقر الموارد .

فلا ريب ان توفير الاستقرار الأمني على جبهة مصر يشجع على بقاء الاسرائيليين ويجذب مزيدا من المهاجرين الى اسرائيل ، كما يؤدي خفض الاتفاق العسكري الى خفض معدل التضخم وتقليص نسبة الاعتماد على المعونات والمساعدات الخارجية ، مما ينجم عنه زيادة معدل النمو وتحقيق الرفاهية الاقتصادية ، بالإضافة الى فتح أسواق مصر أمام المنتجات الاسرائيلية وتطلع اسرائيل الى مد نشاطها الى افريقيا وعمق العالم العربي .

ويرتبط النشاط الاقتصادي الاسرائيلي في مصر برغبة اسرائيل المجمومة في تعويض نقص بعض مواردها عن طريق نيل تلك الموارد المتوافرة في مصر واهمها البترول .

ومن هنا يتضح ان التطبيع يعكس حاجة اسرائيل الى تطوير المجتمع ، الذي يعاني أزمة اقتصادية خانقة وضيق السوق الداخلية وزيادة معدل الهجرة المضادة .

ولا شك ان تحقيق المصالح الاسرائيلية يفضي الى الاحتفاظ بحجم

الشَّكَّانَ الحالَى وزيادته ، وبالتالي يؤدي إلى تثبيت ودعم الكيان الاسرائيلى . وقد ساعدت الحكومة المصرية على دفع عجلة التطبيع بسرعة فائقة إلى الأمام ، فالواقع يقول « ان حصاد التطبيع خلال عام ١٩٨٠ يفوق كل ما كان يمكن تصوره في مجال بناء علاقات جديدة بين دولتين كانتا في حالة حرب لمدة تزيد على ثلاثين عاماً (١) . والدليل على ذلك ، الحصاد الاسرائيلى للتطبيع خلال العام الأول ، فقد أصبحت لاسرائيل سفارة وتمكن السفير الاسرائيلى خلال ذلك العام من مقابلة رئيس الجمهورية ليمان مزارات ، واستطاعت عدة شركات اسرائيلية فتح مكاتب لها في القاهرة . وقد صدرت اسرائيل مبشرة سلعا إلى مصر تجاوزت قيمتها مليون دولار ، فضلا عن صادراتها إلى مصر — عن طريق طرف ثالث — التي بلغت نحو عشرين مليون دولار ، كما ناهزت قيمة الواردات البترولية الاسرائيلية من مصر ٤٩٠ مليون دولار . وقبل أن ينصرم العام الأول للتطبيع ، توافد إلى مصر أكثر من عشرين ألف اسرائيلى ، وانتظمت خطوطا مواصلات برية وبحرية وجوية بين الدولتين وربطت بينهما اتصالات سلكية ولاسلكية وبريدية . وقد أصبحت اسرائيل — بهذه الانجازات — تمثل مكانة خاصة في العلاقات مع مصر مقارنة بعلاقات مصر العربية .

« لقد تجاوزت اسرائيل مرحلة العلاقات مع العرب عن طريق الجسور المفتوحة . . . فعلاقاتها مع مصر تضمن وجودا شرعيا فعليا في المحيط العربى الذى تتعامل معه مصر » (٢) .

انتهاء المواجهة المصرية الاسرائيلية في البحر الأحمر :

بدأ انحسار المواجهة المصرية الاسرائيلية في البحر الأحمر اثر توقيع اتفاقية فض الاشتباك الثانية في سيناء في سبتمبر ١٩٧٥ ، اذ ورد بالمادة السابعة بها انه « سيسمح بمرور الشحنات غير العسكرية المتجهة إلى اسرائيل ومنها بالمرور في قناة السويس » .

(١) : ابراهيم نوار ، المصدر السابق ، ص ٨٠ — ٨١ .

(٢) : نقلي المصنوع ، ص ٨١ .

— ٢١٣ —

ثم جسيمة اتفاقية كامب ديفيد في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ الأمر وقضت
بإنهاء المواجهة المصرية الإسرائيلية في البحر الأحمر ، فقد ورد بالاتفاقية
الثانية ما يلي :

وقد وافق الطرفان على المسائل التالية :

(د) حق المرور الحر للسفن الإسرائيلية في خليج السويس وقناة
السويس على أساس معاهدة القسطنطينية لعام ١٨٨٨ والتي تطبق على
جميع الدول وتعتبر مضيق تيران وخليج العقبة ممرات مائية دولية على
أن تفتح أمام كافة الدول للملاحة أو الطيران دون اعقابة أو تعطيل .

— تتمركز قوات الأمم المتحدة في المناطق التالية :

(ب) في منطقة شرم الشيخ لضمان حرية المرور في مضيق تيران ولا
يتم ابعاد هذه القوات ما لم يوافق مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة على
مثل هذا الابعاد ، الا باجماع أصوات الأعضاء الخمسة الدائمين .

كما جاءت المادة الخامسة من معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية
لتؤكد ما تضمنته اتفاقية كامب ديفيد الثانية حيث نصت على ما يأتي :

١ — « تتمتع السفن الإسرائيلية والشحنات المتجهة من إسرائيل
واليها بحق المرور الحر في قناة السويس ومداخلها في كل من خليج
السويس والبحر الأبيض المتوسط وفقا لأحكام اتفاقية القسطنطينية لعام
١٨٨٨ المنطبقة على جميع الدول . كما يعامل رعايا إسرائيل وسفنها
وشحناتها وكذلك الأشخاص والسفن والشحنات المتجهة من إسرائيل
واليها معاملة لا تتسم بالتمييز في كافة الشؤون المتعلقة باستخدام القناة

٢ — يعتبر الطرفان أن مضيق تيران وخليج العقبة من الممرات
المائية الدولية المفتوحة لكافة الدول دون عائق أو إيقاف لحرية الملاحة
أو العبور الجوي . كما يحترم الطرفان حق كل منهما في الملاحة والعبور
الجوي من وإلى أراضيها عبر مضيق تيران وخليج العقبة .

- ٢١٤ -

وهكذا انتهت اتفاقيتا كامب ديفيد ومعاهدة السلام المواجهة المصرية الاسرائيلية في البحر الأحمر كما حرمت مصر من الوجود العسكرى لها في منطقة خليج العقبة كلها طبقا للمادة الثانية من الملحق الأول من البرتوكول الخاص بالانسحاب الاسرائيلى وترتيبات الأمن .

وعلى الرغم من كل ذلك فقد صدرت تصريحات كبار المسؤولين تؤكد التزامات مصر العربية . فما هو ذا الدكتور مصطفى خليل يؤكد قبل توقيع المعاهدة بثلاثة أيام « أن التزام مصر قائم تجاه الدول العربية طبقا لاتفاقية الدفاع المشترك » (١) .

ويؤكد الدكتور بطرس غالى بطريقة حاسمة « أنه اذا حدث أى اعتداء على أية دولة عربية فلن للالتزامات العربية الأولوية على هذه الاتفاقية وعلى أية التزامات أخرى » (٢) .

ثم صدر تصريح من اللجنة المنبثقة عن مجلس الشعب يؤكد « أن التزام مصر قائم تجاه الدول العربية طبقا لاتفاقية الدفاع المشترك ، وأن مصر ستقف الى جانب الدول العربية المعتدى عليها » (٣) .

وعلى الرغم من كل ذلك ، فقد جاءت مذكرات محمد ابراهيم كامل ، وزير الخارجية الأسبق والصدى الشخصى للسادات ، تدين سلوك السادات وتقرر أن عملية التسوية مع اسرائيل انما تعبر عن ارادة فرد اوحده هو السادات . ويقول محمد ابراهيم كامل فى مذكراته « لقد استسلم السادات للرئيس كارتر تماما ، الذى استسلم بدوره لمناجم بيجين » وأن اية اتفاقية ستبرم فى نهاية الامر ستكون كارثة على مصر وعلى الشعب الفلسطينى وعلى الأمة العربية جميعا » (٤) .

(١) الأهرام ، ٢٢/٣/١٩٧٩ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) مضبطة الجلسة ٥٩ لمجلس الشعب ، ٦/٤/١٩٧٩ ، ص ١١ .

(٤) محمد ابراهيم كامل « مذكرات محمد ابراهيم كامل » ، الحلقة ٣٣ ،

الشرق الأوسط (باريس) ٢٠/١/١٩٨٣ .

ولكن بمرور الوقت تتضح الحقيقة وتتهار الأسس التي بنى عليها الشعب اقتناعه ، والرخاء الموعود لا يجرى والأوضاع الاقتصادية المتردية تتفاقم ، ورائحة الفساد تفوح في كل مكان . ثم تنسخ الممارسات الاسرائيلية التفسيرات الرسمية للمعاهدة ، فاسرائيل تكثف مستعمراتها في الضفة الغربية والجولان وغزة ، وتدمر المفاعل النووي العراقي ، وتضم الجولان بعد ما ضمت القدس الشرقية ، وتخفق مفاوضات الحكم الذاتي بينما عملية تطبيع العلاقات تجرى على قدم وساق .

ثم أخذت المعارضة تشتد في مواجهة سياسة السادات حتى حلت القطيعة الكاملة بينه وبين قوى المعارضة في سبتمبر سنة ١٩٨١ ، وزج السادات بقيادات هذه القوى في السجون . ثم أخذ الرد شكل العنف ، الذي بلغ ذروته في حادث المنصة يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٨١ .

الختام

عجزت الأنظمة العربية الحاكمة عن مواجهة تحديات العصر الداخلية والخارجية . وقد تشعب هذا العجز في المجالات الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والحضارية والديمقراطية ، بالإضافة الى العجز المخزى تجاه اسرائيل .

ان هذا العجز المتعدد ، كان وملازال يشل فعاليات الشعوب العربية في مجابهة تحديات الحاضر بكفاءة واقتدار . وفي ظل العجز العربي اغتصبت الصهيونية فلسطين ، ثم اخذت في التوسع التدريجي في الأرض العربية طبقا لخطة مدروسة .

وقد بلغ العجز العربي مداه في يونيو ١٩٦٧ ، حيث أخفقت القيادات العربية في ادارة الصراع مع اسرائيل ، وسقطت سيناء والجولان والضفة الغربية وقطاع غزة ثمرة ناضجة في أيدي القوات الاسرائيلية .

وقد أظهرت حرب يونيو ١٩٦٧ ان التصدى للمشاكل في هذا العصر المتطور يحتم ان تكون القرارات فيه نتيجة دراسات عميقة تنهض على البحث العلمى والدراسة الجماعية في اطار تضامن القوى العربية .

وقد شهدت الأعوام الثلاثة الأولى من السبعينيات تطورا هاما في نظام العلاقات العربية ، أدى الى قيام تحالف مصرى — سورى — سعودى ، يستطيع أن يخوض مواجهة ناجحة مع اسرائيل . وقد نجح هذا التحالف ابان حرب أكتوبر ١٩٧٣ فى أن يجمع حوله معظم الدول العربية فى تضامن غير مسبوق فى العصر الحديث .

الا أن شمس التضامن العربى أذنت بالغبى ، فقد بدأ الصراع بعد أقل من شهرين من نهاية حرب أكتوبر . وكانت أولى بوادره ، الخلاف المصرى السورى حول خطوات التسوية السلمية . وقد اشتد هذا الخلاف بعد توقيع مصر اتفاقية فك الاشتباك الثانية مع اسرائيل فى سبتمبر ١٩٧٥ .

وإذا كان مؤتمر قمة الرياض السادس المنعقد في الفترة من ١٦-١٨ أكتوبر ١٩٧٦ ، قد نجح في رأب صدع التضامن العربي ، فلن صرح التضامن لم يستطع الصمود أمام أعصار مبادرة السلام المصرية في نوفمبر ١٩٧٧ .

وبتوقيع مصر اتفاقيتي كامب ديفيد في سبتمبر ١٩٧٨ ، وإعلان معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية في مارس ١٩٧٩ ، تقوض صرح التضامن العربي ، وعزلت مصر عن دورها القيادي للدول العربية ، وغاب الحد الأدنى من الاتفاق على الهدف القوي العربي ، وأخذت اسرائيل تعريد في المنطقة العربية بتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية التي أسرفت في الاستهانة بالامة العربية .

وقد جاء الرفض العربي للفهج المصري في حل الصراع مع اسرائيل من مبدأ يعتبر القضية الفلسطينية محور الصراع العربي الاسرائيلي ، وأنه لا يجوز ااية دولة عربية ابرام اتفاقية سلام منفرد مع اسرائيل دون ضمان تسوية عادلة للقضية الفلسطينية .

غير أن معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية لن تنهى الصراع العربي الاسرائيلي ، ولن تحقق السلام في منطقة الشرق الأوسط في ظل الأهداف الاسرائيلية التوسعية وتساعد نزعة التطرف عند الدولة اليهودية ، وتزايد سطوة الولايات المتحدة ، وتفقم العجز العربي .

٢١٨ -

أهم المصادر

أولا - المصادر العربية :

١ - وثائق رسمية :

- عبد المجيد فريد : من محاضر اجتماعات عبد الناصر العربية والدولية ١٩٦٧ - ١٩٧٠ ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- وثائق عبد الناصر : يناير ١٩٦٧ - ديسمبر ١٩٦٨ ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام .

٢ - مذكرات شخصية :

- البغدادي ، عبد اللطيف : مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، جزءان ، المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٧ .
- دين ، موشى ، قصة حياتي ، القسم الثاني ، الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة .
- سيد مرعى ، أوراق سياسية ، ثلاثة أجزاء ، المكتب المصري الحديث ، سنة ١٩٧٨ .
- الشاذلى ، الفريق سعد الدين : حرب أكتوبر ، منشورات الوطن العربي للطباعة ، باريس ، ١٩٨٠ .
- فانس ، سايروس : مذكرات سايروس فانس ، خيارات صعبة ، المركز العربي للمعلومات ، بيروت ، ١٩٨٣ .
- فهى ، اسماعيل : التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط بالتيمور ، ميريلاند ، ١٩٨٣ .
- كارتر ، جيمى : الحفاظ على العهد ، مذكرات رئيس ، نيويورك ، ١٩٨٢ .
- كامل ، محمد ابراهيم : السلام الضائع فى اتفاقيات كامب ديفيد ، دار طلائع للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، آيار ، ١٩٨٤ .

— ٢١٩ —

- كوانت ، ولیم : أمريكا والعرب واسرائيل ، عشر سنوات حاسمة ،
١٩٦٧ — ١٩٧٧ ، ترجمة عبد العظيم حماد ، دار المعارف ، ١٩٨٠ .
- محمد فوزى ، الفريق أول : حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧ — ١٩٧٠ ،
مذكرات الفريق أول محمد فوزى ، الطبعة الثالثة ، دار المستقبل العربى ،
١٩٨٤ .
- محمود رياض : مذكرات محمود رياض ١٩٤٨ — ١٩٧٨ ، المؤسسة
العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨١ .

٣ — مراجع عربية :

- ايتان هابر وآخرون ، حدث فى كلب ديفيد ، كتاب الأمل رقم
١٠ ، ترجمة وتوثيق ابراهيم منصور لكتاب : The Year of the Dove
- باليت ، الجنرال د. ك : الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة ،
العودة الى سيناء ، ترجمة طلال الكيالى ، بيروت ، المؤسسة العربية
للدراسات والنشر ، ١٩٧٥ .
- الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة : وقائع وتفاعلات ، بيروت :
سلسلة كتب فلسطينية ٥٩ ، أكتوبر ١٩٧٤ .
- حسن البدرى ، اللواء وآخرون : حرب رمضان ، الجولة العربية
الاسرائيلية الرابعة ، أكتوبر ١٩٧٣ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
- حسن نافعة ، الدكتور ، مصر والصراع العربى الاسرائيلى ، من
الصراع المحتوم الى التسوية المستحيلة ، مركز دراسات الوحدة العربية ،
بيروت ، ١٩٨٣ .
- صلاح العقاد ، الدكتور ، السادات وكامب ديفيد ، مكتبة مدبولى ،
القاهرة ، ١٩٨٤ .
- عبد العظيم رمضان ، الدكتور ، حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ ،
مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٤ .

— ٢٢ —

د : — عصمت سيف الدولة ، الدكتور ، هذه المعاهدة : رسالة الى
مجلس الشعب المصري حول معاهدة كامب ديفيد ، دار المسيرة ، بيروت ،
١٩٧٩ .

— الندوة الدولية لحرب أكتوبر ، القاهرة ٢٧ — ٣١ أكتوبر ١٩٧٥ ،
مجلدان ، القاهرة ، ١٩٧٦ .

— هيكلي ، محمد حسنين : خريف الغضب ، الطبعة الرابعة ،
بيروت ، ١٩٨٣ .

٤ — دوريات :

مجلة السياسة الدولية الصادرة عن مؤسسة الأهرام بالقاهرة في
الأموام من ١٩٧٣ — ١٩٨٢ .

مجلة أكتوبر الصادرة عن دار المعارف بالقاهرة في عام ١٩٨٦ ،
١٩٨٧ ، الأعداد من ٥١٢ — ٥٣٦ .

ثانياً — المصادر الأجنبية :

— Ehaim Herzog : The Arab Israeli Wars, London, 1982.

— Kissinger Henry : White House Years, U.S.A. 1979.

— The Insight Team of the Sunday Times : Insight on the Middle
East War, Times News Paper Limited, 1974,

— War of Attrition, 1969 — 1970, New York, Columbia Uni-
versity Press, 1980.

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة
٩	الفصل الأول : نتائج وآثار حرب يونيو ١٩٦٧
٢٧	الفصل الثاني : تطور الأوضاع السياسية والعسكرية
٢٧	تطور الأوضاع السياسية
٢٧	سياسة مصر الخارجية بعد حرب يونيو ١٩٦٧
	تطور السياسة الخارجية المصرية من بداية عهد السادات
٣٨	الى نشوب حرب أكتوبر ١٩٧٣
٤٥	تطور الأوضاع العسكرية
٤٧	حرب الاستنزاف
٥٨	آثار حرب الاستنزاف
٦٣	الفصل الثالث : حرب أكتوبر ١٩٧٣
٦٣	تسارار الحرب
٦٤	خطط الحرب المصرية
٦٨	تخطيط الخطط الهجومية المصرية
٧١	الخطط الاسرائيلية على الجبهة المصرية
٧٢	الاعداد السياسي للحرب
٧٦	الاعداد العسكري للحرب
٨٨	القوات العربية والقوات الاسرائيلية
٩٢	الانتحام
٩٨	الهجوم المضاد الاسرائيلي يوم ٨ أكتوبر وفشله
٩٩	الموقف الاسرائيلي بعد فشل الهجوم المضاد

الصفحة	الموضوع
١٠٢	الوقفات التعبوية
١٠٦	الموقف على الجبهة السورية
١٠٨	الهجوم المصرى يوم ١٤ أكتوبر
١١٠	ثغرة الدفريسوار
١١٨	التخطيط المصرى للهجوم المضاد وفشله
١٢٦	تفاهم الموقف ووصول السادات إلى مركز القيادة الرئيسى
١٣٠	محاولة الاسرائيليين الاستيلاء على الاسماعيلية والسويس
١٣٦	نتائج وآثار حرب أكتوبر ١٩٧٣
١٤٧	استخدام النفط العربى كسلاح سياسى
١٥٤	الفصل الرابع : محاولات الحل
١٥٥	فض الاشتباك الاول على الجبهة المصرية
١٥٧	فك الاشتباك فى الجولان
١٥٨	فك الاشتباك الثانى على الجبهة المصرية
١٦٣	الموقف العربى بعد اتفاقية فك الاشتباك الثانى فى سيناء
١٦٧	زيارة القدس
١٧٤	محوى خطاب انور السادات أمام مجلس الشعب
١٧٤	ماذا قال السادات فى خطابه أمام الكنيست ؟
١٧٥	التصور الاسرائيلى للمبادرة المصرية
١٧٧	صدى مبادرة السادات فى العالم العربى
١٧٩	الفصل الخامس : الاتفاق المصرى الاسرائيلى وآثاره
١٧٩	فى الطريق الى كامب ديفيد
١٨٥	كيف تم التوصل الى اتفاق فى كامب ديفيد
١٩٣	اتفاقية كامب ديفيد

— ٢٢٣ —

الصفحة	الموضوع
١٩٧	تحليل اتفاقيتي كامب ديفيد
١٩٩	معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية واسرائيل
٢٠٤	تحليل معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية
	آثار اتفاقيتي كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية —
٢٠٧	الاسرائيلية
٢١٦	خاتمة
٢١٨	المصادر
٢٢١	المحتويات

رقم الايداع ١٩٨٧/٢٩٥٩

دار عطسوة للطباعة

